من نبوءات التوراة
عن محمد رسول الله ﷺ

غصن الرب

فى سِفْر إشَعْيَاء النَّبي

أحمد أحمد على السقا
استاذ مقارنة الأديان جامعة الأزهر

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



اسم الكتاب: غصن الرب فى سفر اشعياء النبى
اسم المؤلف: أحمد أحمد على السقا
المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٢٣٨٦
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-044-8
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة
طباعة الكتاب: مطبعة المدينة: ٣٢١٩٢٨٨
جمع اليكترونى: فور إتش ت:٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥
الإشراف العام: أ. سعد بكرى كوسا

الطبعة الأولى
٢٠٠٤

الآراء الموجودة
بالكتاب لاتعبر
بالضرورة عن رأى الدار

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٢٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email: darkitab2003@yahoo.com

التقديم للكتاب

للأستاذ الدكتور

عبد القادر سيد أحمد
عميد كلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة
الأسبق. ومؤلف كتاب أفلا يتدبرون القرآن

«غصن الرب» لقب من ألقاب «المَسِيَّا» في التوراة[1]. وهو النبي المنتظر من اليهود إلى يومنا هذا. الذي قال عنه لهم موسى ـ عليه السلام ـ: «يُقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون». «وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

ومعنى غُصن الرب: أنه سوف يأتي ليتمم مقاصد الله في خلقه. أي هو منه، خلقه بقدرته. وجعله داعيا إليه وحده، لا إلى إله غيره. وكما أن الغصن من الشجرة يدل على نوعها؛ يكون محمد ﷺ من جماعة المؤمنين بالله. ويُدل بدعوته إليه؛ أنه منه وليس داعيا إلى آلهة غيره.

ونبينا محمد ﷺ دعا إلى الله، وانطبقت أوصاف هذه النبوءة عليه؛ فهو الذي جاء في آخر أيام بني إسرائيل في الملك والنبوة، وليس من بني إسرائيل الذين رفضهم الله «فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب» ودينه هو دين السلام. والمسيح يقول: «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا» [متى ١٠: ٢٤]

ومحمد ﷺ حارب أعداءه «والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا. احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يُصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له؟. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبا؛ صنع عنبا رديئا. فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي؟. انزع سياجه فيصير للرعى. أهدم جدرانه فيصير للدوس، وأجعله خرابا لا يُقضب ولا ينقب؛ فيطلع شوك وحسك، وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرا»

---

(١) تعبير شائع. وفي نظرنا يجب أن يستعمل الكتَّاب العهد القديم بدل كلمة التوراة.

والمسيح عيسى ـ عليه السلام ـ لم يحارب أعداءه [1]؛ فإنه قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر. وما لله؛ لله» [مرقس ١٢: ٧]

وناسب تطبيق هذه النبوءة ـ في نظر المؤلف ـ إيراد بعض ما في التوراة وما في الإنجيل عن محمد ﷺ لتتضافر النصوص كلها على تقوية الغرض منها والإقناع بها.

كذلك ذكر المؤلف مما ذكره: شهادة أهل الروم بتبشير المسيح بمحمد ﷺ وشهادة القدماء على أن السيدة مريم رضي الله عنها بقيت في الهيكل مع المنذورات بعد ولادة المسيح، والمواعيد لإبراهيم ـ عليه السلام ـ بإرث نسله أراضي الأمم. وأن الإرث يبدأ من ظهور محمد ﷺ وأن بني إسرائيل كانوا يمهدون له الطريق.

وذكر المؤلف قول بولس عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: «كما هو مكتوب: «إني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة» أمام الله الذي آمن به. الذي يحيي الموتى، ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة؛ فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء؛ لكي يصير أبا لأمم كثيرة. كما قيل: «هكذا يكون نسلك» وإذ لم يكن ضعيفا في الإيمان؛ لم يعتبر جسده؛ **وهو قد صار مماتا**. إذ كان ابن نحو مئة سنة. ولا مماتية سارة، ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله. وتيقن أن ما وعد به؛ هو قادر أن يفعله أيضا. لذلك أيضا حُسب له برا» [رومية٤: ١٧-٢٢]

إنه آمن بالله الذي يحيي الموتى. وصوّر له ما سوف يكون من بعده لنسله من محمد رسول الله- صلوات الله وسلامه عليه - فرآه. كأنه موجود بالفعل «ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة»

(١) في تفسير «السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم» في الأصحاح الرابع من سفر إشعياء:
«في ذلك اليوم يكون غصن الرب؛ بهاء ومجدا. وثمر الأرض ثمرا وزينة؛ للناجين من إسرائيل»
إرمياء ٢٣: ٥ وزكريا ٣: ٨ و ٦: ١٢

«في ذلك اليوم» أي في زمن ملك المسيح، الذي يكون بعد إجراء الله أحكامه على اليهود، وتمام دمارهم «يكون غصن الرب» أي المسيح. ومعنى هذا الاسم: مثل معنى الاسم «ابن الله» وقد دُعي بهذا الاسم في الأنبياء مرارا كثيرة (انظر: إرمياء ٢٣: ٥ و٣٣: ١٥ وزكريا ٣: ٨ و ٦: ٢ وإشعياء ١١: ١ و ٥٣: ٢)... وفحوى هذا العدد: أن المسيح يكون بهاء ومجدا (أي مجيدا جدا) «وفخرا وزينة للناجين من إسرائيل» أي الذين نجوا من الدينونة بإيمانهم بذلك الغصن البهي. وهم كناية عن الكنيسة الضخمة» أ. هـ بنصه.

وكان قد قال لله عز وجل: أنا شخت وكبرت في السن وأصبحت ميتا عن إنجاب نسل. لأن كبير السن ليست له قدرة على تلقيح بويضة الأنثى حتى تحبل وتلد. فكيف وهذه هي تالتي؛ تعدني بأن ترث أولاد من صلبي هذه الأرض؟ «وإذ لم يكن ضعيفا في الإيمان؛ لم يعتبر جسده. وهو قد صار مماتي» ولم يشك في وعد الله.

وقول إشعياء: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم» له ارتباط بقوله عن محمد ﷺ: «هو ذا اسم الرب يأتي من بعيد» واسم الرب في ـ عرفهم ـ هو النبي محمد ﷺ لأنه سيأتي من بعيد إلى فلسطين من جهة مكة المكرمة. واسم الرب لا يأتي منفردا عن الذات الإلهية. فدلت هذه القرينة العقلية على إتيان نبي باسمه. وأيضا في الكلام عن النبي في التوراة يقول عنه موسى ـ عليه السلام ـ إنه سيأتي باسم الرب: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه» [تث ١٨: ١٩]

ويقول إشعياء: إن «اسم الرب» في حالة مجيئه سيحارب أعداءه «لغربلة الأمم بغربال السوء، وعلى فكوك الشعوب رسن مضل» وهذا الوصف لا يدل على المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ.

ويقول إشعياء: وفي زمان هذا النبي الآتي باسم الله «**تكون لكم أغنية. كليلة تقديس عيد، وفرح قلب. كالسائر بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل**» [إش ٣٠: ٢٧-٢٩]

وقوله هذا تعبير عن سرور الناس وابتهاجهم في زمان هذا النبي كابتهاجهم وسرورهم في الحج إلى الكعبة إلى البيت الحرام.

فإن النبي داود ـ عليه السلام ـ أظهر في الزبور مناسك الحج إلى الكعبة، وبيّن أن الحجاج يجتمعون على جبل عرفات، ثم يفيضون منه إلى الكعبة للطواف بالكعبة. جمهور كثير: كما في يوم عيد «**جمهور معيِّد**» تماما كما صور إشعياء فرح الناس في آخر أيام بني إسرائيل، وبدء أيام بني إسماعيل في الملك والنبوة، وبين أن مكان الفرح «جبل بيت الرب» الذي قال الله في شأنه: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦]

يقول داود ـ عليه السلام ـ:

«كما يشتاق الإيَّل إلى جداول المياه؛ هكذا تشتاق نفسي إليك يا ألله. عطشت نفسي إلى

الله، إلى الإله الحيّ. متى أجيء، وأتراءى قدّام الله؟ صارت لي دموعي خبزا. نهارا وليلا. إذ قيل لي كل يوم: أين إلهك؟

هذه أذكرها فأسكبُ نفسي عليّ؛ لأني كنتُ أمرُّ مع الجُمَّاع. أتدرجُ معهم إلى بيت الله. بصوت ترنُّم وحمد. جُمهور مُعيِّد.

لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنّين فيَّ؟ ارتجِي الله. لأني بعد أحمده؛ لأجل خلاص وجهه.

يا إلهي نفسي منحنية فيّ. لذلك أذكركَ من أرض الأردن، وجبال حرمون. من جبل مَصْعَر. غمرٌ ينادي غمرا عند صوت ميازيبك. كل تياراتك ولججك طمتْ عليّ.

بالنهار يُوصِي الرب رحمته، وبالليل تسبيحه عندي. صلاة لإله حياتي. أقول لله صخرتي: لماذا نسيتني؟ لماذا أذهب حزينا من مضايقة العدو؟ بسحق في عظامي. عيرني مضايقي بقولهم لي كل يوم: أين إلهك؟ لماذا أنتِ منحنية يا نفسي؟ ولماذا تئنين فيّ؟ ترجّي الله؛ لأني بعدُ أحمده خلاص وجهي وإلهي» [مزمور ٤٢]

التراءي قدام الله: مصطلح خاص عند أهل الكتاب بالظهور عند بيت الله في موسم الحج. وكنَّى عن حروب أعدائه ﷺ له، وتألمه من مضايقاتهم له بقوله: «صارت لي دموعي؛ خبزا»

ولأن الله لما وعد به؛ شبهه لهم بالموجود بالفعل ليستيقنوا بالوعد؛ أجرى كلاما على فمه، وأوحاه إلى داود عليه السلام فنطق داود بالنيابة عن محمد ﷺ حتى إذا ما ظهر؛ يُوحي الله إليه في القرآن نفس المعاني التي قالها عنه. داود النبي عليه السلام. ومن التطابق يعلم أهل الكتاب: أن محمداً ﷺ هو النبي الموعود به.

ومن كلامه على لسان داود: «لأني كنت أمر مع الجُمَّاع» في عرفات. ثم أفيض من عرفات إلى بيت الرب للطواف حوله «أتدرج معهم إلى بيت الله» وليس في أية بقعة في العالم بقعة فيها بيت مشهور لله. يُحج إليه. إلا أرض مكة. وبينما هم ينحدرون جماعات جماعات إلى الكعبة يرفعون أصواتهم بالتلبية وهم فرحون «بصوت ترنم وحمد» قائلين: إن الحمد لك والنعمة لك. لبيك. جماعات جماعات كأنهم في يوم عيد.

وذكر أن الله أذهب عنه الحزن بنصرته على أعدائه «ارتجي الله؛ لأني بعد أحمده»

وذكر أسماء الجبال التي هي عند البيت الحرام. ومن الجبال جبل «مصعر» وفي أرض مكة إلى يومنا هذا جبل يُعرف بجبل «مصعر» والخرائط القديمة والحديثة محددة موقعه.

وما هي مناسبة الغمر وصوت الميازيب في هذا النص؟

إن الأرض غير ذي زرع بقوله «عطشت نفسي إلى الله» وإنها أرض حج بقوله «وأتراءى قدام الله» وذكر الأيائل من حيوانات البرية وتكلم عن اشتياقها إلى جداول المياه. ليقول: إن مكان هذا الحج أرض يابسة. وأن «بئر زمزم» عنده. وأنهى الكلام بحمد الله ونصره على أعدائه.

إن هذا متطابق مع ما في سفر إشعياء عن موضوع «جبل الرب» في «آخر الأيام» ويجب على المؤلف أن يُطيل النَّفَس في المطابقة، ويكتب لنا كل ما في سفر الزبور عن الحج، والنبي ﷺ يكتب لنا كتابين «مزامير المَسِيَّا» و«مزامير الحج» ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦) أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾؟ [الشعراء: ١٩٦ - ١٩٧]. ومن نبوءات التوراة عن محمد ﷺ نبوءة تعرف بـ «ملء الزمان» وهي موجودة في كلام بولس: «وإنما أقول: مادام الوارث قاصرا؛ لا يفرق شيئا عن العبد، مع كونه صاحب الجميع بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه. هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم. ولكن لما جاء ملء الزمان..» [غلاطية ٤: ١ -]

من هو النبي الملقب بلقب «ملء الزمان»؟ هل هو المسيح أم هو محمد ـ عليهما السلام ـ؟

إن النصارى يفسرون «ملء الزمان» بأنه هو النبي الأمي الذي أخبر عنه موسى في سفر التثنية. والذي هو «شيلون» في وصية يعقوب لبنيه كما في التكوين ٤٩ : ١٠ ويقولون: إن نبوءة دانيال ٩ : ٢٤ بلقب «البر الأبدي» هي نفسها «ملء الزمان» وقول مرقس: «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله» [١: ١٥] هو قول عن «ملء الزمان» وقول بولس في الأصحاح الأول من رسالته إلى أهل أفسس؛ هو فيه «إذا عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه؛ لتدبير ملء الأزمنة» [أف ١: ١٠] فلأي سبب لم يضع المؤلف هذين اللقبين، والألقاب كلها في كتاب واحد؟

باستثناء هذه الملاحظة. وما قبلها في «مزامير المَسِيَّا» و«مزامير الحج» فالكتاب يؤدي

غرضه. وهو إثبات نبوة محمد ﷺ بشهادة أهل الكتاب. وقد نبه المؤلفُ المسلمين إلى أمر هام. وهو أن أعداء المسلمين في العالم هم اليهود. والأوائل من العلماء كانوا يؤلفون الكتب القيمة في محاسن الدين الإسلامي ومزاياه، ويذكّرونهم بما جاء في كتبهم عن محمد ﷺ كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ؟ [الشعراء:١٩٧] ويحدثنا التاريخ أن كثيرين منهم دخلوا في دين الإسلام، وانقطعت عداوتهم للمسلمين بدخلوهم فيه. والذين بقوا على اليهودية؛ غفل علماؤنا في عصرنا هذا عن مخاطبتهم بما في كتبهم. فلذلك آذوا المسلمين إيذاء شديداً بسبب جهلهم وحسدهم. فإنهم تسببوا في مجيء الأميركان إلى العراق. وهم يعتقدون أن المسلمين لا يستحقون النعم التي أنعم الله بها عليهم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤] فليكثر علماؤنا من الكتب التي تعرفهم بالإسلام من كتبهم ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤] وجزى الله المؤلف خيرا، ونفع به. آمين.

أ.د/ عبد القادر سيد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالكتاب

وعد الله تعالى إبراهيم ـ عليه السلام ـ بمباركة الأمم في نسله. وقسم البركة بين بني إسحق وبين بني إسماعيل. وابتدأت بركة بني إسحق من موسى ـ عليه السلام ـ إذ نزلت عليه التوراة عقيدة وشريعة. ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:٨]

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:٣٠]

وتنتهي بركة بني إسحق بظهور محمد رسول الله ﷺ من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ فيكون اليوم الأخير لبني إسرائيل ـ حاملي بركة إسحق ـ في الملك والشريعة؛ هو نفسه اليوم الأول لبني إسماعيل في الملك والشريعة.

فإذا جاء اليوم الأخير لبني إسرائيل تأتي الأمم إلى جبل بيت الله الحرام في مكة المكرمة للحج. ولمعرفة الشريعة الجديدة من محمد رسول الله والذين معه.

ذكر النبي إشَعياء ذلك. وقال: إن الله رفض بني إسرائيل من السير أمامه بسبب عبادتهم للأوثان، وبسبب ظلمهم للأمم. وقال: إن الله سيهلك اليهود الذين سيكفرون بالنبي الآتي من بني إسماعيل «ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم»

وقال النبي إشعياء: إن الهلاك سيكون ١ - لليهود ٢ - وللأمم «فإنه هو ذا السيد رب الجنود، ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن» ـ «قد انتصب الرب للمخاصمة. وهو قائم لدينونة الشعوب»

وقال إشعياء: إن الإهلاك لليهود وللأمم سيكون في الأيام الأولى لظهور النبي الأمي الآتي «في ذلك اليوم يكون غُصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض فخرا وزينة للناجين من إسرائيل» بإيمانهم.

وقال: إن النبي الآتي حبيب الله «لأنشدن عن حبيبي» وفي التراجم القديمة التي نقل

منها علماؤنا السابقون علينا: «أشكر ابني وحبيبي أحمد»

وقال: إنه إذا ظهر «يرفع راية للأمم من بعيد، ويصفر لهم من أقصى الأرض» لأن شريعته عالمية.

وقال إشعياء: إن الذين كفروا من اليهود سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم؛ لا يؤمنون «اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا، وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلّظ قلب هذا الشعب، وثقّل أذنيه، واطمس عينيه، لئلا يبصر بعينيه، ويسمع بأذنيه، ويفهم بقلبه ويرجع؛ فيُشفى»

وسأل إشعياء متى؟

«فقال: إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن»

وبعنادهم أخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾

سنذكر في هذا الكتاب: أن «غُصن الرب» هو محمد ﷺ وسندلل من التوراة والإنجيل على صحة نبوته.

والله ولي التوفيق

د / أحمد أحمد علي السقا

ميت طريف ـ دقهلية

نصّ نبوءة غصن الربّ

في الأصحاح الثاني وما بعده من سِفْر إشَعياء:

«ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب في مابعد. يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائقفن كالفلسطينيين ويصافحون أولاد الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهبا ولا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا ولانهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثانا. يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل فلا تغفر لهم.

ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنسان وتخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع. وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان. وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع. وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة. فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. وتزول الأوثان بتمامها. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش. ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. كفّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب؟

* * *

فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن. كل سند خبز

وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب القاضي والنبي والعراف والشيخ. رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاذف بالرقية. وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم. ويظلم الشعب بعضهم بعضا والرجل صاحبه. يتمرد الصبي على الشيخ والدنئ على الشريف. إذا أمسك إنسان بأخيه في بيت أبيه قائلا لك ثوب فتكون لنا رئيسا وهذا الخراب تحت يدك. يرفع صوته في ذلك اليوم قائلا لا أكون عاصبا وفي بيتي لا خبز ولا ثوب. لا تجعلوني رئيس الشعب. لأن أورشليم عثرت ويهوذا سقطت لأن لسانهما وأفعالهما ضد الرب لإغاظة عيني مجده. نظر وجوههم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم. لا يخفونها. ويل لنفوسهم لأنهم يصنعون لأنفسهم شرا. قولوا للصديق خير. لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم. ويل للشرير شر. لأن مجازاة يديه تعمل به. شعبي ظالموه أولاد. ونساء يتسلطن عليه. يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلغون طريق مسالكك.

قد انتصب الرب للمخاصمة وهو قائم لدينونة الشعوب. الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم. وأنتم قد أكلتم الكرم. سلب البائس في بيوتكم. ما لكم تسحقون شعبي وتطحنون وجوه البائسين؟ يقول السيد رب الجنود.

وقال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الاعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشخشن بأرجلهن. يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعري الرب عورتهن. ينزع السيد في ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والأهلة. والحلق والأساور والبراقع. والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والاحراز. والخواتم وخزائم الأنف. والثياب المزخرفة والعطف. والأردية والأكياس والمرائي والقمصان والعمائم والأرز. فيكون عوض الطيب عفونة وعوض المنطقة حبل وعوض الجدائل قرعة. وعوض الديباج زنار مسح وعوض الجمال كي. رجالك يسقطون بالسيف وأبطالك في الحرب. فتئن وتنوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض

تمسك سبع نساء برجل واحد في ذلك اليوم قائلات: نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا. ليدع فقط اسمك علينا. انزع عارنا.

في ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض فخرا وزينة للناجين من إسرائيل. ويكون أن الذي يبقى في صهيون والذي يترك في أورشليم يسمى قدوسا. كل من كتب للحياة في أورشليم. إذا غسل السيد قذر بنات صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها

بروح القضاء وبروح الإحراق. يخلق الرب على كل مكان من جبل صهيون وعلى محفلها سحابة نهارا ودخانا ولمعان نار ملتهبة ليلا. لأن على كل مجد غطاء. وتكون مظلة للفئ نهارا من الحر وملجأ ولمخبأ من السيل ومن المطر

لأنشدن عن حبيبي نشيد محبي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجا في وسطه ونقر أيضا معصرة فانتظر أن يصنع عنبا فصنع عنبا رديئا.

والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا احكموا بيني وبين كرمي. ماذا يصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له. لماذا إذ انتظرت أن يصنع عنبا صنع عنبا رديئا. فالآن اعرفكم ماذا أصنع بكرمي. انزع سياجه فيصير للراعي. اهدم جدرانه فيصير للدوس. وأجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك وأوصي الغيم أن لا يمطر عليه مطرا.

إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذَّته رجال يهوذا. فانتظر حقا فإذا سفك دم وعدلا فإذا صراخ.

ويل للذين يصلون بيتا ببيت ويقرنون حقلا بحقل حتى لم يبق موضع. فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الأرض. في أذني قال رب الجنود ألا أن بيوتا كثيرة تصير خرابا بيوتا كبيرة وحسنة بلا ساكن. لأن عشرة فدادين كرم تصنع بثًّا واحدا وحومر بذار يصنع إيفة.

ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر. للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون. لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش. لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاها بلا حد فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها. ويذل الإنسان ويحط الرجل وعيون المستعلين توضع. ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله القدوس بالبر. وترعى الخرفان حيثما تساق وخرب السمان تأكلها الغرباء.

ويل للجاذبين الإثم بحبل البطل والخطية كأنه بربط العجلة. القائلين ليسرع ليعجل عمله لكي نرى وليقرب ويأت مقصد قدوس إسرائيل لنعلم. ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما الجاعلين المر حلوا والحلو مرا. ويل للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم. ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوي القدرة على مزج

المسْكر. الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة وأما حق الصديقين فينزعونه منهم.

لذلك كما يأكل لهيب النار القش ويهبط الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعفونة ويصعد زهرهم كالغبار لأنهم ردوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قدوس إسرائيل. من أجل ذلك حمى غضب الرب على شعبه ومد يده عليه وضربه حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم كالزبل في الازقة. مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد. فيرفع راية للأمم من بعيد ويصفر لهم من أقصي الأرض فإذا هم بالعجلة يأتون سريعا. ليس فيهم رازح ولا عاثر. لا ينعسون ولا ينامون ولا تنحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أحذيتهم. الذين سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة. حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كزوبعة. لهم زمجرة كاللبوة ويزمجرون كالشبل ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ. يهرون عليهم في ذلك اليوم كهدير البحر. فإن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام ضيق والنور قد أظلم بسحبها.

* * *

في سنة وفاة عُزِّيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادي ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا

فقلت ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود. فطار إليَّ واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. ومس فمي وقال: إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفر عن خطيتك

ثم سمعت صوت السيد قائلا: من أُرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟. فقلت هأنذا أرسلني. فقال: اذهب وقل لهذا الشعب: اسمعوا سمعا ولا تفهموا وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا. غلِّظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى. فقلت: إلى متى أيها السيد؟. فقال إلى أن تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقفر ويبعد الرب الإنسان ويكثر الخراب في وسط الأرض. وإن بقى فيها عشر بعد فيعود ويصير للخراب ولكن كالبطمة والبلوطة التي وإن قطعت فلها سلق يكون ساقه زرعا مقدسا»

الفصل الأول
في
الحقيقة والمجاز

كلمة «مات» على الحقيقة تدل على الحيوان الذي انقطعت صلته بالأحياء. وإذا قلنا عن إنسان مات ودفن في القبر: إنه لم يمت. فقولنا: «لم يمت» على الذي هو في القبر، مسجى بالكفن. قول كاذب، وصادق. كاذب عند المشاهدين لوضعه في القبر. وصادق عندهم أيضاً. إذا أنت قلت لهم: هو لم يمت، على معنى أن ذكره باق، أو أنجب أولاداً، فالقول كاذب بحسب الظاهر للناس، والقول نفسه صادق، بحسب المعنى الخفي الذي لا يفهمه إلا الكبار. وهو أن ذكره باق، أو لأنه أنجب أولاداً ينوبون عن وجوده.

ومن يفهم هذا؟ يفهمه كبار الناس. فإن الطفل لا يعرف معنى الذكر الحسن الذي ينوب عن الحي في غيابه، ولا يعرف أن من أنجب أولاداً، كأنه لم يمت.

وفي كلمة «مات» مباحث:

المبحث الأول: أن «مات» تستعمل بحسب الظاهر في المدفون في التراب. وهذا الاستعمال. يكون على الحقيقة.

المبحث الثاني: أن «مات» تستعمل في المنقطع عن الحياة إلى النسك. فلو نظرنا إلى رجل انقطع إلى الله، وأعرض عن شهوات الأكل والشرب والنساء وكل مظاهر الدنيا. فإننا نقول عنه: إنه مات عن الدنيا. أي ترك شهواتها. والأمة الناهضة إلى عمارة الحياة، يقال عنها: إنها أمة حية. والأمة اليائسة يقال عنها: إنها أمة ميتة. لا حراك فيها. والأمة الحية. هي حية نهضت أو لم تنهض. لأن أهلها لم يدخلوا القبور بعد. والأمة الميتة التي لا حراك فيها. هي أيضاً حية. إذ في أهلها نسمة حياة. فالتعبير بالحياة، عن الحركة والنشاط. هو تعبير مجازي. والتعبير بالموت عن اليأس. هو تعبير مجازي.

المبحث الثالث: قولنا عن الداخل في القبر: «إنه مات» وقولنا عنه: «إنه لم يمت» لو سمعها طفل صغير. لسمع عبارتين متناقضتين. ومن الممكن أن يكذبهما معاً. وإذا بادر إنسان بتفهيمه المراد من العبارتين، فإنه لن يحكم بالتضاد والتناقض بينهما. إذ إحداهما

على الحقيقة، والأخرى على المجاز.

وردُّ الكذب ودفعه لا يكون:

أ - إلا بقرينة عقلية.　　　ب - أو بنص محكم.

فوضع الميت في القبر ومشاهدة الناس له في القبر. قرينة عقلية على أنه «لم يمت» تعني أنه لم يمت ذكره. وإذا كنت في مجلس من المجالس. وقال الناس كلهم في المجلس: «في قرية كذا، مات زيد الرجل الصالح» فإن قولهم هذا النص هو حكم على أن الرجل قد مات.

فإن تصادف أن مر عليك من يثني عليه ويمدحه بأنه لم يمت. فإن النص المحكم يكون قرينة على أنه لا يقصد الموت الطبيعي.

ومثله من الشعر قول الشاعر:

ألَمَّ بنا ساق، يجلُّ عن الوصف　　　وفي طَرْفه خَمْرٌ وكأس على الكفّ

فأسكر أصحابي بخمرة كَفِّه　　　وأسكرني - والله - من خَمرةُ الكفّ

فقوله وفي طرفه خمر. يقصد به: أن عيني الساقي جميلة، وتُذْهب بِلُب من يراها. كما تذهب خمر العنب بعقول من يشربها. ثم قال: إن الخمرة على الحقيقة: هي ما في الدَّنِّ الذي يحمله الساقي على كفه. والخمر على المجاز: هي كف الساقي الجميل المنظر. والخمر على الحقيقة والكف التي تحملها. كلاهما جميلان جداً. وكلاهما متشابهان في توهان العقل. أما أصحاب الشاعر فقد سكروا بخمر العنب، وأما هو فقد سكر من رؤية كف الساقي الحسن. وهذه المبالغة مثل قول الشاعر:

متى ما تلق من تهوىَ　　　دع الدنيا، وأهملها

المُحكم والمتشابه

إذا قلت ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ فإن اليد تحتمل معنَيين اثنين. أحدهما على الحقيقة، والآخر على المجاز.

١ - واليد على الحقيقة: هي جسم اليد التي فيها أصابع وأظافر.

٢ - واليد على المجاز: هي كناية عن أن قدرته هي فوق قدرة الناس.

ولاحتمال اليد للمعنيين، يكون النص متشابهاً. ويجب البحث عن محكمه، ليبين لنا

المراد من المعنيين. فما هو المحكم؟

لا يمكن أن يكون المحكم قرينة عقلية. لأن ذات الله وصفاته لا ينضبط الكلام فيها إلا بالنصوص. والمحكم هو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لأن له معنى واحداً وهو نفي المثل. ونفي المثل هو نفي الجسم. لماذا؟ لأنك لو قلت: له يد، لكان المعنى: إثبات جسم لليد على أي تخيل يخطر بالبال. والتخيل قد يجعل اليد يد حيوان أو طير أو تمثال مصنوع بالأيادي. ونفي المثل يستلزم نفي التخيل على أي مخلوق كان. فتكون اليد كناية عن القدرة. ولا يمكن القول بيد لا مثل لها. لأن ذلك محتمل لنفي المثل عن الجسمية، والله يريد نفي الجسمية نفسها.

الحشوية:

وقد سمَّى إمام الحرمين، الجويني رحمه الله من يقول بيد لله. لا مثل لها. سماهم بالحَشَوِيَة. فقال: «فإنا نرى الحشويَّ من الحنابلة مُصمماً على عقد، متعلق بالمعتقد، على ما هو به. مع إنكاره النَّظر، ولو نُشر بالمنشار، لم يكَعْ، ولم يرجع[1]» وقال أيضاً: «وكم للحشوية المشبهة من خبط يناقض حقيقة التوحيد»

وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون: «هُم قوم تمسكوا بالظواهر؛ فذهبوا إلى التجسيم وغيره. وهم من الفِرَق الضالَّة»[2]

المحكم والمتشابه
في
القرآن الكريم

وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم:

أولاً: أن فيه نصوصاً محكمة، ونصوصاً متشابهة.

ثانياً: أن النص المتشابه محدد بمعنيين اثنين فقط.

(١) البرهان في أصول الفقه - المجلد الأول - وأيضاً: ص ٤١٥.

(٢) نقلاً عن البرهان - لإمام الحرمين - المجلد الأول. الإمام الجويني

ثالثاً: أن النص المتشابه له نص محكم.

رابعاً: أن المتشابه محدد بسبعة.

خامساً: أن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه والمحكم.

والدليل على أن القرآن فيه محكم ومتشابه: قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران:٧]

والدليل على أن المتشابه محدد بمعنيين اثنين: قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]

والدليل على أن المتشابه سبعة [1]: قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]

والدليل على أن المتشابه والمحكم يعلمه الراسخون في العلم: قول الله تعالى في وصف القرآن: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٩].

الغرض من رد المتشابه إلى المحكم

والغرض من رد المتشابه إلى المحكم: هو نفي موهم التعارض عن القرآن. فقوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]. ظاهره ينفي النسيان. وقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]. ظاهره يثبت النسيان. فالنصان في الظاهر متعارضان. وإثبات التعارض معناه: **أن القرآن ليس من الله. وقد ثبت أن القرآن من الله،** وعليه فإن التعارض، **يكون تعارضاً في الظاهر، لا في الحقيقة ونفس الأمر.** ويجب على العلماء البحث عن إزالته، بتعيين المحكم، وإبرازه للناس. فما هو المحكم الذي يقضي بين النصين؟

إن المحكم هو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. لأنه ينفي الجسيمة عن الله تعالى. والنسيان الحقيقي من صفات الأجسام. وحيث قد نفى الجسمية بالمحكم فإن النسيان الحقيقي يكون غير مراد، فما هو المراد؟ هو المعنى الآخر، الذي هو كناية عن الإهمال. يكلم الناس بلسانهم على قدر عقولهم. ثم نقول: والله

وطريقة التعيين هكذا:

(١) معنى السبعة في التوراة: عددا كاملا من أي موضوع.

أ ـ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]

١ ـ النسيان على الحقيقة.

٢ ـ النسيان على المجاز بمعنى الإهمال من رحمته.

ب ـ إبحث عن المحكم. وهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]. الذي ينفي الجسمية.

جـ ـ أنظر إلى المتشابه. وخذ منه المعنى المتفق مع المحكم.

ومن الممكن: أن لا نستعمل المحكم والمتشابه في النسيان. ونقول: إن الله بهما يكلم بني آدم على قدر عقولهم، على طريقة المشاكلة.

الاختلاف الكثير في القرآن

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [آية: ٨٢ ـ النساء].

ظاهر هذا النص:

١ ـ أن الاختلاف في القرآن يدل على أنه ليس من الله.

٢ ـ وأن في القرآن اختلافاً قليلاً.

هذا هو الظاهر. ومعلوم أن قليل الاختلاف وكثيره في أي كتاب يدل على أن الكتاب ليس من الله.

فكيف تحل هذا الإشكال؟

إنه يحلُّ على طريقة المُحكم والمتشابه. وكيف يحل؟

إن الاختلاف القليل الموجود في القرآن، هو اختلاف الآيات المتشابهة. وعند الرد إلى المحكم تمحى الاختلافات وتزول. وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤] فإن ظاهره يثبت أن النبي ﷺ كان شاكاً في أمره. وعند البحث والتحري يتبين أنه على حق، فيثبت أنه هو الذي على الهدى.

فالنسيان وعدم النسيان من مواضع الاختلافات في القرآن بحسب الظاهر. ولما تعين المحكم وعين المعنى المراد، ضاع الاختلاف. وبهذه الطريقة لا يكون في القرآن أي اختلاف

ظاهري. قليل أو كثير.

الصلة بين المجاز وبين المحكم والمتشابه

والمتشابه وهو المحتمل لمعنيين أحدهما مجاز والآخر حقيقة. صلته وثيقة بالمجاز في اللغة. فإنه هو الكناية. والكناية من مجاز اللغة. فقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [آية ٦٧ ـ التوبة] وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ [آية ٣٤ ـ الجاثية] هو كناية عن إدخالهم النار، وإهمالهم وإبعادهم عن رحمته. وقد تكون الكناية مجازاً مرسلاً. في مثال واحد. ويصرح بالمجاز المرسل ولا يصرح بالكناية. وقد يصرح بالمجاز. فقوله تعالى: ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [نوح:٧] هو عندنا كناية عن الإعراض والكره. وليس هو حقيقة في أنهم أدخلوا من الأصابع في الآذان. وعلماء البلاغة يقولون: هو مجاز مرسل. وأنهم لم يضعوا كل الأصابع بل بعض الأصابع، لاستحالة وضع الأصابع كلها في الأذن. أي أن من أخذ بظاهر النص حكم بأنه مجاز مرسل، ومن نظر إلى المعنى المراد من النص، حكم بأنه كناية. ومن يجمع بينهما يقول: هو مجاز في بعض الأصابع. ثم يقول: والنص كناية عن الإعراض عن دعوة نوح ـ عليه السلام ـ.

الله يكلم الناس على قدر عقولهم

١ - وقد كلم الله بني آدم بلسانهم على قدر عقولهم، عن ذاته وصفاته، ليقدروا على تصور ذاته وصفاته.

٢ - وبين لهم أنه ليس كمثله شئ.

وهذا في القرآن وفي التوراة.

فإن نصوص نفي المثلية عن الله تعالى في التوراة كثيرة جداً، وفي القرآن نصوص. وفي التوراة وفي القرآن: أن الله يجئ ويكشف عن ساقه، وله يد، وعينان. هذا كله مذكور في الكتابين.

ومن يأخذ بأحد معنيي المتشابه، الذي يدل على تجسيم الله، ولا يعرف المحكم، ولا كيفية الرد إليه، فإنه يحكم بالجسمية، ومثله من يجمع بين إثبات الصفات ونفي المثل.

فيقول: لله يد ولكن ليست كأيدينا. فإنه تلزمه الجسمية ولو لم يصرح بها.

ففي بعض الكتب قرأنا: أن اليهود يجسمون الله تعالى؛ لأنه مكتوب في التوراة: «ثم ذكر الله نوحاً» [تك٩:١] فإن ظاهره يدل على أنه كان قد نسيه.

وأن الله ندم على خلق بني آدم، ففي التوراة: «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه» [تك٦:٦] والمؤلف لو كان عارفاً بالنصوص المحكمة التي تنفي الشبه عن الله تعالى. لما حكم بأن التوراة تجسم الله تعالى.

وكذلك لو كان عارفاً بآيات القرآن. ففيها: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢] وفيها: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ وفيها: ﴿وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] وقال هذا المؤلف: إن في التوراة: أن الله صارع يعقوب ـ عليه السلام ـ وهذا يدل على التجسيم. ولم يكلف نفسه قراءة النص في مواضع آخر، أو في ترجمة أخرى. ففي سفر هوشع: أن المصارع ملاك، وفي التوراة السامرية: أن المصارع ملاك. بل في القرآن: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ ؟ والنص في التوراة: أن معهم ملاك الله. نيابة عنه.

وقول اليهود: إن الله بخيل، وإهانتهم له. هذا شئ. ونصوص التوراة شئ آخر. فإنه لما سقطت دولتهم؛ هانوا على أنفسهم، ويئسوا من رحمة الله، فسبوه ولعنوه ـ عليهم اللعنة ـ وكتبوا في التلمود كثيراً من سفههم وعبثهم. أما التوراة. فإنها مصرحة بنفي المثل عن الله تعالى. ويجب على المسلمين إبراز هذه المعاني بالحق. لقوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]. وما قيل للرسل في التوحيد وفي التنزيه هو في التوراة.

وهذه نصوص تنفي المثل عن الله تعالى من التوراة وأسفار الأنبياء:

١ - «ليس مثل الله» [تثنية ٣٣:٢٦] .

٢ - «يا أالله من مثلك؟» [مزمور٧١:١٩] .

٣ - «يا رب ليس مثلك، ولا إله غيرك» [أخبار الأيام الأول ١٧:٢٠] .

٤ - «اذكروا الأوليات منذ القديم. لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي» [إشعياء:٤٦:٩] .

النص المحكم والمتشابه عن الله تعالى
في التوراة وفي القرآن

علماء المسلمين كلهم متفقون على أن الله ليس جسماً. حتى الذين يقولون: نسلم بظواهر النصوص عن صفات أعضائه وصفات فعله، مع نفي المثل عنها، يقولون: لا يمكن أن نصرح بالجسمية. لأن الجسمية تدل على قيام الحوادث بذات الله تعالى، وتدل على تغير الجسم من حال إلى حال. والله لا يليق به ذلك. وكل العلماء متفقون على أن الجسمية منفية عن الله تعالى من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .

وهذا القول بالمعنى في التوراة. في الأسفار الخمسة، وأسفار الأنبياء. بل في التوراة: أن موسى - عليه السلام - طلب رؤية الله، وامتنعت عليه، وفيها: أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم. وفيها: الله نور السموات والأرض. وفيها أن الله يعلم ويرى. فالنصوص المحكمة متفق عليها وواضحة أكثر فأكثر من سفر الزبور لداود - عليه السلام - وهذه نصوص من نصوص كثيرة، مفرقة على ستة وأربعين سفرا.

أولاً: النص المحكم والمتشابه على نفي الجسم عن الله في التوراة:

١ - «وأما وجهي فلا يُرى» [خروج ٣٣:٢٣] .

٢ - «فحدث إذ كان هرون يكلم كل جماعة بني إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية، وإذا مجد الرب قد ظهر في السحاب. فكلم الرب موسى» [خر١٦:١٠-١١] .

٣ - «وأما موسى فاقترب إلى الضباب، حيث كان الله» [خر٢٠:٢١] .

٤ - «وحل مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دعى موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل، أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب» [خر ٢٤:١٦-١٨] .

٥ - «فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادى باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه. ونادى: الرب الرب. إله رحيم ورءوف، بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرئ إبراء» [خر ٣٤:٥-٧]

٦ - «بالرب إلهكم، السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم، وفي نار

ليلاً ليريكم الطريق التي تسيرون فيها، وفي سحاب نهاراً» [تثنية ١:٣٢-٣٣] .

٧ - «فانتقل ملاك الله، السائر أمام عسكر إسرائيل وسار وراءهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف وراءهم» [خروج ١٤:١٩] .

٨ - «ليس مثل الله» [تث ٣٣:٢٦] .

٩ - «فبمن تشبهون الله؟ وأي شبه تعادلون به؟» [إش ٤٠:١٨] .

ثانياً: النص المحكم والمتشابه على نفي الجسم عن الله في القرآن:

١ - ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾؟ [مريم:٦٥] أي مثلاً.

٢ - ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] .

٣ - ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] .

٤ - ﴿ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف:١٤٣] .

٥ - ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ أي جاء أمره [1] ؛ لاستحالة الجسمية عنه بنفي المثل.

المقارنة:

أ - نفي المثل عن الله. متفق عليه بين القرآن والتوراة.

ب - المرئي مجد الرب، لا ذات الرب.

ج - الرب السائر مُفسَّر بملاك الرب، لا بذات الرب.

ثالثاً: النص المحكم والمتشابه على نفي المكان عن الله في التوراة:

١ - «في كل الأماكن التي أصنع فيها لاسمي ذكرا؛ آتي إليك وأُباركك» [خر٢٠:٢٤].

٢ - «وأمَّا نوح، فوجد نعمة في عيني الرب» [تك٦:٨].

٣ - «حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب» [عدد ٣٢:١٣] .

٤ - «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة. أفما أراه أنا؟ يقول الرب»

(١) هذا على كلام المفسرين. والصحيح أن ربك يعني به «سيدك» أي جاء سيدك يا يهودي. وهو محمد ﷺ لنزع الملك منك من فلسطين ومعه أتباعه الملقبون في التوراة والإنجيل بالملائكة.

رابعاً: النص المحكم والمتشابه على نفي المكان عن الله في القرآن:

١ - ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣] .

٢ - ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦] .

٣ - ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ؟﴾ [الملك:١٦] .

٤ - ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] .

تصحيح خطأ:

وعلى هذا الذي قدمناه؛ يتوجب قراءة النص التالي بحذر. وهو من كتاب «بدائع الفوائد» لابن قيِّم الجوزية.

النص:

«قال القاضي: صنَّف المروزي كتاباً في فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه إقعاده على العرش» قال القاضي: «وهو قول أبي داود، وأحمد بن أصرم، ويحيى بن أبي طالب، وأبي بكر بن حماد، وأبي جعفر الدمشقي، وعياش الدوري، وإسحق بن راهويه، وعبد الوهاب الورَّاق، وإبراهيم الأصبهاني، وإبراهيم الحربي، وهرون ابن معروف، ومحمد بن بشر بن شريك، وأبي قلابة، وعلي بن سهْل، وأبي عبد الله بن عبد النور، وأبي عبيد، والحسن ابن فضل. وهرون بن العباس الهاشمي، وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد، ومحمد بن يونس البصري. وعبد الله بن الإمام أحمد، والمروزي، وبشر الحافي».

قلت: وهو قول ابن جرير الطبري. وإمام هؤلاء كلهم مُجاهد. إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني» أ.هـ

كيفية رد المتشابه إلى المحكم

١ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ قول محكم. يدل على أنه بعلمه في كل مكان. وقلنا بعلمه، ولم نقل بذاته؛ لأن الجسمية ممتنعة عن الله. وقوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ نص متشابه. يحتمل:

١ - أنه بذاته في السماء.

٢ - أنه هو الإله وليس غيره. وعبَّر بالسماء؛ لأنها جهة العلو. والمتفق مع المحكم: هو المعنى الثاني.

٣ - قول الله في التوراة - إن كان هو القائل -: «أما أملأ أنا السموات والأرض؟» قول محكم. يدل على أن الله بعلمه في كل مكان.

وقوله: «آتي إليك» قول متشابه. يحتمل:

١ - أنه يحل بذاته في مكان ويترك أمكنة.

٢ - تأتي رحمته وبركته.

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

٣ - قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ نص محكم ينفي الجسمية. وقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قول متشابه. يحتمل:

١ - جاء على رجليه.

٢ - وجاءت رحمته [1].

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

٤ - في التوراة: «لا مثل الله» وهو نص محكم ينفي الجسمية. وفيها: «فنزل الرب في السحاب» وهو نص متشابه. يحتمل:

١ - نزول الرب بذاته؛ فيكون جسماً.

٢ - نزول رحمته.

والمتفق مع المحكم هو المعنى الثاني.

(١) هذا على تفسير القدماء. والصحيح: سيدك.

تنزيه الله عن الجسمية وعن مشابهته للحوادث في التوراة والقرآن

ومن يعقد مقارنة بين آيات القرآن، الدالة على نفي الجسم عن الله ـ تعالى ـ وعدم مشابهته للحوادث، وبين التوراة في نفس المعاني؛ يجد المشابهة حاصلة وواضحة. وهذا واضح مما تقدم، ومما يأتي:

١ – في القرآن: أن الله لا تأخذه سِنة ولا نوم. ذلك قوله: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وفي التوراة: يقول داود ـ عليه السلام ـ: «معونتي من عند الرب. صانع السموات والأرض. لا يدع رجلك تزلّ. لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب حافظك» [مزمور ١٢١: ٢-٤].

والنصارى يقولون: إن عيسى ـ عليه السلام ـ إله. أو هو الإله. رب العالمين. ويقولون: إنه كان نائماً على وسادة في المركب. والتوراة تقول: إن الله رب العالمين لا ينام. والقرآن يقول: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ فيلزم عليهم: إما تكذيب التوراة، وإما أن عيسى ـ عليه السلام ـ ليس هو الله رب العالمين.

يقول مرقس: «وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلى العبر. فصرفوا الجمع، وأخذوه، كما كان في السفينة. وكانت معه أيضاً سفن أخرى صغيرة. فحدث نوء ريح عظيم. فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة، حتى صارت تمتلئ. وكان هو في المؤخر على وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له: «يا معلم. أما يهمك أننا نهلك»؟ [مرقس٤: ٣٥-].

٢ – في القرآن الكريم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وهو نص متشابه. يحتمل:

١ – جسم ينير.

٢ – كناية عن أن كلامه يهدي أهل السموات والأرض، كما يهدي نور القمر طريق من يسير في الليل. وقد جرت عادة الناس أن يقولوا في الترحيب بالضيف: أنت نوّرت المكان. كناية عن سرورهم به.

والمتفق مع المحكم وهو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: المعنى الكنائي.

وفي التوراة:

أ – «ارفع علينا نور وجهك يا رب» [مزمور:٤:٦].

ب – «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم؛ لكن يمينك وذراعك، ونور وجهك؛ لأنك رضيت عنهم»

ج – «يا رب بنور وجهك يسلكون» [مزمور٨٩:١٥].

د – «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً» [مزمور٣٦:٩].

و – «نور وجهك» نص متشابه. يحتمل:

١ – وجه مجسم منير.

٢ – كناية عن الاهتداء بأمره.

ومحكمه هو: «ليس مثل الله» والمتفق مع المحكم هو المعنى الكنائي.

الفصل الثاني

في

ختم الرؤيا والنبوة

أ – «موسى بن عمران خاتم النبيين»

جملة. لو قالها اليهودي. فإنه يكون صادقاً ويكون كاذباً. يكون صادقاً إذا قال: هو خاتم النبيين في بني إسحق. ويكون كاذباً إذا قال: هو خاتم النبيين إلى يوم القيامة.

ب – «اليهود أفضل أهل العالم»

جملة. لو قالها اليهودي فإنه يكون صادقاً إذا عني بها أهل زمانه من قبل مجئ محمد ـ عليه السلام – ويكون كاذباً إذا عني بها نفسه على الإطلاق.

ومن يشهد أن موسى ـ عليه السلام ـ ليس خاتم النبيين؟

يشهد عليه شاهدان:

أولهما: موسى نفسه.

وثانيهما: أنبياء بني إسرائيل. ومنهم داود ودانيال وعيسى ابن مريم.

أولاً: شهادة موسى على أنه ليس خاتم النبيين:

اعترف موسى ـ عليه السلام ـ بأن الله تعالى سيرسل من بعده نبياً، نوراً وهدى للناس. فلو كان هو خاتم النبيين، لما اعترف بنبي يأتي من بعده؛ ليسمع له بنو إسرائيل ويطيعون.

وإذا قال اليهود: إن النبي الآتي سيأتي من اليهود. فإن ظاهر قولهم يدل على أن ختم الرؤيا والنبوة ليس بموسى ـ عليه السلام ـ وتصريحه بنبي من بعده على مثاله، يكلمهم بكلام الله، يدل على أن النبي الآتي سيكون صاحب شريعة، كما كان هو.

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يُقيم لك الرب إلهك نبياً. من وسطك. من إخوتك. مثلي. له تسمعون. . . إلخ».

ثانياً: شهادة دانيال على أن موسى ليس خاتم النبيين:

في الأصحاح التاسع من سفر دانيال يقول له جبريل ـ عليه السلام ـ: «سبعون أسبوعا

قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليُؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين».

فختم الرؤيا والنبوة سيكون بعد سبعين أسبوعاً، من حياة دانيال ـ على ظاهر النص ـ ودانيال كان بعد موسى بألف عام تقريباً. وهذا يدل على أن موسى ليس خاتم النبيين. والأسبوع في لغتهم: سبع سنين. لا سبعة أيام.

س – ولماذا خلق الله تعالى عيسى بلا أب؟

جـ – لقد قلنا ما نصه في التعليق على الجواب الصحيح: «اعلم: أن الله – تعالى – خلق عيسى ـ عليه السلام ـ من أم دون أب. لحكمة يعلمها هو. وهي في نظرنا – والله تعالى أعلم –: أن موسى ـ عليه السلام ـ في التوراة قد أخبر عن نبي سيأتي من بعده؛ ليقيم الدين، وله يسمع اليهود ويطيعون. وهذا النبي يكون من بني إسماعيل. من العرب؛ لأن الله بارك في إسماعيل ـ عليه السلام ـ في الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين. وقد شكك اليهود في هذا النبي المنتظر. يقول السامريون منهم: إنه سيكون من سبط يوسف ـ عليه السلام ـ ويقول العبرانيون منهم: إنه سيكون من سبط يهوذا. وفي حكمة الله: أنه سيرسل نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ ليبين لبني إسرائيل: أن النبي الآتي سيكون من بني إسماعيل، وأن اسمه سيكون «محمداً» و«أحمد» ولأن الله يعلم: أن اليهود منافقون وكاذبون، وسيصرفون النبوة عن «محمد» بـ «عيسى» بقولهم: إن النبي المنتظر هو عيسى نفسه، وما كنا له بعارفين. **وبذلك يختمون النبوة فيهم، لا في بني إسماعيل**؛ أراد الله تعالى أن يخلق عيسى بدون أب – لأن النبي المنتظر معلوم النسب – حتى لا يقول السامريون: إن النبي المنتظر الآتي منَّا، وحتى لا يقول العبرانيون: إن النبي المنتظر الآتي منا. ولكن النصارى قالوا: إنه هو النبي المنتظر، الذي ختُمت به النبوة. وهم يعلمون أنه بلا أب. ونسبوه إلى داود ـ عليه السلام ـ وهو من سبط يهوذا. وكيف ينتسب إليه وهو من غير أب؟ لا يصح أن ينتسب إليه. فإذا لا يكون هو النبي المنتظر.

ومريم أُمُّه كانت من نسل هارون ـ عليه السلام ـ من سبط لاوي. وكان يجب عليهم أن ينسبوه إلى هارون تبعاً لأمه. فماذا فعلوا؟ أتى العبرانيون الذين ولد عيسى فيهم باسم رجل وهمي، وهو يوسف النجار، من سبط يهوذا، وادعوا: أنه خطيب مريم. ونسبوا عيسى إلى

يوسف خطيب مريم، لا زوج مريم. وصار بالنسب هو النبي الآتي من سبط يهوذا. وأي عقل يصدق هذا؟ هل يصدق عاقل أن عيسى صار من داود من نسبته فقط إلى خطيب لأمه؟ وكل النصارى يعتقدون: أن عيسى - عليه السلام - وُلد بلا رجل. وإذا نسبوه إلى سبط أمه، لا يلامون. وإنما يُلامون إذا نسبوه إلى سبط ليس أبوه منه. ولم يكن له أب، حتى يكون منتسباً إلى سبط أبيه. وقد أشار الله - تعالى - بقوله: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ [مريم:٢٨] إلى هذا الأمر. وهو قول يهدُّ النصرانية من الأساس» أ هـ.

ما المراد بالنبي الخاتم؟

ولا يعني موسى - عليه السلام - بالنبي الذي سيخلفه. أي نبي. وإنما يعني نبياً صاحب شريعة من السماء. فختم الرؤيا والنبوة هو بشريعة غير شريعة موسى، لا بأي نبي من الأنبياء، فداود - عليه السلام - نبي، وعيسى - عليه السلام - نبي، وقد كان إلياس نبياً، واليسع، ويونس - عليهم السلام - وكلهم كانوا في الزمان من بعد موسىٰ. وهو لا يعنيهم بختم الرؤيا والنبوة. وإنما يعني نبياً صاحب شريعة، نبياً يُقيم الدين بشريعته، كما أقامته شريعته حقبة من الزمان. وهذا النبي الآتي يختلف عن داود، وعن عيسى، مع أنه سيكون صاحب كتاب مثلهما. ووجه الاختلاف هو: أن كتاب داود، ليس فيه شريعة تحل وتحرم وتثبت من التوراة وتنسخ، وكتاب عيسى، ليس فيه شريعة تحل وتحرم وتثبت من التوراة وتنسخ. أما النبي الآتي فإنه نبي يقيم الدين بشريعة تحل وتحرم كشريعة موسى، سواء بسواء.

وفي إنجيل يوحنا: أن النبي الآتي مثل موسى [تث ١٨: ١٥ - ٢٢] قد اعترف يوحنا المعمدان - وهو النبي يحيى - بأنه ليس هو النبي الآتي مثل موسى. والمعمدان معاصر لعيسى - عليه السلام -. وفي إنجيل بَرْنابا: اعترف عيسى بأنه ليس هو النبي الآتي مثل موسى. ومعنى اعترافَيْهما: هو أن النبي الآتي إلى زمانيهما لم يظهر. فمن هو الذي قد أتى من بعدهما؟ ومن أي نسل هو؟ إنه هو محمد - عليه السلام - وهو من نسل إسماعيل - عليه السلام - فلماذا لا يكون هو النبي الخاتم؟ وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٣] أي اعترفوا بنبوة محمد، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي لا نعترف إلا بنبوة موسى ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ [البقرة:٩١] أي يكفرون بنبوة النبي

محمد ﷺ ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١] أي مقراً بما في التوراة عن الله والنبوات. وقد ردَّ الله نفسه عليهم فقال: ﴿قُلْ﴾ يا محمد أنت وأتباعك لهم على طول الزمان: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ؟﴾ [البقرة:٩١] أي من بعد موسى. ومن قبل محمد. كنتم تقتلون أنبياء الله، مع أنهم لم يأتوا بأدنى مخالفة للتوراة. والذي يقتل غير المخالف، لا يُستبعد منه قتل المخالف وإهمال دعوته. فأنتم معاندون.

النبي الخاتم لن يظهر من بني إسرائيل

والنبي الذي به ختم الرؤيا والنبوة لن يظهر من بني إسرائيل. والدليل على ذلك من كتاب موسى نفسه:

إن موسى قال:

١ - إن النبي الآتي مثلي.

٢ - وقال موسى: والآتي مثلي لن يكون من بني إسرائيل.

٣ - وحدد موسى المثلية بثلاثة أوصاف:

أ - المعجزات.

ب - الانتصار على الأعداء في الحروب.

جـ - الرئاسة والملك.

١ - والدليل على أن النبي الآتي مثل موسى: قول موسى نفسه: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك. من إخوتك مثلي. له تسمعون» [تث١٨:١٥] فقوله «مثلي» لا يريد به أي نبي. بل نبي مماثل له. وقد كان صاحب معجزات، وصاحب شريعة، وكان ملكاً ورئيساً ومطاعاً في بني إسرائيل. ولم يظهر من بعده مثله في الأمور الثلاثة من بني إسرائيل.

٢ - والدليل على أن النبي الآتي مثل موسى، لن يكون من بني إسرائيل: قول موسى نفسه: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى» [تث ٣٤:١٠].

ومن الفروق بين السامريين والعبرانيين: ذلك النص. فالسامريون يقولون: لن يقوم بعد موسى نبي. أي لا ينسخ شريعته واحد من اليهود. والعبرانيون يقولون: عَزْرا كاتب التوراة

زمن سبي بابل. عَزْرا. في زمانه وهو زمان سبي «بابل» يقول: لم يكن قد جاء النبي المنتظر. ويرد عليهم السامريون وغيرهم بأن هذا معناه أن التوراة ليست من عهد موسى ولا من كتابته وهذا يدل على أنها محرفة، وبأن اللغة العبرانية لم يكن لها حروف مد، ولا كانت صيغ الأفعال فيها منضبطة. ولذلك استعمل اليهود الفعل الماضي للدلالة على المضارع والمستقبل وبالعكس. وهذا مذكور في كتب اللغة العبرانية إلى هذا اليوم.

٣ - والدليل على أن المثلية محددة بثلاثة أوصاف: قول موسى نفسه: «ولم يقم بعدُ نبي في إسرائيل مثل موسى، الذي عرفه الرب وجهاً لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسلها الرب، ليعملها في أرض مصر، بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه، وفي كل اليد الشديدة، وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع بني إسرائيل» [تث ٣٤: ١٠-١٢].

أ - في جميع الآيات. في مصر.

ب - وفي كل اليد الشديدة.

جـ - وكل المخاوف. في اليهود.

وعيسى - عليه السلام - وهو آخر نبي ظهر في بني إسرائيل، قد اعترف بأنه ليس صاحب شريعة يُقيم الدين بها، وبأنه ليس ملكاً، وبأنه لن يحارب أعداءه. ذلك لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» ولقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» ورفض الملك على شعب نايين. وصرح بأنه لا يطلب مجداً في قوله: «أنا لست أطلب مجدي، يُوجد من طلب ويدين» أي سيأتي من بعدي من يطلب المجد ويدين العالم، ويحيى - عليه السلام - الذي قد ولد قبل عيسى بنصف عام ودعا بمثل دعوة عيسى - عليه السلام - اعترف بأن النبي الذي سيقيم الدين كموسى، سيأتي من بعده. ومعنى اعترافه المدون في أول الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: هو أن النبي الآتي لينسخ شريعة موسى، والمكتوب عنه في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية، لم يكن قد ظهر من قبل زمانه.

يقول يوحنا الكاتب عن يوحنا المعمدان: «كان إنسان مرسل من الله، اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة. ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. **كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالَم** » [يو ١: ٦-٩].

لاحظ:

«كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالَم»

والمعنى: أن النبي الأمي الآتي إلى العالم ليقيم الدين كما أقامه موسى من قبل، لم يكن قد أتى قبل المَعْمَدَان ويسوع - عليهما السلام - واليهود يقولون: إن هذا النبي لم يظهر إلى زماننا هذا. والنصارى يقولون: إنه هو المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -

ونحن نقول بأنه ليس هو المسيح عيسى لأسباب:

أولاً: أن عيسى من بني إسرائيل. ونص التوراة يبين أن الآتي لن يكون من بني إسرائيل.

ثانياً: أن عيسى لم يأت بشريعة ليقيم بها الدين. فقد كان مصدقاً للتوراة.

ثالثاً: أن التوراة محرفة في زمان سبي بابل. والكتاب المحرف لا يكون نوراً وهدى للناس من بعد التحريف.

رابعاً: أن عيسى لم يحارب ولم ينتصر ولم يملك على قومه.

خامساً: أن عيسى نفسه دعا كما دعا يوحنا إلى اقتراب زمان هذا «النبي الأمي» فقد دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات معاً.

يقول متى: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان، يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٣: ١-٢].

ويقول متى: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [مت ٤: ١٧].

ولقب عيسى - عليه السلام - محمداً رسول الله ﷺ بلقب «الروح القدس» أي الآتي من قِبَل الله الطاهر، لا من قبل الشيطان النجس. وسماه «بِيرَاكْلِيت» أي «أحمد» وقال لتلاميذه: إنني لن أعلمكم كثيراً. وإذا جاء النبي الأمي. فإنه سيعلمكم كل شئ.

وفي هذا المعنى جاء في القرآن الكريم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

أي يسألونك عن «بيركليت» الموصوف بالروح، الذي إتيانه من أمر الله، أي أن الله هو الذي يريد إرساله رحمة للعالمين. وأنتم يا أهل الكتاب: ما أوتيتم من عيسى بن مريم من العلم إلا قليلاً.

ففي إنجيل يوحنا يقول عيسى ـ عليه السلام ـ : «والكلام الذي تسمعونه ليس لي، بل للآب الذي أرسلني. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المُعزِّى الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي ؛فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يو١٤: ٢٤ - ٢٦].

انظر إلى قوله «المُعزِّى» وقد وضعها النصارى في التراجم الحديثة بدل «باركْليت» و«بيركليت» اسم أحمد. ووصفه بـ «الروح» وقال: إنه سيعلمكم كثيراً، وأنا لم أعلمكم إلا قليلاً [1].

النبي الخاتم يظهر
من بني إسماعيل

والنبي الذي به ختم الرؤيا والنبوة يظهر من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ والدليل على ذلك من كتاب موسى نفسه:

١ - أن موسى صرح بأن الله قد استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل بأن يكون منه دعاة إلى الله، ووعده ببركة في نسله. مساوية لبركة إسحق ـ عليه السلام ـ.

٢ - أن موسى فسر البركة بالملك والنبوة.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين:

أ - «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سِرْ أمامي، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً».

والمعنى:

١ - سر أمامي. أي ادع الأمم إلى معرفتي وعبادتي، وانههم عن معرفة الأصنام والأوثان وعبادتها.

٢ - وكن كاملاً. أي قدوة صالحة في فعل الخيرات.

ب - «وقال الله لإبراهيم: ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى. بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. فتكون أمماً. وملوك شعوب منها يكونون».

(١) راجع كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل - نشر دار البيان العربي بمصر.

جـ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثنى عشر رئيساً يلد، وأجعله أمة كبيرة».

والمعنى: -

أولاً: من بعد موت إبراهيم، يقوم نسل إسحق بالسير أمام الله. فيدعون الأمم والشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحاربون من يفتن المسلمين عن دينهم، ومن يصد عن سبيل الله. ويترأسون على الأمم والشعوب، للتمكين لشريعة الله التي سينزلها على نبي منهم.

ثانياً: في نهاية زمان بركة إسحق. يظهر نبي من بني إسماعيل. ليسير معه بنو إسماعيل أمام الله. فيدعون الأمم والشعوب بالحكمة والموعظة الحسنة، ويحاربون من يفتن المسلمين عن دينهم، ومن يصد عن سبيل الله، ويترأسون على الأمم والشعوب، للتمكين لشريعة الله، التي سينزلها على نبي منهم.

فالبركة معناها: أ - نبوة. ب - ومُلك.

وذلك بأن يظهر من نسل إسحق نبي بشريعة إلهية، ويلتف حوله بنو إسحق، ليمكنوا لها في الأرض. ويظهر من نسل إسماعيل نبي بشريعة إلهية، ويلتف حوله بنو إسماعيل، ليمكنوا لها في الأرض.

ويشهد التاريخ بذلك. فقد كان موسى بن عمران من بني إسحق، وكان محمد بن عبد الله من بني إسماعيل.

السَّيْرُ أمَامَ اللّه

وقد وضح عيسى ـ عليه السلام ـ معنى السير أمام الله في هذا النص[1]:

«ثم قال يسوع: كان رجل على سفر، وبينما كان سائراً، وجد كنزاً في حقل [2] معروض للمبيع بخمس قطع من النقود، فلما علم الرجل ذلك، ذهب توّاً وباع رداءه.

(١) برنابا ٢٦ وما بعده. (٢) متى ١٢: ٤٤.

ليشتري ذلك الحقل. فهل يصدق ذلك؟

أجاب التلاميذ: إن من لا يصدق هذا فهو مجنون. فقال عندئذ يسوع: إنكم تكونون مجانين إذا كنتم لا تعطون حواسكم لله، لتشتروا أنفسكم، حيث يستقر كنز المحبة؛ لأن المحبة كنز لا نظير له؛ لأن من يحب الله، كان الله له، ومن كان الله له، كان له كل شئ.

أجاب بطرس: قل يا مُعلِّم كيف يجب على الإنسان أن يحب الله محبة خالصة؟ فأجاب يسوع: الحق أقول لكم: إن من لا يبغض أباه وأمه وحياته وأولاده وامرأته، لأجل محبة الله [١] فمثل هذا ليس أهلاً أن يحبه الله. أجاب بطرس: يا معلم لقد كُتب في ناموس الله، في كتاب موسى: «أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرض» [٢] ثم يقول أيضاً: «ليكن ملعوناً الابن الذي لا يطيع أباه أو أمه» [٣] ولذلك أمر الله بأن يرجم مثل هذا الابن العقوق أمام باب المدينة [٤] وجوباً بغضب الشعب، فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا؟

أجاب يسوع: كل كلمة من كلماتي صادقة؛ لأنها ليست مني، بل من الله الذي أرسلني[٥] إلى بيت إسرائيل. لذلك أقول لكم: إن كل ما عندكم قد أنعم الله به عليكم. فأي الأمرين أعظم قيمة؟ العطية أم المعطي؟ فمتى كان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك في خدمة الله، فانبذهم كأنهم أعداء. ألم يقل الله لإبراهيم: «اخرج من بيت أبيك وأهلك[٦] وتعال اسكن في الأرض التي أعطيها لك ولنسلك»؟ ولماذا قال الله ذلك؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبد آلهة كاذبة؟ لذلك بلغ العداء بينهما حداً، أراد معه الأب أن يحرق ابنه.

أجاب بطرس: إن كلماتك صادقة، وإني أضرع إليك أن تقص علينا:

(١) لوقا ١٤:٢٦ .
(٢) خروج ٢٠:١٢ .
(٣) تثنية ٢٧:١٦ .
(٤) تثنية ٢١:١٨ ـ ٢١ .
(٥) يوحنا ١٤:٢٤ .
(٦) تكوين ١٢:١ .

كيف سخر إبراهيم من أبيه؟

أجاب يسوع: كان إبراهيم ابن سبع سنين، لما ابتدأ أن يطلب الله. فقال يوماً لأبيه: يا أبتاه من صنع الإنسان؟ أجاب الوالد الغبي: الإنسان. لأني أنا صنعتك، وأبي صنعني. فأجاب إبراهيم: يا أبي ليس الأمر كذلك؟ لأني سمعت شيخاً يتحب ويقول: يا إلهي لماذا لم تعطني أولاداً؟ أجاب أبوه: حقاً يا بني. الله يساعد الإنسان ليصنع إنساناً، ولكنه لم يضع يده فيه. فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه، ويقدم له حملاناً وغنماً، ليساعده إلهه.

أجاب إبراهيم: كم إلهاً هنالك يا أبي؟ أجاب الشيخ: لا عدد لهم يا بني. فحينئذ أجاب إبراهيم: ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلهاً، وأراد بي الآخر شراً؛ لأني لا أخدمه؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاق، ويقع الخصام بين الآلهة. ولكن إذا قتل الإله الذي يريد بي الشر إلهي، فماذا أفعل؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً. فأجاب الشيخ ضاحكاً: لا تخف يا بني؛ لأنه لا يخاصم إله إلهاً. فإن في الهيكل الكبير ألوفاً من الآلهة مع الإله الكبير بعْل. وقد بلغتُ الآن سبعين سنة من العمر، ومع ذلك فإني لم أر قط إلهاً ضرب إلهاً آخر. ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلهاً واحداً، بل يعبد واحد إلهاً، وآخر آخر.

أجاب إبراهيم: فإذاً يوجد وفاق بينهم. أجاب أبوه: نعم يوجد. فقال حينئذ إبراهيم: يا أبي أي شئ تشبه الآلهة؟ أجاب الشيخ: يا غبي إني كل يوم أصنع إلهاً أبيعه لآخرين لأشتري خبزاً، وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة؟ وكان في تلك الدقيقة يصنع تمثالاً. فقال: هذا من خشب النخل، وذاك من الزيتون، وذلك التمثال الصغير من العاج. انظر ما أجمله. ألا يظهر كأنه حيّ. حقاً. لا يعوزه إلا النفس.

أجاب إبراهيم: إذاً يا أبي ليس للآلهة نفس، فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياة؛ فكيف يعطون إذاً الحياة؟ فمن المؤكد يا أبي إن هؤلاء ليسوا هم الله. فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلاً: لو كنت بالغاً من العمر ما تتمكن معه من الإدراك لشججتُ رأسك بهذه الفأس، ولكن اصمت إذ ليس لك إدراك. أجاب إبراهيم: يا أبي إن كانت الآلهة تساعد

على صنع الإنسان، فكيف يتأتّى للإنسان أن يصنع آلهة؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعة من خشب؛ فإن إحراق الخشب خطيئة كبرى. ولكن قل لي يا أبت: كيف وأنت قد صنعت آلهة هذه عديدها، لم لم تساعدك الآلهة لتصنع أولاداً كثيرين، فتصير أقوى رجل في العالم؟

فحنق الأب لما سمع ابنه يتكلم هكذا. فأكمل الابن قائلاً: يا أبت هل وُجد العالم حيناً من الدهر بدون بشر؟ أجاب الشيخ: نعم. ولماذا؟ قال إبراهيم: لأني أحب أن أعرف من صنع الإله الأول؟ فقال الشيخ: انصرف الآن من بيتي، ودعني أصنع هذا الإله سريعا، ولا تكلمني كلاماً، فمتى كنت جائعاً فإنك تشتهي خبزاً لا كلاماً. فقال إبراهيم: إنه لإله عظيم فإنك تقطعه كما تريد، وهو لا يدافع عن نفسه. فغضب الشيخ وقال: إن العالم بأسره يقول: إنه إله، وأنت أيها الغلام الغبي تقول: كلا. فوآلهتي لو كنت رجلاً لقتلتك. ولما قال هذا، ضرب إبراهيم ورفسه، وطرده من البيت.

فضحك التلاميذ من حمق الشيخ، ووقفوا منذهلين من فطنة إبراهيم. ولكن يسوع وبخهم قائلاً: لقد نسيتم كلام النبي القائل [1]: «الضحك العاجل نذير البكاء الآجل» وأيضاً: «لا تذهب إلى حيث الضحك، بل اجلس حيث ينوحون؛ لأن هذه الحياة تنقضي في الشقاء» ثم قال يسوع: ألا تعلمون أن الله في زمن موسى مسخ ناساً كثيرين في مصر، حيوانات مخوفة؛ لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين. احذروا من أن تضحكوا من أحد مّا، لأنكم بكاء تبكون بسببه. أجاب التلاميذ: إننا ضحكنا من حماقة الشيخ. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: كل نظير يحب نظيره. فيجد في ذلك مسرة. ولذلك لو لم تكونوا أغبياء، لما ضحكتم من الغباوة. أجابوا: ليرحمنا الله. قال يسوع: ليكن كذلك.

حينئذ قال فيلبُّس: يا معلم كيف حدث أن أبا إبراهيم أحب أن يحرق ابنه؟ أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم اثنتي عشرة سنة من العمر، قال له أبوه يوماً: غداً عيد كل الآلهة؛ فلذلك تذهب إلى الهيكل الكبير، وتحمل هدية لإلهي بَعْل العظيم، وأنت تنتخب لنفسك إلهاً؛ لأنك بلغت سناً يحق لك معه اتخاذ إله، فأجاب إبراهيم بمكر: سمعا وطاعة يا أبي. فبكر في الصباح إلى الهيكل قبل كل أحد. ولكن إبراهيم كان يحمل تحت صورته فأساً مستورة. فلما دخل الهيكل، وازداد الجمع خبأ إبراهيم نفسه وراء صنم في ناحية مظلمة في

(١) جامعة ٧:٢ ـ ٣ .

الهيكل، فلما انصرف أبوه، ظن أن إبراهيم سبقه إلى البيت. ولذلك لم يمكث ليفتش عليه.

ولما انصرف كل أحد من الهيكل، أقفل الكهنة الهيكل، وانصرفوا. فأخذ إبراهيم إذا ذاك الفأس، وقطع قوائم جميع الأصنام، إلا الإله الكبير بعلاً. فوضع الفأس عند قوائمه بين جُذاذ التماثيل، التي تساقطت قطعاً؛ لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء.

ولما كان إبراهيم خارجاً من الهيكل، رآه جماعة من الناس، فظنوا أنه دخل ليسرق شيئاً من الهيكل، فأمسكوه. ولما بلغوا به الهيكل، ورأوا آلهتهم محطمة قطعاً، صرخوا متحبين: أسرعوا يا قوم. ولنقتل الذي قتل آلهتنا. فهرع إلى هناك نحو عشرة آلاف رجل مع الكهنة، وسألوا إبراهيم عن السبب الذي لأجله حطّم آلهتهم. أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء أيقتل الإنسان الله؟ إن الذي قتل إنما هو الإله الكبير. ألا ترون الفأس التي له عند قدميه؟ إنه لا يبتغي أنداداً.

فوصل حينئذ أبو إبراهيم، الذي ذكر أحاديث إبراهيم في آلهتهم، وعرف الفأس التي حطم بها إبراهيم الأصنام. فصرخ: إنما قتل آلهتنا ابني الخائن هذا؛ لأن هذه الفأس فأسي. وقص عليهم ما جرى بينه وبين ابنه.

فجمع القوم مقداراً كبيراً من الحطب، وربطوا يدي إبراهيم ورجليه، ووضعوه على الحطب، ووضعوا ناراً تحته. فإذا الله قد أمر النار بواسطة ملاكه جبريل، أن لا تحرق عبده إبراهيم. فاضطرمت النار باحتدام، وحرقت نحو ألفي رجل من الذين حكموا على إبراهيم بالموت. أما إبراهيم فقد وجد نفسه مطلق السراح. إذ حمله ملاك الله إلى مقربة من بيت أبيه، دون أن يرى من حمله. وهكذا نجا إبراهيم من الموت.

حينئذ قال فيلبّس: ما أعظم هي رحمة الله للذين يحبونه. قل لنا يا معلم: كيف وصل إلى معرفة الله؟ أجاب يسوع: لما بلغ إبراهيم جوار بيت أبيه، خاف أن يدخل البيت، فانتقل إلى بعد عن البيت، وجلس تحت شجرة نخل. حيث لبث منفرداً. وقال: لابد من وجود إله ذي حياة وقوة أكثر من الإنسان. والإنسان بدون الله لا يقدر أن يصنع الإنسان. حينئذ التفت حوله، وأجال نظره في النجوم والقمر والشمس، فظن أنها هي الله. ولكن بعد التبصر في تغيراتها وحركاتها قال: يجب أن لا تطرأ على الله الحركة، ولا تحجبه الغيوم، وإلاّ فني الناس.

وبينما هو متحير، سمع اسمه يُنادي: يا إبراهيم. فلما التفت ولم ير أحداً في جهة، قال: إني قد سمعت يا إبراهيم. ثم سمع كذلك اسمه ينادي مرتين أخريين: يا إبراهيم. فأجاب: من يناديني؟ حينئذ سمع قائلاً: إنه أنا ملاك الله جبريل. فارتاع إبراهيم. ولكن الملاك سكّن روعه قائلاً: لا تخف يا إبراهيم؛ لأنك خليل الله. فإنك لما حطمت آلهة الناس تحطيماً، اصطفاك إله الملائكة والأنبياء، حتى أنك كتبت في سفر الحياة [1].

حينئذ قال إبراهيم: ماذا يجب عليَّ أن أفعل لأعبد إله الملائكة والأنبياء الاطهار؟ فأجاب الملاك: اذهب إلى ذلك الينبوع واغتسل؛ لأن الله يريد أن يكلمك أجاب إبراهيم: وكيف ينبغي أن اغتسل؟ فتبدى له حينئذ الملاك يافعاً جميلاً، واغتسل من الينبوع قائلاً: افعل كذلك بنفسك يا إبراهيم. فلما اغتسل إبراهيم قال الملاك: ارتق ذلك الجبل؛ لأن الله يريد أن يكلمك هناك. فارتقى إبراهيم الجبل، كما قال له الملاك. ولما جثا على ركبتيه، قال لنفسه: متى يا ترى يكلمني إله الملائكة؟ فسمع صوتاً لطيفاً يناديه: يا إبراهيم. فأجابه إبراهيم: من يناديني؟

فأجاب الصوت: أنا إلهك يا إبراهيم. أما إبراهيم فارتاع وعفر بوجهه الأرض قائلاً: كيف يصغى عبدك إليك، وهو تراب ورماد [2]؟ حينئذ قال الله: «لا تخف، بل انهض؛ لأني قد اصطفيتك عبداً لي، وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً. فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض، التي أعطيكها أنت ونسلك» [3] أ.هـ

التعليق:

لاحظ في نهاية النص: «**لا تخف، بل انهض؛ لأني قد اصطفيتك عبداً لي، وإني أريد أن أباركك وأجعلك شعباً عظيماً. فاخرج إذاً من بيت أبيك وأهلك وتعال اسكن في الأرض، التي أعطيكها أنت ونسلك**».

هذا هو السير أمام الله. يخرج من أرض آبائه وأجداده إلى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، وهي أرض «مكة» لقوله تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران:٩٦] ليدعو الناس إلى معرفة الله وعبادته.

(١) فيلبّي ٤: ٣.

(٢) تكوين ١٨: ٢٧.

(٣) تكوين ١٢: ١ ـ ٢.

ولاحظ:

١ - «أُباركك» ٢ - «وأجعلك شعباً عظيماً»

وتذكّر قوله عن سارة:

١ - «أباركها»

٢ - «فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون»

وتذكر قوله عن إسماعيل:

١ - «ها أنا أباركه» ٢ - «وأجعله أمة كبيرة»

ثم اعلم: أن ملاك الله قال لهاجر - رضي الله عنها -: «ها أنت حبلى، فتلدين ابناً. وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه» [تك ١٦: ١١-١٢].

واعلم: أن ملاك الله نادى هاجر من السماء «وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشُدّي يديك به؛ **لأني سأجعله أمةً عظيمة**» [تك ٢١: ١٧-١٨].

ومعنى هذا: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ خرج من أرض آبائه للدعوة إلى الله. وأن إسحق وإسماعيل، سيدعوان نسليهما إلى الله. إلى يوم القيامة. نسل إسحق إلى مدة، يكون لهم فيها ملك على الأمم والشعوب. ونسل إسماعيل إلى يوم القيامة، ويكون لهم ملك على الأمم والشعوب. وحامل لواء البركة في إسحق هو موسى ـ عليه السلام ـ.

وبعد هذا نبين عن محمد ﷺ في التوراة وأسفار الأنبياء والأناجيل الأربعة ما يلي:

الفصل الثالث

النبي الأمي

في

التوراة والإنجيل

بيّن الله تعالى في التوراة والإنجيل لعلماء بني إسرائيل ولسائر الأمم أن سيظهر محمد من آل إسماعيل بن إبراهيم ليكون للعالمين نذيراً، وأنه سينسخ شريعة موسى وسيغير عوائده وشعائره. ووصف صحابته بالطهر والعفاف، وأنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم، وأنهم في بدء الإسلام سيكونون جماعة صغيرة، ثم تنمو رويداً رويداً، حتى يكونوا كباراً، يعمل الناس لهم ألف حساب وحساب.

ففي الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين: أن الله تعالى قال لإبراهيم: «سر أمامي. وكن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً» والمعنى: امش في الناس بالدعوة إلى ديني وعرفهم بي لينبذوا عبادة الأوثان. وكن كاملاً أي أمة وقدوة في عمل الخير. ولئن التزمت بالدعوة والقدوة، أجعل عهدي معك بالنبوة والرسالة والملك على الأمم، وقد التزم إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومن أجل ذلك قال له: سأجعل عهدي بالنبوة والرسالة والملك على الأمم في نسل إسحق ـ عليه السلام ـ إذا مشوا بالدعوة إلى وكانوا قدوة في عمل الخير. فقال إبراهيم لله وإسماعيل ولدي البكر. أتمنى أن تجعل العهد في نسله أيضاً. فيكون العهد بالنبوة والرسالة والملك مشتركاً بين إسماعيل وإسحق. ويكون لهذا مدة، ولهذا مدة.

هذا ما قاله ـ عليه السلام ـ لله تعالى حسبما تنص التوراة. فإن فيها: «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله: وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره. وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة».

وقد حمل بركة إسحق بالتوراة موسى ـ عليه السلام ـ وحمل بركة إسماعيل بالقرآن ـ محمد عليه السلام ـ وبيان ذلك:

١ ـ أن إسماعيل ـ عليه السلام ـ سكن مع أمه في برية فاران. وهي أرض مكة المكرمة ففي الأصحاح الحادي والعشرين من سفر التكوين: «ونادى ملاك الله هاجر من السماء

وقال لها: مالك يا هاجر. لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية. وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر».

هذا هو مكان سكنى إسماعيل المبارك بالملك والنبوة.

٢ ـ وقد قسم موسى ـ عليه السلام ـ بركة الله بالملك والنبوة على ثلاثة أماكن:

(أ) سيناء: مكان نزول التوراة. (ب) وساعير: مكان تفسير التوراة من علماء وأنبياء بني إسرائيل. (جـ) وفاران: مكان نزول القرآن. فقال في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران. وأتي من ربوات القدس. وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم جالسون عند قدمك، يتقلبون من أقوالك».

وفي هذا النص بيان كثرة أصحاب محمد ﷺ فقد قال: «وأتي من ربوات القدس» وفي بعض التراجم: وأتي مع آلاف من جيش المقدسين الطاهرين الذين اختارتهم العناية الإلهية لهذا الغرض المقدس. وفي هذا النص مدح لأصحاب رسول الله ﷺ فقد قال: «جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك. يتقبلون من أقوالك» أي أن الصحابة الأجلاء في يد رسول الله ﷺ لا يخرجون عن طاعته، وهم جالسون عند قدميه: كناية عن التواضع بين يديه، ويتقبلون من أقواله: أي لا يشرعون لهم من تلقاء أنفسهم.

٣ ـ وقد نبّه يعقوب الذي هو إسرائيل بنيه حال موته على مجيء نبي السلام الذي متى جاء فإنه سيأخذ منهم الملك والنبوة. بقوله: «لايزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب» [تكوين ٤٩ : ١٠].

والمعنى: لايزول الملك من بني إسرائيل. وعبر بيهوذا عن بني إسرائيل، حتى يأتي «شيلون» نبي السلام، فيتسلم منهم النبوة والملك وتخضع له أمم الأرض. وليس شيلون إلا محمد ﷺ لأنه من إسماعيل المبارك فيه.

٤ ـ ولما كان موسى ـ عليه السلام ـ هو والمشايخ السبعون على جبل طور سيناء لتلقي

شريعة التوراة من الله، خاف بنو إسرائيل من الدخان والنار اللذين أحاطا بهما وهما فوق الجبل، وقالوا لموسى ـ عليه السلام ـ: إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى ويسمعنا صوته. فليكن عن طريق بشر، ليكن عن طريقك يا موسى. ونحن نسمع ونطيع. فرد موسى كلامهم إلى الله. فقال الله: أحسنوا في ما قالوا. ولسوف أرسل لهم نبياً مثلك وأجعل كلامي في فمه. أي سيكون نبياً أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذا النبي الذي سيأتي مماثلاً لموسى هو محمد ـ عليه السلام ـ لأن الله قد بارك في إسماعيل ـ عليه السلام ـ وجعل له ملكاً ونبوة، كملك بني إسحق ونبوتهم فإن لإسحق بركة كبركة إسماعيل. وحملها من بني إسحق كلهم: بنو إسرائيل. وبدأت من بني إسرائيل من موسى ـ عليه السلام ـ فإنه صاحب الشريعة. وكان رئيساً مطاعاً، وجاهد في سبيل الله وأمر أتباعه بدخول الأرض المقدسة.

ففي الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية:

«يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك. مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت، قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطالبه، وأما النبي الذي يُطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى. فيموت ذلك النبي.

وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟

فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه» [تث١٨: ١٥-٢٢].

كيفية انطباق النبوة على محمد ﷺ:

أولاً: إن من أوصاف هذا النبي المنتظر: أن يكون نبياً. لا إلهاً. وقد زعم النصارى: أن أوصاف النبي الذي تتحدث عنه هذه النبوءة: تنطبق على عيسى ـ عليه السلام ـ. وزعمهم باطل. لأن بعضهم يقول: إن عيسى إله. وبعضهم يقول: هو الإله الخالق للعالم. فالكاثوليك

والبروتستانت يقولون: إن عيسى هو الإله الثاني. والله هو الإله الأول. والروح القدس هو الإله الثالث. والأرثوذكس يقولون: إن عيسى هو الله رب العالمين وقد ظهر للناس في صورة بشر. وعن مذهب الكاثوليك والبروتستانت يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وعن مذهب الأرثوذكس يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

وهذا مع ما في التوراة وما في الإنجيل من أن الله تعالى هو الخالق للعالم وحده وأنه ليس كمثله شئ. ففي الأصحاح السادس من سفر التثنية: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» وفي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «ليس مثل الله» وفي الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا. فسر يوحنا أبناء الله بمعنى المؤمنين بالله في قوله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه» وقال: إن الله لم يره أحد. وحيث إن عيسى قد رآه الناس، فإنه بحكم الإنجيل لا يكون هو الله، لقوله: «الله لم يره أحد قط».

وفي نفس الأصحاح يورد يوحنا كاتب الإنجيل: شهادة يحيى ـ عليه السلام، الذي هو يوحنا المعمدان ـ بأنه ليس هو النبي الذي أخبر عن مجيئه موسى في سفر التثنية لينسخ شريعته. وقد كان يوحنا معاصراً لعيسى ـ عليه السلام ـ وكان وهو يدعوان اليهود لاقتراب ملكوت السموات. مما يدل على أن النبي المنتظر لم يكن قد أتى قبل يحيى وعيسى. وليس هو عيسى ولا يحيى ـ عليهما السلام ـ يقول يوحنا: «وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر. وأقر: أني لست أنا المسيح. فسألوه: إذًا ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبي أنت؟ فأجاب: لا» فقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبي المشار إليه في سفر التثنية. وحيث إنهما معاً دعوا إلى اقتراب ملكوت السموات - أي إن دعوتيهما واحدة - فإن النبي المنتظر يكون آتياً من بعدهما. فقد حكى متى ما نصه:

(أ) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا، لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧].

(ب) «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى٣: ١-٢].

ثانياً: ومن أوصاف النبي المنتظر: أن يكون من إخوة بني إسرائيل. ولو كان هذا النبي من بني إسرائيل ما كان يقول: «من إخوتهم» وكان يقول: منكم. وحيث إن: (أ) لإسماعيل بركة. (ب) وأنه أخ لإسحق الذي هو جدهم.

فإن المراد من إخوتهم: أنه سيأتي من آل إسماعيل لأن لإسماعيل بركة. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن».

ثالثاً: ومن أوصافه المماثلة لموسى في الحروب والانتصار على الأعداء. وقد نصت التوراة على أنه لن يظهر في بني إسرائيل مثل موسى. وعليه فإن الآتي يكون من غير جنسهم. وحيث لإسماعيل بركة، فإنه يكون من جنسه. ففي الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه. في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وكل أرضه. وفي كل اليد الشديدة وكل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أمام أعين جميع إسرائيل».

رابعاً: ومن أوصافه: أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعوا حتى ولو نسخ شريعة موسى. ولم ينسخ شريعة موسى إلا محمد ـ عليه السلام ـ أما الأنبياء من موسى إلى محمد ـ عليه السلام ـ فقد كانوا على شريعة موسى. حتى يسوع المسيح فإنهم كتبوا أنه كان على دين موسى لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» [متى ٥:٧].

وقد صرح القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]. فقد بيّن أنه موافق على التوراة التي هي أمامه في عصره. ولقد كان الربانيون والأحبار يفسرون التوراة، ويضيفون على التفسير من عندهم تشريعات لم يأذن بها الله. مثل تحريم الأكل بأيد غير مغسولة. وأما عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه كان مفسراً لها ولم يكن محرماً ومحللاً من تلقاء نفسه كما كان يفعل الربانيون والأحبار. بل إنه ألغى تشديداتهم وأباح محرماتهم من تلقاء أنفسهم. كما قال تعالى عنه: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران:٥٠] من الربانيين والأحبار.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:٤٧]. فإن معناه: وليحكموا بما فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة، فإن في الإنجيل: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس» وفي الأصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى قول عيسى ـ عليه السلام ـ: «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه، فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون».

خامساً: ومن أوصافه: أن يكون نبياً أمياً غير قارئ ولا كاتب. وهذا معنى قوله: «وأجعل كلامي في فمه».

سادساً: ومن أوصافه: أن يكون أميناً على الوحي الإلهي. وهذا مستفاد من قوله: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به»

سابعاً: ومن أوصافه: أن الله ينصره على مخالفيه. وهذا مستفاد من قوله: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي. أنا أطالبه» أي الله يقول أنا أنتقم من مخالفيه.

ثامناً: ومن أوصافه: أن لا يقتل. وأن من يكذب ويدعي النبوة ويزعم أنه هو المراد من هذه النبوءة المذكورة في سفر التثنية، أو يدعو إلى غير الله، فإنه يقتل. وهذا مستفاد من قوله: «وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي» أي فيكون جزاؤه القتل.

تاسعاً: وإن قال متبع شريعة موسى: كيف نميز الصادق من الكاذب؟ أي إذا ظهر من يقول إني أنا هو ذلك النبي. فكيف نعرف أنه صادق؟

فإنه أعطى علامة للناس، ليعرفوا الصادق من الكاذب. وهي: أنه إذا ظهر وأخبر عن غيب، ووقع الغيب كما قال. فإنه يكون صادقاً في دعوى النبوة.

وهذا مستفاد من قوله: «وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟» وهذا هو السؤال. والإجابة هي: «فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر، فهي الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي، فلا تخف منه».

عاشراً: أن يكون ملكا على بني إسرائيل والأمم. لقوله: «له تسمعون».

وقد ظهر مما تقدم: أن محمداً ﷺ مكتوب عنه في التوراة في الأصحاح الثامن عشر من

سفر التثنية مع المقارنة بالنصوص الأخرى الدالة على بركة إسماعيل - عليه السلام - ومكتوب عنه في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا.

وظهر أن التوراة قد وصفت أصحابه بأنهم قديسون طاهرون، وأنهم لا يعصون رسول الله ولا يستكبرون عن طاعته. ففي الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية: «وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب. جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك، يتقبلون من أقوالك» [تث ٣٣: ٢-٣].

وقد جاء في القرآن الكريم عن صفات أتباع رسول الله ﷺ:

١ - أنهم يرثون الأرض. ليحكموا بالحق والعدل المنصوص عليهما في القرآن الكريم. فقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

٢ - وأنهم أشداء على الكفار، ورحماء بينهم، فقد قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ [الفتح: ٢٩].

٣ - وأنهم يكونون في بدء الإسلام جماعة صغيرة، ثم يكبرون. فقد قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩].

وهذه الصفات مذكورة إلى اليوم في التوراة وفي الإنجيل، مع صفات أخرى لرسول الله محمد ﷺ تدل على أنه رحمة للعالمين.

١ - فعن أن المسلمين يرثون الأرض إلى الأبد:

نذكر هذا النص من الزبور - وهو قد نزل بعد الذكر - أي التوراة - بخمسمائة عام تقريباً: «لا تغر من الأشرار، ولا تحسد عمال الإثم، فإنهم مثل الحشيش، سريعاً يقطعون، ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب، وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة، وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه، وهو يجري ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه. من الرجل المجري مكائد. كف عن الغضب واترك السخط، ولا تغر لفعل الشر، لأن عاملي الشر يقطعون، والذين ينتظرون الرب، هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون

الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة. الشرير يتفكر ضد الصديق، يحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به، لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمي المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر. القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب. الرب عارف أيام الكملة، وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون، لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعي. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفي. أما الصديق فيترأف ويعطي، لأن المباركين منه يرثون الأرض، والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفي طريقه يُسَرُّ. إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مسند يده. أيضاً كنت فتى وقد شخت، ولم أر صديقاً تخلي عنه، ولا ذرية له تلتمس خبزاً. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد، لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه، لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولاً أن يميته. الرب لا يتركه في يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه، فيرفعك، لترث الأرض، إلى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشر عاتياً وارفاً، مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم، فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعاً. عقب الأشرار ينقطع أما خلاص الصديقين، فمن قبل الرب حصنهم في زمان الضيق، ويعينهم الرب وينجيهم، ينقذهم من الأشرار ويخلصهم، لأنهم احتموا به» [مزمور ٣٧].

٢ - وعن أنهم أشداء على الكفار، رحماء بينهم:

في سفر المزامير - وهو من أسفار التوراة العبرانية -: «لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم، تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب، لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع

أتقيائه» [المزمور ١٤٩] .

٣ - وعن أنهم يكونون في بدء الإسلام جماعة صغيرة ثم يكبرون:

ففي إنجيل متى ومرقس ولوقا. ذكر عيسى - عليه السلام - أمثلة كثيرة للملكوت السموات ومنها هذا المثل المشار إليه في سورة الفتح في القرآن الكريم.

(أ) النص عند متى: «يشبه ملكوت السموات حبة خردل، أخذها إنسان وزرعها في حقله. وهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول وتصير شجرة، حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها»[متى ١٣: ٣١-٣٢] .

(ب) النص عند مرقس: «وقال: بماذا نشبه ملكوت الله؟ أو بأي مثل نمثله؟ مثل حبة خردل متى زرعت في الأرض فهي أصغر جميع البذور التي على الأرض، ولكن متى زرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول، وتصنع أغصاناً كبيرة، حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» [مرقس٤: ٣٠-٣٢] .

(جـ) النص عند لوقا: «فقال: ماذا يشبه ملكوت الله؟ وبماذا أشبهه؟ إنه يشبه حبة خردل أخذها إنسان، وألقاها في بستانه، فنمت وصارت شجرة كبيرة وتآوت طيور السماء في أغصانها»[لوقا ١٣: ١٨-١٩] .

* * *

وملكوت السموات:

هو سيادة شريعة الله على الأرض على يد محمد ﷺ وذلك: لأن النبي المعظم دانيال أنبأ في سفره عن قيام أربعة ممالك على الأرض. وعقب زوال المملكة الرابعة يتأسس ملكوت السموات. ولم يزل المملكة الرابعة إلا محمد ﷺ والمملكة الأولى هي مملكة بابل، والثانية هي مملكة فارس، والثالثة هي مملكة اليونان، والرابعة هي مملكة الرومان. وقد زالت دولة الرومان من أرض فلسطين في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة خمس عشرة من الهجرة. يقول دانيال عقب ذكره المملكة الرابعة: «كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض»[دانيال ٧: ١٣-١٤] .

ويقول دانيال: «وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً وملكها لا يترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك. وهي تثبت إلى الأبد» [دانيال٢: ٤٤]

ويؤكد دانيال على أن هذا الأمر بقضاء أزلي فيقول: «ليكن اسم الله مباركاً من الأزل وإلى الأبد. لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة، يعزل ملوكاً وينصب ملوكاً. يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهماً. هو يكشف العمائق والأسرار. يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور» [دانيال ٢: ٢٠-٢٢] .

وقد ظهر عيسى - عليه السلام - في بدء احتلال دولة الرومان لفلسطين ونادي في بني إسرائيل مع يوحنا المعمدان بقولهما: «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات» الملكوت الذي سيتأسس في العالم قريباً بعد دولة الرومان التي هي المملكة الرابعة. وقد بينَّا هذا بوضوح في كتابنا «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل» [1] .

وفي التوراة أوصاف رسول الله ﷺ في أكثر من نبوءة وفيها اسمه المبارك «محمد» و«أحمد» بحساب الجُمَّل.

ففي سفر التكوين في نص: «**وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه.. الخ**» رمز الكاتب لاسمه المبارك بحساب الجمل بكلمة «بماد ماد» التي تعني في العربية: «**كثيراً جداً**»[2] :

ومن أوصاف رسول الله ﷺ في الأصحاح الثاني والأربعين من سفر إشعياء: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرَّتْ به نفسي. وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض

(١) نشر: دار البيان العربي بالقاهرة.

(٢) «بماد ماد» تساوي اثنين وتسعين ومحمد اثنان وتسعون فلباء = ٢، والميم ٤٠، والألف = ١، والدال = ٤، والميم = ٤٠، والألف = ١، والدال = ٤ فالمجموع = اثنان وتسعون. ومحمد. الميم = ٤٠، والحاء = ٨ وفي سفر ملاخي: «ها أنذا أرسل إليكم إيلياء النبي.. الخ» [ملاخي٤: ٥] أن: «إيلياء» تساوي ثلاثاً وخمسين وأحمد ثلاث وخمسون. فالألف = ١، والباء = ١٠، واللام = ٣٠، والياء = ١٠، والألف = ١، والهمزة = ١ فالمجموع ثلاث وخمسون. وأحمد. الألف = ١، والحاء = ٨، والميم = ٤٠، والدال = ٤ وهذا موضح في «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل».

وتنتظر الجزائر شريعته.

هكذا يقول الرب. خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحاً. أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين في الظلمة.

أنا الرب. هذا اسمي ومجدي، لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات.

هو ذا الأوّليات قد أتت، والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أعلمكم بها:

غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض، أيها المنحدرون في البحر وملؤه، والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها. الديار التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالع. من رءوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر».

وفي الأناجيل الأربعة أوصاف محمد رسول الله ﷺ واسمه «أحمد» وفي إنجيل برنابا اسمه «محمد» في أكثر من موضع.

(أ) ففي متى يقول عيسى - عليه السلام -: «وإن أردتم أن تقبلوا. فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي» [متى ١١:١٤].

أي إن أردتم أن تقبلوا شريعة جديدة غير شريعة التوراة. فهذا هو «إيلياء» سيأتي من بعدي. والآتي من بعده هو نبي الإسلام ﷺ وحروف إيلياء بحساب الجمل تساوي حروف أحمد. وفي التراجم الحديثة حذفوا همزة إيلياء.

(ب) وفي لوقا: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة» [لوقا ١٤:١].

وترجمتها الحرفية: اقترب السلام للأرض وينشره بين الناس أحمد. [كما في الإنجيل والصليب لعبد الأحد داود الأشُوري].

والمعزّى في التراجم القديمة هو «باراكليت» ومعناها: النائب عن عيسى - عليه السلام - والكلمة التي نطقها عيسى - عليه السلام - هي «بيركليت» ومعناها: أحمد. وهي تترجم في اليونانية: «بيركليتوس» وحرف السين لا يزاد إلا على الأسماء في اللغة اليونانية. لكن النصارى يزعمون أن «بيركليتوس» هو الروح القدس. وهو الإله الثالث عندهم في عقيدة

التثليث. وهم ليسوا على حق في تفسير «بيركليتوس» أو «باراكليتوس» بالروح القدس الإله. وذلك لأن التوراة والإنجيل فيهما أن خالق العالم إله واحد وهو الله ولا شريك له. ففي التوراة: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد»[تث٦:٤].

- «ولا تسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم»[تث٦:١٤].

وفي إنجيل يوحنا: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت. الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته، أنا مجدتك على الأرض، العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته»[يوحنا ١٧:٣-٤].

وفي رسائل بولس إلى تيموثاوس: «أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل والمسيح يسوع الذي شهد لدى بيلاطس البُنطي بالاعتراف الحسن. أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم، إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذي سيبينه في أوقاته: «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه. الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه. الذي له الكرامة والقدرة الأبدية» [تيموثاوس الأولى٦:١٣-١٦].

فبولس يعترف بأن الذي يحيي الكل هو الله رب العالمين. وبأن الذي سيبين وقت ظهور سيده يسوع المسيح: هو الله رب العالمين.

الفصل الرابع

في

النور الهادي

١ - الإنسان   ٢ - السراج

كلمتان. يدلان على جسمين. جسم الإنسان، وجسم السراج. فلو قلنا: إن إنساناً أوقد شمعة ووضعها في «فانوس» لكان الإنسان سبباً في تبديد ظلام الليل بالسراج الذي أوقده. ويقال على الإنسان: إنه منور المكان، ويقال عن السراج: إنه النور الهادي.

ولو قلنا عن رجل حكيم نصح الأشرار بنصيحة قيمة: إنه أنار لهم طريقهم. فليس هذا الحكيم فانوساً فيه شمعة، لأنه أوقد لهم شمعة ووضعها في فانوس، وسلمه إليهم ليمشوا في نوره في الظلام وهم يسرقون أو يقتلون. لا. ليس هذا هو معنى نور لهم طريقهم. فإن المعنى الصحيح هو أن نصيحته لو عملوا بها لابتعدوا عن الشر. ومن يبتعد عن الشر لا يقع في المضائق. كمن يمشي في الظلام بسراج منير، فإنه لا يقع في ضيق ولايتوه عن طريقه.

ولو قلنا عن رجل حكيم: إنه سراج منير. فليس المعنى أن جسم الرجل انقلب إلى جسم مصباح. لا. ليس هذا هو معنى سراج منير، فإن المعنى الصحيح هو: أن كلامه لو علموا به، لنجوا من المضائق والشرور، كما ينجو السائرون في الليل من وعثاء الطريق إذا كان معهم سراج مضيئ.

فالإنسان الحكيم يوصف بأنه: أ - منور ب - ويوصف بأنه نور

وفي هذا المعنى يقول عيسى ـ عليه السلام ـ لتلاميذه: «أنتم نور العالم» [متى٥:١٤] .

- «فيضيئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة»[متى٥:١٦] .

والتلاميذ ليسوا أجساماً منيرة. فإنهم بشر من لحم ودم. وهو لم يقصد أنهم خرجوا من البشرية إلى جماد يضيئ كسراج أو شمس أو قمر، وإنما يقصد أن كلامهم الحسن، سيدل الناس على الخير، فيكونون كالسائرين في الظلام والمصابيح النيرة معهم. ومثله قوله ـ عليه السلام ـ لهم: «أنتم ملح الأرض»[متى ٥:١٣] .

أي أن الناس كما لا يستغنون عن الملح في إصلاح طعامهم، لا يستغنون عنكم في

هدايتكم لهم، ومعلوم أن التلاميذ ليسوا ملحاً على الحقيقة. فإن الملح يذوب في الماء، ولو نزل واحد منهم في بركة ماء فإنه لن يذوب فيه. لأنه بشر.

وجاء في الكتاب وصف علماء اليهود بأنهم نور. ولا أحد يصدق أن جسم اليهودي نور فهم يمشون بين الناس وعليهم الملابس وفيهم الأبيض والأسود والأشقر والأصفر. ويوقدون السرج في البيوت، وفي الشوارع إذا حل الظلام. ولكن معنى وصفهم بالنور: هو أن وعظهم للناس ينير لهم حياتهم، كما ينير السراج في ظلمة الليل. وقد نفى عنهم «بُولُس» وصف النور، على معنى أنهم لا يهذون إلى خير، ولا يدلون على طاعة.

وذلك في قوله: «هو ذا أنت تسمي المتخالفة، متعلماً من الناموس، وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة، متعلماً من الناموس، وتثق أنك قائد للعميان، ونور للذين في الظلمة، ومهذب للأغبياء، ومعلم للأطفال. ولك صورة العلم والحق في الناموس. فأنت إذاً الذي تعلمُ غيرك، ألست تعلم نفسك؟ الذي تكْرز أن لا يُسرق، أتسرق؟ الذي تقول: أن لا يُزني، أتزني؟ الذي تستكره الأوثان، أتسرق الهياكل؟ الذي تفتخر بالناموس، أبتعدّي الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يُجدَّف عليه بسببكم بين الأمم» [رومية ٢:١٧-٢٤] .

لاحظ قول بولس عن العالم من بني إسرائيل:

١ - قائد للعميان.   ٢ - نور للذين في الظلمة.

٣ - مهذب للأغبياء.

شبَّه الجهال بالعميان بجامع فقد الهداية في كُلٍّ، وشبه الخطاة الذين هم مصرون على الخطايا بالذين يسيرون في الظلام. بجامع الهلاك في كل، والتهذيب هو لتقليم الأشجار. وشبه الأغبياء بالأشجار. على معنى: كما أن الأشجار تُهذَّب لينتفع بها، كذلك الأغبياء يعلمون.

وهؤلاء العلماء لتعديهم على شريعة موسى ـ عليه السلام ـ صاروا كالشمعة التي تنير للناس وتحرق نفسها، أو كالحمار يحمل أسفاراً؛ فإنه يتعب من الحمل، ولا ينتفع بثمار الكتب.

وإذا كان لفظ «النور» يطلق على الإنسان الذي يهدي غيره، ويعلم غيره، سواء كان هذا

الإنسان نبياً أو رسولاً، أو تلميذ نبي أو رسول؛ فإن إطلاقه على «الله» جائز. بلا مناقشة.

وقد ورد إطلاق لفظ «النور» على الله، في نصوص كثيرة من التوراة والإنجيل والقرآن. ليس على أنه جسم منور، بل على معنى أنه الهادي بشريعته للحق والخير والجمال.

والدليل على لفظ «النور» عن الله أنه هَاد، لا بمعنى أنه جسم منور:

الدليل الأول: أن التوراة تصرح بأن الله تعالى هو رب العالمين، وليس معه من إله. ففي سفر التثنية: «الرب إلهنا رب واحد» [تث ٦:٤].

وفي إنجيل مرقس نفس المعنى ونفس العبارة: «فأجاب يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد» [مرقس ١٢:٢٩].

والدليل الثاني: أن التوراة تصرح بنفي المثل عن الله تعالى. ففي سفر التثنية: «لا مثل لله» [تث٣٣:٢٦] ونفى المثلية هو نفي للجسمية وهو أيضاً نفي للمكانية بالذات، لا بالعلم. ففي التوراة أن الله يسمع ويرى في السموات وفي الأرض وفي النور وفي الظلمة. يقول إرمياء: «إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب: أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب» [إر٢٣:٢٤].

وإذا ثبتت الوحدانية لله وانتفت عنه الجسمية والمكانية بالنصوص المحكمة فإن لفظ: «النور» إذا ورد عن الله، لا يكون على أنه جسم، بل يكون على أنه مجاز عن أنه معرفهم شريعته وأحكامه، والشريعة نفسها موصوفة بالنور في قوله: «لأن الوصية مصباح، والشريعة نور» [أمثال٦:٢٣].

ويكون هذا على طريقة المحكم والمتشابه هكذا:

١ - «لا مثل لله» نص محكم.

٢ - «فنسلك في نور الرب» نص متشابه يحتمل:

أ - أن الرب جسم منور.

ب - أنه كناية عن العمل بشريعته.

والمتفق مع المحكم: هو المعنى الكنائي. فيكون هو مراد الله - تعالى -.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

في كتب المفسرين:

جاء في كتاب روح المعاني للإمام الآلوسي - رحمه الله -: أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]: هادي أهل السموات والأرض.

قال الآلوسي في تفسيره: وهو وجه حسن. وجاء في رواية أخرى أخرجها ابن جرير عنه - رضي الله عنه - أنه فسر النور: بالمدبر. فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: يُدَبِّر الأمر فيهما. وروى ذلك عن مجاهد أيضاً. وجعل ذلك بعضهم من التشبيه البليغ. ووجه الشبه: كون كل من التدبير والنور سبب الاهتداء إلى المصالح. وقال أبو حامد الغزالي: إن معنى أن الله نور: أنه هو الظاهر بذاته والمظهر لغيره. وقيل: المراد بالنور: أنه المنزه من كل عيب. وقيل: نور بمعنى مُنَوِّر. وتنويره سبحانه السموات والأرض. قيل: بالشمس والقمر وسائر الكواكب. وقيل: تنوير السموات بالملائكة. وتنوير الأرض بالأنبياء والعلماء. وقال الآلوسي: تنويره سبحانه إياهما: هو بما فيهما من الآيات التكوينية والتنزيليَّة الدالة على وجوده ووحدانيته وسائر صفاته عز وجل. والهادية إلى صلاح المعاش والمعاد ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي أدلته سبحانه العقلية والسمعية في السموات والأرض، التي هدى بها من شاء إلى ما فيه صلاحه. ويقول الآلوسي رحمة الله عليه: والظاهر عندي: أن التشبيه الذي تضمنته الآية الكريمة: من تشبيه المعقول وهو نوره تعالى بمعنى أدلته سبحانه، لكن من حيث إنها أدلة أو القرآن أو التوحيد والشرائع. وما دل عليه بدليل السمع والعقل أو الهدى أو نحو ذلك بالمحسوس. وهو نور المشكاة. وقال الآلوسي: إن إطلاق النور على الله سبحانه وتعالى بالمعنى اللغوي - وهو الضياء - غير صحيح لكمال تنزهه - جلَّ وعلا - عن الجسمية والكيفية ولوازمها.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

في التوراة وفي الإنجيل

وهذه طائفة من النصوص على أن الله نور. على المعنى المجازي:

١ - «نور أشرق في الظلمة للمستقيمين. هو حنان ورحيم وصدِّيق» [مزمور١١٢:٤].

٢ - «إذا جلست في الظلمة، فالرب نور لي» [ميخا٧:٨] .

٣ - «وكالأيام التي حفظني الله فيها، حين أضاء سراجه على رأسي، وبنوره سلكت في الظلمة» [أيوب٢٩:٢-٣] .

٤ - «تحت كل السموات يطلقها، كذا نوره إلى أكناف الأرض» [أيوب٣٧:٣] .

٥ - «ارفع علينا نور وجهك»[مزمور٤:٦] .

٦ - «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك يسلكون» [مزمور ٨٩:١٥] .

٧ - «الرب نوري وخلاصي ممن أخاف» [مزمور٢٧:١] .

٨ - «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نوراً»[مزمور٣٦:٩] .

٩ - «أرسل نورك وحقك. هما يهديانني ويأتيان بي إلى جبل قدسك وإلى مساكنك» [مزمور ٤٣:٣] .

وهذا مثل بيت الله وناقة الله؛ إضافة تشريف.

١٠ - «فنسلك في نور الرب» [إشعياء٢:٥] .

١١ - «الرب هو الله. وقد أنار لنا» [مزمور ١١٨:٢٧] .

١٢ - «لينير بوجهه علينا» [مزمور٦٨:١] .

١٣ - «أنر بوجهك فنخلص»[مزمور٨٠:٣] .

ويقول يعقوب في رسالته:

١٤ - «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة، هي من فوق. نازلة من عند أبي الأنوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه» [يعقوب١:١٧-١٨] .

لاحظ:

١ - أب الأنوار　　　٢ - ولدنا بكلمته

فقد استعمل المبالغة في وصف الله بالنور. على معنى أنه إذا كان الأنبياء نوراً، والعلماء نورا، والشريعة نورا، فإنه هو أصل النور. لأنه وحده هو الخالق للجميع. فالأب ههنا مجاز، كما أن الأنوار مجاز. ومعنى ولدنا بكلمته هو: خلقنا بأمره. واستعمل كلمة

الولادة مجازاً، لأنها أصل المخلوق. فكأنه يريد أن يقول: إن كلمة «كن» أخرجت الناس من العدم إلى الحياة. وهذا التفسير هو الصحيح، لأن النص المحكم عن الله ينفي المثلية عنه.

١٥ - «لا تكون بعدُ. الشمس نوراً في النهار، ولا القمر ينير لك مضيئاً، بل الرب يكون لك نوراً أبدياً» [إشعياء ٦٠:١٩] .

الأنبياء نور
في التوراة والإنجيل

وقد ورد لفظ النور على الأنبياء، على المعنى المجازي وهو أنهم هداة ومعلمون. لا أن أجسادهم نور.

١ - ففي سفر إشَعياء نبوءة عن النبي الأمي الآتي إلى العالم بشريعة كشريعة موسى. هي:

«هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيُخرج الحق للأمم، لا يصيح، ولا يرفع ولا يُسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته.

هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها. باسط الأرض ونتائجها. معطي الشعب عليها نسمة. والساكنين فيها روحاً، أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسك بيدك وأحفظك **وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم** ،لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة» [إش ٤٢:١-٧] .

التعليق:

قوله: «**وأجعلك عهداً للشعب، ونوراً للأمم**» هو وصف النبي الأمي بأنه نور. ليس على أن جسمه نور، بل على أن شريعته هي النور.

والنبي المراد من هذه النبوءة هو محمد رسول الله ﷺ وذلك لأن موسى ـ عليه السلام ـ قال في أوصافه: إنه مثله. وقال: إنه لا مثل له من بني إسرائيل. وحيث أن لإسماعيل بركة فإن الآتي يكون من ذريته ونسله.

٢ - في إنجيل يوحنا يقول عيسى ـ عليه السلام ـ : «أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى

كل من يؤمن بي، لا يمكث في الظلمة» [يوحنا ١٢:٤٦].

٣ - «ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً: أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة» [يوحنا٨:١٢].

٤ - «ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل. مادمت في العالم فأنا نور العالم»[يو٩:٤].

٥ - «كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة، ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته، لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي [1] الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم» [يوحنا ١:٦-٩].

٦ - قال عيسى - عليه السلام - عن يوحنا المعمدان: «كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة» [يو ٥:٣٥].

الشريعة نور

١ - «سراج لرجلي كلامك، ونور لسبيلي» [مزمور ١١٩:١٠٥].

٢ - «لأن الوصية مصباح، والشريعة نور»[أمثال ٦:٢٣].

٣ - «فتح كلامك يُنير. يُعقّل الجهال»[مزمور ١١٩:١٣٠].

الحكمة نور

«حكمة الإنسان تنير وجهه»[جامعة ٨:١].

الله يهدي المتقين

«يكون القدير تبرك، وفضة أتعاب لك؛ لأنك حينئذ تتلذذ بالقدير وترفع إلى الله وجهك. تصلي له. فيستمع لك ونذورك توفيها، وتجزم أمراً فيثبت لك. وعلى طرقك يضيء نور» [أيوب ٢٢:٢٥-٢٨].

(١) لاحظ قوله «الحقيقي» أي كان الأنبياء نور. ويُوجد آخر معين ومُميز بأنه «النور الحقيقي» وهو النبي المنتظر.

نبوءة عن مكة المكرمة
فيها أنها ستكون مستنيرة
بنور الله عز وجل

يقول إشعياء: «قومي استنيري؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك؛ لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك» [إش ٦٠:١-٣].

إنه يخاطب مكة - شرفها الله تعالى - بأنه قد جاء نورها. وهذا معناه أن أبناء إسماعيل - عليه السلام - سيظهر منهم نبي صاحب شريعة. من ظهوره تظهر بركة إسماعيل في الأمم.

وهو لا يقصد «أورشليم» مدينة اليهود المقدسة. لأن النبي الآتي لن يكون من بني إسرائيل.

في القرآن الكريم

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾

يقول الله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور:٣٥].

محمد ﷺ نور

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥].

محمد ﷺ سراج منير

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٦].

القرآن نور

يقول الله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن:٨] .

التوراة والإنجيل

كانا نوراً وهدى للناس

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة:٤٤] . ـ ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ (١)﴾ [آل عمران:٣] . ـ ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ(٢)﴾ [الأنعام:٩١] .

نور القرآن لليهود وللأمم

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ(٣) قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤] .

نص الإنجيل على أن محمداً ﷺ نور

يوحنا كاتب الإنجيل. غير يوحنا المعمدان ـ الذي هو النبي يحيى ـ عليه السلام ـ ويقول الكاتب: «كان إنسان مرسل من الله، اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة. ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بوسطته، لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي، الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم. . .

وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت؟ فاعترف ولم ينكر وأقر لست أنا المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبي أنت؟ فأجاب: لا. فقالوا له: من أنت، لنعطي جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا صوت صارخ في البرية: قوِّموا طريق الرب، كما قال إشعياء النبي. وكان المرسلون من الفريسين، فسألوه وقالوا له: فما بالك تعمِّد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا

(١)و (٢) و(٣) المراد بالناس: اليهود.

النبي»؟[يوحنا ١ :٦ :٢٨] .

من هو هذا الذي هو النور الحقيقي الآتي إلى العالم؟

ولقد اعترف المعمدان بأنه ليس هو النبي الموصوف بالنور. وكان معاصراً له عيسى ـ عليه السلام ـ والذي أتى من بعدهما هو محمد ﷺ فيكون هو المراد بالنور الآتي إلى العالم.

ويقول النصارى: إن المراد بالنبي الآتي إلى العالم هو يسوع الذي يدعى المسيح. فالمشكلة محصورة الآن في تعيين المراد من النبيين الكريمين.

لا يمكن أن يكون هو عيسى ـ عليه السلام ـ وذلك لأنه من بني إسرائيل ولا نبي مثل موسى يظهر من بني إسرائيل. ولأن عيسى ـ عليه السلام ـ كان مصدقاً للتوراة. وهي محرفة من سبي بابل. والمحرف لا يكون نوراً وهدى للناس. وهو ـ عليه السلام ـ لم ينسخها، ولم يبطل أحكامها، ولم يضف عليها أي حكم، ولم ينقص منها أي حكم. وفي آخر حياته قال لتلاميذه ولليهود: اسمعوا من كلام علماء بني إسرائيل. ومنهم من يؤمن به، ومنهم من لا يؤمن به. فكيف يكون هو النور، والتوراة المحرفة ليست هي النور؟

يقول متى: «حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكلُّ ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون» [متى ٢٣ :١-٣] .

والشهادة التي رواها يوحنا منسوبة إلى المعمدان، رواها بَرْنابا منسوبة إلى عيسى نفسه. فقد روى ما نصه: «فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه (١) قائلين: من أنت؟ فاعترف يسوع وقال: الحق إني لست مَسِّيا. فقالوا: أأنت إيلياء؟ قل لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئذ يسوع: أنا صوت صارخ في اليهودية كلها يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب، كما هو مكتوب في إشعياء. قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيلياء أو نبياً مَّا، فلماذا تبشر بتعليم جديد، وتجعل نفسك أعظم شأناً من مسيا؟ أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تُظهر أني أتكلم بما يريد الله. ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه؛ لأني لست أهلاً أن أحل ربطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه مَسِّيا» [برنابا ٤٢ :٣ :٨] .

(١) مرقس ٢ :١٣ .

نص التوراة على أن محمداً ﷺ نور

يقول إشعياء: «هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرت به نفسي. وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم. لا يصيح. ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفئ. إلى الأمان يخرج الحق. لا يكل ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته» (1).

هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها. معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً: أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بين السجن، الجالسين في الظلمة. أنا الرب هذا اسمي ومجدي. لا أعطيه لآخر، ولا تسبيحي للمنحوتات.

هو ذا الأوَّليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها. قبل أن تنبت أُعلمكم بها. غنوا للرب أغنية جديدة، تسبيحه من أقصى الأرض. أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها. لترفع البرية ومدنها صوتها، الديارُ التي سكنها قيدَار. لتترنم سكان سالع. من رءوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجداً، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر» [إشعياء: ٤٢: ١ - ١٢].

هذه النبوءة تنطبق على محمد ﷺ لأن موسى - عليه السلام - نبَّه على مجئ نبي مثله، وقال: لن يأتي المماثل لي من بني إسرائيل. وإشعياء ههنا يبين أن النبي الآتي سيكون من بني إسماعيل. وأشار بقيدار إليه.

لأن قيدار هو ابن إسماعيل الذي له بركة من الله، كبركة إسحق - عليه السلام -.

وأبناء إسماعيل هم:

١ - نَبَايُوت ٢ - قيدَار ٣ - أدَبْئيل

٤ - مبسام ٥ - مشماع ٦ - دُومَة

٧ - مَسَّا ٨ - حَدَار ٩ - تَيما

(1) لوقا ١١: ٥٤.

١٠ - يَطُورل ١١ - نافيش ١٢ - قدْمة

استدلال عيسى عليه السلام بالتوراة والزبور على مجئ محمد ﷺ

وكان عيسى - عليه السلام إذا أخبر بني إسرائيل عن مجئ محمد ﷺ يستدل بالتوراة على ما يقول. وذلك لأن التوراة مقدسة عند جميع بني إسرائيل. وكان يستدل بالزبور أيضاً لليهود العبرانيين، الذين هو منهم، وهم يقدسونه.

والأدلة التي استدل بها ماتزال إلى هذا اليوم في التوراة والزبور. وهي واضحة الدلالة على محمد ﷺ.

الدليل الأول:

قول الله لإبراهيم: «انظر. فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض. وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك».

ونسل إبراهيم الذي سيسير مع الله في دعاء الناس لعبادته، والترأس عليهم للتمكين لشريعة الله هم نسل إسماعيل، ونسل إسحق. وقد أعطى لإسماعيل بركة وأعطي لإسحق بركة.

الدليل الثاني:

أن داود - عليه السلام - وهو من نسل إسحق، قال: إن النبي الآتي المماثل لموسى هو «سيدي» فلو كان النبي الآتي من نسل داود - أي من اليهود - ما كان داود يعبر عنه بأنه سيده - وعليه فإن الآتي لا يكون من نسل داود. وحيث ثبتت لإسماعيل بركة. فإن الآتي يكون منه. يقول داود - عليه السلام - : «قال الله لربي: اجلس عن يميني؛ حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك»

انظر إلى ١ - الله. ٢ - لربي.

كلمتان. معناهما: قال الله لسيدي. والنص العبراني فيه:

١ - جيهوفاه JEHOVAH. ٢ - أدوناي ADONAI.

جيهوفاه معناها: الله. وقد تأتي يهوفاه أو يَهْوه YAHUWA وأدوناي معناها: السيد.

والمعنى: قال يهوه لأدوناي. أي قال الله لسيدي.

واسم الله في اللغة العربية أتى من «الوهيم» العبرانيـة. ومعناها: الله بصيغة التعظيم. فـ «أُلوه» حرفت إلى الله، و«يم» علامة الجمع التي تعادل الواو والنون في جمع المذكر السالم وأُلوهيم في الإنجليزية هكذا: ELOHIM.

وأسماء الله عند اليهود هي:

ألوهيم - يهوه - أدوناي - إيل. وفي الأناجيل أن المسيح نادى بها الله فقال: «إيلي» ELI وهي شبيهة بألله. مثل ألوهيم. ولكن أدوناي تستعمل في اسم الله، وتستعمل في السيد. مثل أدوناي صباءوت. أي إله الرياح، أو سيد الرياح. وإيل تضاف إلى آخر الأسماء للشرف. مثل إسرائيل. أي المجاهد مع الله.

وكلمة يهوه، أحياناً تكتب يهوه، وأحياناً تكتب جيهوفاه. THE JEHOVAHS WIT- NESSES أي شهود يهوه

وفي قواميس اللغة العبرانية تجد كلمة أدوناي العبرية تترجم سيدي ومنه قاموس تشمبرز للقرن العشرين. أما يهوه YHWH فتترجم بالله عز وجل.

فقول داود - عليه السلام - نبوءة عن محمد ﷺ: «قال الله لربي: اجلس عن يميني، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك» معناه: قال الله لسيدي إنني ناصرك على أعدائك نصراً مؤزراً. فمن هو سيد داود؟

هذا هو السؤال المهم. وقد أورده متى ومرقس ولوقا وبرنابا. وأوردوا إجابة المسيح عيسى - عليه السلام - . وهو أنه أخبر اليهود بأن النبي المنتظر المماثل لموسى لن يأتي من نسل داود.

يقول متى: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين، سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً، قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة» [متى ٢٢: ٤١ - ٤٦].

إن النبي الآتي يلقبونه بالمسيح لخداع العالم بأنه سيكون منهم. إذ أنه من عاداتهم تلقيب أ- النبي ب- والملك جـ- والعالم بلقب «المسيح» وهي كلمة يونانية. والعبرية «هاماشيح» والآرامية «ماشيح» وفي التراجم الحديثة «مَاسيًا» فالمسيا هو المسيح[1]. وعيسى

(١) راجع كتاب المسيا المنتظر - نشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

عليه السلام - مسيح. لكن ليس هو المسيح الرئيس الآتي إلى العالم. فإنه هو محمد رسول الله ﷺ وعيسى - عليه السلام - يُفحم علماء بني إسرائيل العبرانيين ويبكتهم بقوله: إن النبي الأمي الآتي. سيأتي من أي نسل؟ ولما أجابوا بأنه سيأتي من نسل داود. استدل من كلام داود نفسه على أن الآتي ليس من نسله. إذ لو كان من نسله، لما كان يعبر عنه بأنه سيده. لأن الابن لا يكون سيداً لأبيه.

نص كلام المسيح عيسى عليه السلام:

«الحق أقول لكم: إن كل نبي متى جاء؛ فإنه يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله. ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء، يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده، فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك.

أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق، والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أي ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب. ويعقوب كان أبا يهوذا. الذي من ذريته داود. فحينئذ[1] قال يسوع: ومتى جاء رسول الله، فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه في الروح رباً، قائلاً هكذا[2]: قال الله لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يُرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك. فإذا كان رسول الله الذي تسمونه مَسيا ابن داود، فكيف يسميه داود رباً؟ صدقوني؛ لأني أقول لكم الحق: إن العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحق.

حينئذ قال التلاميذ: يا معلم. هكذا كُتب في كتاب موسى. إن العهد صُنع بإسحق[3] أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين

(١) قابل هذا مع متى ٢٢: ٤١ - ٤٥ .

(٢) مزمور ١١٠: ١ - ٢ .

(٣) تكوين ١٧: ٢١ .

لا يخافـون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتـم النظر في كلام الملاك جبـريل، تعلمون خبث كـتبتنا وفقـهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم سـيعلم العالم كله، كـيف يحبك الله. ولكن كيف يعلم العـالم محبتك لله؟ حقـاً. يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محـبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله. فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل، واصعد الجـبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون إسحق البكر، وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟

فقال حـينئذ التلاميـذ: إن خداع الفقهـاء لجلي. لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله.

فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتـباعه والمراءون وصـانعو الشـر، كل شئ اليوم. الأولون بالتـعليم الكاذب، والآخرون بمعيشـة الخلاعة، حتى لا يكاد يوجد الحق تقريبـاً. ويل للمرائين؛ لأن مدح هذا العالم سينقلب عليـهم إدانة وعذاباً في الجحيم. لذلك أقول لكم: إن رسـول الله بهاء يسر، كل ما صنع الله تقـريباً؛ لأنه مزدان [1] بروح الفهم والمشـورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح اللطف والصبر، التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقـه. ما أسـعد الزمن الذي سـيأتي فيـه إلى العالم. صـدقـوني أني رأيته، وقـدمت له الاحترام. كـما رآه كل نبي؛ لأن الله يعطيهم روحـه نبوة. ولما رأيته امتـلأت عزاء قائلاً: يا محمد. ليكن الله معك، وليجعلني أهلاً أن أحل سير حذائك؛ لأني إذا نلت هذا، صرت نبياً عظيماً، وقدوس الله. ولما قال يسوع هذا، شكر الله» [برنابا ٤٣].

(١) إشعياء ١١:٢.

الفصل الخامس

في

المسيح الرئيس

في الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا: «فـقالت له المرأة: إني أعلمُ أن المَسِيَّا، الذي يُدعى المسيح، سيأتي. ومتى جاء، فهو يُعلن لنا كل شئ»

The woman said: I kow that Messiah (Called Christ) is coming.when he comes, he will explain everything to us.

وهذا النص يدل على أن النبي المنتظر، الملقب بـلقب «المَسِيَّا» لم يكن قـد ظهر في بني إسرائيل أو في بني إسماعيل، قبل المسيح ابن مريم عيسى ـ عليه السلام. فمن هو المَسِيَّا؟

اعـلـم: أن موسى ـ عليه السـلام ـ في التوراة، نبَّه على نبي سيأتي من بعـده، ليقيم الدين، كما أقامه هو للناس. وذكر عشرة أوصاف تدل كلها عليه وهي:

١ - نبي.

٢ - من بين إخوة بني إسـرائيل. أي من بني إسماعـيل. وذلك لأن الله استجـاب دعاء إبراهيم في إسـماعيـل بأن يكون نسله سائرا أمـامه، في دعـوة الناس لعبـادته، فقـد قال لإبراهيم: «سر أمامي وكن كاملاً» [تك ١٧:١].

وقال إبراهيم لله: «ليت إسماعيل يعيش أمامك» فقال الله: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه» [تك ١٧:١٨].

٣ - مثل موسى. في الحروب والانتصار على الأعداء والرئاسة والملك [تث ٣٤:١٠-١٢].

وقد نصت التوراة على أن هذا النبي المماثل لموسى، لن يظهر من بني إسرائيل ولأن إسماعيل مُبارك فيه؛ فإنه يكون من ذريته [تث ٣٤:١٠].

٤ - أُمِّي لا يقرأ ولا يكتب. لقوله: «وأجعل كلامي في فمه».

٥ - أمين على الوحي. لا يزيد فيه ولا ينقص منه.

٦ - ينسخ شريعة موسى ويكون رئيساً وملكاً على بني إسرائيل. لقوله: «له تسمعون».

٧ - ينصره الله على أعدائه. لقوله: «ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي

يتكلم به باسمي. أنا أُطالبه» أي ينتقم الله من أعدائه على يديه وعلى أيدي أتباعه. وقد ترجمها بطرس بقوله: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب» [أع ٣ : ٢٣] .

٨ - لا يُقتل بيد أعدائه. لقوله في النص: إن النبي الذي يكذب على الله، أو يدعو إلى إله غير الله، ويزعم أنه هو المراد من هذا النص، يقتله الله.

٩ - يتحدث عن أمور تحدث في مستقبل الأيام، وإذا لم تحدث ولم تصر «فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي. فلا تخف منه».

١٠ - يكون فاتح بلاد ويملك على أهلها من اليهود والأمم «له تسمعون».

وهذا هو نص التوراة من ترجمة اليسوعيين:

«يُقيم لك الرب إلهك نبياً من بينكم من إخوتك. مثلي. له تسمعون. جرياً على كل ما سألته الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلاً: لا عدت أسمع صوت الرب إلهي، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً؛ لئلا أموت.

فقال لي الرب: قد أحسنوا فيما قالوا. أُقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأُلقي كلامي في فمه. فيخاطبهم بجميع ما آمره به. وأي إنسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي؛ فإني أحاسبه عليه. وأي نبي تجبر فقال باسمي قولاً، لم آمره أن يقوله، أو تنبأ باسم آلهة أخرى؛ فليقتل ذلك النبي.

فإن قلت في نفسك: كيف يُعرف القول الذي لم يقله الرب؟ فإن تكلم النبي باسم الرب، ولم يتم كلامه، ولم يقع، فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل لتجبره تكلم به النبي. فلا تخافوه» [تث ١٨ : ١٥ - ٢٢] .

ويُطلق اليهود والنصارى على هذا النبي الآتي؛ لقب «المسيا» المنتظر. أو «المسيح» الرئيس. والدليل على أن النص على النبي الآتي هو الذي يدل على المسيا الذي تفسيره المسيح: هو إجماع اليهود والنصارى على ذلك. ففي تفسير الكتاب المقدس. يقولون في قول موسى: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون. . الخ» يقولون ما نصه: «النبي الآتي» [تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢] يعلن موسى إعلاناً نبوياً مسيانياً عن النبي، الذي سيأتي، الذي سيخلفه في وظيفته كنبي» فقد بينوا: أن النبي الآتي من بعد موسى - عليه السلام - هو المسيا.

معنى كلمة المسيا:

كلمة المسيا. أصلها في العبرانية «هاماشياه» وفي الآرامية «مشيحا» وفي اليونانية «المسيح» وفي اللغات التي لا تنطق الحاء، تنطق «مسيا» ومعناها: المصطفى من الله، لأداء رسالة مقدسة. وكان معناها الحرفي: هو أن النبي يأخذ قنينة دهن مقدس، ويمسح النبي الذي سيخلفه، أو العالم، أو الملك؛ فتصير ذاته مقدسة لا يصح أن يعتدي عليها بسوء. ثم صارت كلمة «المسيح» تطلق على المصطفى من الله لأداء رسالة مقدسة، ولو لم يمسح بدهن مقدس.

وكل نبي من بني إسرائيل كان يُطلق عليه لقب «مسيح» أي مسيا. ولكن النبي المنتظر، أخذ في عُرفهم ولغتهم لقب «المسيح» أي «المسيا» لا لقب «مسيح» أي «مسيا» لأنه معين ومعروف ومميز عن سائر النبيين.

مسح الأنبياء والعلماء والملوك:

«أليس لأن الرب قد مسحك»[١ صم ١٠ : ١] .

«ومسحوا داود ملكا» [٢ صم ٥ : ٣] .

«مسحه الله بروح القدس» [أع ١٠ : ٣٨] أي عيَّنه واختاره واصطفاه ولم يمسحه بالدهن.

«مسحته ملكا» [٢ مل ٩ : ٣] .

«وأبشالوم الذي مسحناه» [٢ صم ١٩ : ١٠] .

«أما أنا فقد مسحت ملكي» [مزمور ٢ : ٦] الملك ههنا هو محمد ﷺ .

«عبدي بدهن قدسي، مسحته» [مز ٨٩ : ٢٠] .

«القدوس يسوع، الذي مسحته»[أع ٤ : ٢٧] .

«امسح لي الذي أقول لك» [١ صم١٦ : ٣] .

«فلكم مسحة من القدوس» [١ يو ٢ : ٢٠] .

«إن كان الكاهن [أي العالم من بني إسرائيل] المسموح» [لا ٤ : ٣] .

«هكذا يقول الرب لمسيحه» [إش ٤٥ : ١] والمسيح ههنا هو كوروش الملك الفارسي.

«لا تمسحوا مسحائي» [أي ١٦ : ٢٢ ومز ١٠٥ : ١٥] .

«سيقوم مسحاء كذبة» [متى ٢٤:٢٤ مرقس ١٣:٢٢] .

المسيًا الرئيس هو المسيح الرئيس:

في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا:

«وجدنا المسيا. أي المسيح» [يو ١:٤١] .

We have Found the Messiah that is the Christ

المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ:

ومما تقدم يُعلم أن عيسى ـ عليه السلام ـ يُطلق عليه لقب «مسيح» مثل طالوت وداود وأبشالوم ابنه وكوروش وعلماء بني إسرائيل. لكن هل هو «المسيح المنتظر» المفسر بالمسيا الرئيس؟

يُطلق اليهود لقب «مسيح» على عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه من علماء بني إسرائيل. ويطلق النصارى لقب «مسيح» على عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه:

أ - عالم   ب - ونبي

ونحن المسلمين نُطلق لقب «مسيح» على عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه:

أ - عالم   ب - ونبي

ذلك لأنه ليس هو «المسيح» المنتظر المماثل لموسى، الذي من أوصافه أنه يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون في كل ما يكلمهم به، وقد قال تعالى: ﴿ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فقوله: ﴿اسْمُهُ﴾ مبتدأ وخبره ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وفي القرآن أيضا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فكأن سائلا سأل ما صفته ؟وما هي منزلته عند الله؟ ورد بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ومثله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ وكل ذلك يدل على أنه لا يعرف إلا بمجموع الثلاثة الاسم والكنية واللقب.

نبوءات التوراة عن المسيًا:

ونبوءات التوراة كلها تدل على نبي واحد. لا على نبيين. وكل المسلمين بلا استثناء يقولون: إن هذا النبي الواحد هو محمد ﷺ ومن قال منهم بأن عيسى ـ عليه السلام ـ بشرت به التوراة، فإنه لم يذكر نبوءة واحدة على قوله. وهو قال ما قال سماعاً عن الضالين من النصارى. إذ ليس في التوراة إلا ما يلي:

١ - النص على بركة إسماعيل، وسكناه في «فاران» [تك ١٧: و٢١] . وبيان أنه هو الابن الوحيد الذي تمت فيه المواعيد من قبل ولادة إسحق [تك ٢٢]

٢ - النص على زوال الملك من اليهود، ونسخ الشريعة على يد شيلون. [تك ٤٩:١٠] وعيسى ما ملك وما نسخ.

٣ - النص على النبي الأمي [تث ١٨:١٥-٢٢] .

٤ - النص على تقسيم البركات بين سيناء وساعير وفاران[تث ٣٣:١-٣] .

٥ - النص على إغاظة الله لليهود على يد أمة أمية غبيَّة جاهلة[تث ٣٢:٢٦] .

٦ - النص على نبوءة بلعام وفيها: «أراه ولكن ليس الآن....» [عدد ٢٤:١٧] .

٧ - قول موسى لله عن مجد النبي الآتي مثله: «أظهر لي عبدك في سناء مجدك» وفي ترجمة «أرني مجدك» [خر ٣٣:١٨]

ليس غير هذا في الأسفار الخمسة. وكل هذا يدل على محمد ﷺ فأين هي النبوءات التي تدل على عيسى ـ عليه السلام ـ؟ ليس ولا واحدة. وإذا كان الأمر كما ذكرنا. فهل يكون عيسى هو النبي المنتظر؟ أين هي النبوءات التي تدل عليه؟ إذاً ليس هو. وبالتأكيد ليس هو.

إن عيسى ـ عليه السلام ـ نبي معظم قد أرسله الله في حينه ليبشر بمحمد ﷺ هو ويحيى ـ عليهما السلام ـ المعروف عندهم بيوحنا المَعْمَدَان. وما أحدهما هو المسيح الرئيس. وكل واحد منهما «مسيح» غير رئيس. إذ لم يكن أي واحدا منهما ملكاً على شعب إسرائيل. وشرط المسيح الرئيس أن يزيل مملكة الروم.

لسان الرسل:

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] ومن لسان بني إسرائيل:

أولاً: إطلاق لفظ «مسيح» على:

أ - النبي   ب - والعالم   جـ - والملك

وكانوا يطلقون لفظ «المسيح» على النبي، الذي وعد به موسى، ليخدعوا العالم بأنه سيظهر من جنسهم. فبيَّن لهم عيسى ـ عليه السلام ـ أن هذا «المسيح» المنتظر بحسب لغتكم سيأتي من بني إسماعيل ـ عليه السلام ـ واستدل على قوله بنص التوراة عن بركة

إسماعيل.

ثانياً: إطلاق لفظ «ابن الله» على كل يهودي، سواء أكان صالحاً أو فاسداً. لما جاء في التوراة: «أنتم أولاد الرب إلهكم» [تث ١٤:١].

وقد عبَّر اليهود عن النبي المنتظر بلقب «ابن الله» كما يلقبون كل يهودي فيهم. على معنى: المؤمنون بالله والمنتسبون إلى شريعته. فابن الله عندهم لفظ على المجاز بمعنى القرب من الله. وقد أطلقوه على إسرائيل، ففي سفر الخروج قالوا عن الله تعالى أنه قال: «إسرائيل ابني البكر» [خر ٤:٢٤].

وقالوا: «ليس مثل الله» [تث ٣٣ : ٢٦] وأنه لم يلد ولم يولد.

وأعطوا للنبي المنتظر لقب «ابن الله» في المزمور الثاني: «إني أُخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» [مز ٢:٧].

ثالثاً: قالوا: لا جسم لله وذلك لأنه لا مثل له. ونفوا المكان عنه. بنصوص هي مُحكمة عندهم. ثم قالوا: أن الله مستوٍ على العرش. على معنى أنه يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم. ويدل ـ عندهم ـ على أنه المالك وحده للعالم وليس معه من شريك في الملك. وعبَّروا عن النبي المنتظر بأن الله قال له: «اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» يريدون: كن معي سائراً أمامي في دعاء الناس لعبادتي، وأنا سأنصرك على أعدائك. وذلك لأنهم كتبوا في التوراة: «ليس مثل الله» وكرروها كثيراً.

وكتبوا عن أنفسهم أنهم «آلهة» أي سادة. وأنهم «أرباب» كلهم. أي سادة. وكتبوا عن النبي المنتظر بلسانهم: أن داود قال عنه: إنه سيده. في قوله: «قال الله لسيدي» أي قال الله لسيد داود. فمن هو سيد داود؟ إنه النبي المنتظر. على معنى: أنني لو كنت حياً في مجيئه؛ لخضعتُ لشريعته.

عيسى ـ عليه السلام ـ يتحدث عن نبي الإسلام بلغة قومه:

أولاً: أطلق اليهود لقب «ابن الله» على النبي المنتظر، في المزمور الثاني لداود ـ عليه السلام ـ ونصه: «لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً، على الرب وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون، جبل قدسي. إني أُخبر من جهة قضاء

الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك. وأقاصي الأرض ملكاً لك، تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسرهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف، واهتفوا برعدة. قبِّلوا الابن لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتقد غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» [مزمور٢: ١ ـ ١٢].

ثانيـــاً: أطلق اليهود لقب «الرب» على النبي المنتظر، في المزمور المئة والعاشر، بمعنى السيد. ونصه: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك يُرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلط في وسط أعدائك. شعبك منتدب في يوم قوتك، في زينة مقدسة. من رحم الفجر لك طلُّ حداثتك.

أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد، على رتبة مَلكي صَادَق، الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم. ملأ جثثاً، أرضاً واسعة، سحق رءوسها، من النهر يشرب في الطريق، لذلك يرفع الرأس» [مزمور ١١٠: ١ ـ ٧].

ثالثـــاً: أطلق اليهود لقب «المسيا» أي «المسيح الرئيس» على النبي المنتظر الآتي مثل موسى. وقالوا: إن لقب «ابن الله» ولقب «الرب» في مزامير داود، من ألقابه، ولقب «ابن الإنسان» في سفر دانيال من ألقابه. اعلم هذا، واعلم أن النصارى مجمعون على هذا. ثم اعلم: أن عيسى ـ عليه السلام ـ في الأناجيل المقدسة ذاتها. نفى عن نفسه أنه المسيح الرئيس، بل نفى مجيء المسيح الرئيس من اليهود رأساً، وبين أنه سيأتي من بني إسماعيل. كيف؟

زعم اليهود العبرانيون أن النبي الآتي سيكون من نسل داود، من سبط يهوذا ـ يعنون من اليهود ـ وذلك لأن داود نفسه في سفر الزبور قال: إنه سيده أي سيخضع اليهود لشريعته. والابن لا يكون سيداً لأبيه. وعليه فإنه سيأتي من غير داود. وإذا أتى من غير اليهود، فمن نسل من سيأتي؟ أجاب: من نسل إسماعيل ـ عليه السلام ـ ولماذا؟ لأن الله وعد إبراهيم بمباركة الأمم والشعوب في نسل إسماعيل. ولا تكون البركة إلا بشريعة تنزل على رجل من نسله، يعمل بها الناس، فيكونون مباركين من الله بما عملوا. ألم يقل الله لإبراهيم: «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض»؟ [تك ٢٢ : ١٨].

وقال عن إسماعيل: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه: ها أنا أباركه» وقال عن أم

إسحق: «وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. أباركها فتكون أُمماً، وملوك شعوب منها يكونون» وكما حدث لنسلها؛ يحدث لنسل إسماعيل. إذ بركة إسحق بدأت من موسى صاحب الشريعة. وقال الله في حقها: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾**[المائدة: ٢٠]بدأت بركة إسماعيل من محمد صاحب الشريعة. ومن زمانه صار بنو إسماعيل ملوكاً على الأمم والشعوب، ليمكنوا للقرآن في الأرض.

قال عيسى ـ عليه السلام ـ في رواية بَرْنابا:

«الحق أقول لكم: إن كل نبي متى جاء، فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط، علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أُرسلوا إليه. ولكن رسول الله متى جاء، يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده، فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض، الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان؛ لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلاً: انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيماً، هكذا سيفعل نسلك. أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا بمن صُنع هذا العهد؟ فإن اليهود يقولون بإسحق، والإسماعيليون يقولون بإسماعيل. أجاب يسوع: ابن من كان داود؟ ومن أي ذرية؟ أجاب يعقوب: من إسحق؛ لأن إسحق كان أبا يعقوب ويعقوب كان أبا يهوذا، الذي من ذريته داود. فحينئذ قال يسوع: ومتى جاء رسول الله فمن نسل من سيكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم؛ لأن داود يدعوه في الروح رباً، قائلاً هكذا: «قال الله لربي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك، يُرسل الرب قضيبك الذي سيكون ذا سلطان في وسط أعدائك، فإذا كان رسول الله، الذي يسمونه مَسِيًّا، ابن داود، فكيف يسميه داود رباً؟ صدقوني؛ لأني أقول لكم الحق: إنَّ العهد صُنع بإسماعيل لا بإسحق» [برنابا:٤٣: ١٣ - ٣١].

وقال متى عن عيسى ـ عليه السلام ـ:

«وفيما كان الفَرِّيسيُّون مجتمعين، سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح رباً، قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أنْ يسأله بتة.

حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه، وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنهم يقولون ولا يفعلون؛ فإنهم يحملون أحمالاً ثقيلة، عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، فيعرّضون عصائبهم، ويُعظِّمون أهداب ثيابهم، ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع، والتحيات في الأسواق، وأن يدعوهم الناس: سيدي. سيدي. وأما أنتم فلا تُدعوا سيدي؛ لأن **معلمكم واحد: المسيح**. وأنتم جميعاً إخوة، ولا تدعوا لكم أباً على الأرض؛ لأن أباكم واحد، الذي في السموات، **ولا تُدعوا معلمين؛ لأن معلمكم واحد: المسيح**. وأكبركم يكون خادماً لكم. فمن يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» [متى ٢٢: ٤١ إلخ].

التعليق:

ما هو الفرق بين رواية برنابا ورواية متى؟ لقد اتفق الاثنان معاً على أن عيسى ـ عليه السلام ـ نفى عن نفسه أنه «المسيح الرئيس» ونفى أيضاً أن المسيح الرئيس من اليهود. لقول داود نفسه: إنه سيده. وقال عيسى ـ عليه السلام ـ لأتباعه: علموا بشريعة موسى بن عمران إلى أن يأتي معلمكم الذي هو المسيح الرئيس. ولا تكونوا معلمين باستقلال عن شريعة موسى. وتواضعوا لله، ولا تتكبروا عن الدخول في شريعة المسيح الرئيس.

محاولات النصارى لجعل عيسى هو المسيح الرئيس:

المحاولة الأولى:

تعبير «يوم الرب» عند اليهود والنصارى، هو تعبير يدل على اليوم الذي يظهر فيه «المسيح المنتظر» بمجد وسلطان، ومعه جنده وأعوانه المؤيدون من الله بالنصر على الأعداء. فيحاربون أعداء الله ـ وهم اليهود وأفواج الأمم في فلسطين ـ ويمكّنون لدينه في الأرض. الدين الذي أراده الله للعالم، وعرفهم به عن طريق «المسيح المنتظر». وقد حدثت الحروب في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في موقعة «اليرموك» التي هي «هرمجدون».

وهذا واضح من سفر يوئيل. الذي جاء فيه:

أ ـ «اضربوا بالبوق في صهيون. صوِّتوا في جبل قدسي. ليرتعد جميع سكان الأرض؛ **لأن يوم الرب قادم**؛ لأنه قريب. يوم ظلام وقتام، يوم غيم وضباب، مثل الفجر ممتداً على الجبال. شعب كثير وقوي لم يكن نظيره منذ الأزل، ولا يكون أيضاً بعده، إلى سني دور

فدور . قدامه نار تأكل، وخلفه لهيب يحرق. الأرض قدامه كجنة عدن، وخلفه قفر خرب، ولا تكون منه نجاة. كمظهر الخيل منظره، ومثل الأفراس يركضون، كصريف المركبات. على رءوس الجبال يثبون. كزفير لهيب نار تأكل قشاً. كقوم أقوياء مصطفين للقتال. **منه ترتعد الشعوب** . كل الوجوه تجمع حمرة، يجرون كأبطال، يصعدون السور كرجال الحرب، ويمشون كل واحد طريقه، ولا يغيرون سبلهم، ولا يزاحم بعضهم بعضاً. يمشون كل واحد في سبيله وبين الأسلحة ولا ينكسرون. يتراكضون في المدينة، يجرون على السور، يصعدون إلى البيوت، يدخلون من الكُوى كاللص. قدامه ترتعد الأرض، وترجف السماء. الشمس والقمر يُظلمان، والنجوم تحجز لمعانها. **والرب يُعطي صوته، أمام جيشه** . إنَّ عسكره كثير جداً. فإن صانع قوله قوي؛ **لأن يوم الرب عظيم**، ومخوف جداً. فمن يطيقه»؟ [يوئيل ٢:١-١١] .

التعليق:

في هذا النص يستفتح علماء اليهود على الذين كفروا، منهم. بأنهم سيغلبون الأمم ويفتحون بلادهم إذا ظهر «المسيح» وأن الشعوب سترتعد وستخاف في يوم ظهوره؛ لأنه سيكون محارباً منصوراً بقوة الله القادر على كل شئ.

ب - ويقول يوئيل النبي: إنه بعد مجئ يوم الرب، واستقرار الملك للمسيح الرئيس ومعرفة كل المؤمنين للشريعة التي ستكون معه من الله. إنه بعد مجئ يوم الرب، **سيكون الجميع متعلمين من الله**، وكل واحد سيكون قائماً بالشريعة، عوضاً عن سبط لاوي الذي كان وحده القائم بالشريعة في بني إسرائيل. وفي الشريعة الجديدة لا يكون فرق في معرفة الدين بين الحر والعبد. وبين الذكر والأنثى. لأن الجميع سيكونون ملهمين من الله. يقول يوئيل: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر. فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاماً، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً، وعلى الإماء أسكب روحي، في تلك الأيام» [يوئيل ٢:٢٨-٢٩] .

جـ - ويقول يوئيل النبي: إنه قبل ظهور يوم الرب، سيعم الفساد والظلم. يقول: «وأُعطي عجائب في السماء والأرض. دماً وأعمدة دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم، قبل أن يجئ يوم الرب العظيم المخوف، ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو» [يوئيل ٢:٣٠-٣٢] .

تفسير بطرس لنبوءة يوئيل:

ادعى بطرس بعد رفع عيسى إلى السماء: أن عيسى هو «المسيح الرئيس» وأن أيام ظهوره هي أيام يوم الرب، ويوم ارتفاعه إلى السماء هو يوم الرب. وادعى: أن يهودا أتقياء من كل أمة، كانوا ساكنين في أورشليم، فتحولت ألسنتهم إلى ألسنة أخرى بجميع لغات العالم. وادعى: أن هذا هو المراد من نبوءة يوئيل النبي. وغرضه من هذه الادعاءات هو: أن يطبق كل نبوءات التوراة عن محمد ﷺ على عيسى - عليه السلام - يقول بطرس في الأصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل بعد ذكر ما قدمنا معناه: «بل هذا ما قيل بيوئيل النبي. يقول الله: ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام. فيتنبأون. وأعطي عجائب في السماء من فوق، وآيات على الأرض من أسفل. دماً وناراً وبخار دخان. تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلىٰ دم، قبل أن يجئ يوم الرب العظيم الشهير، ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص» [أع ٢:١٦-٢١] .

الرد على بطرس:

أ - إن عبارة يوئيل. فيها الحروب والانتصار على الأعداء. وهي موافقة لقول موسى في سفر التثنية: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي، تُباد من الشعب» وعيسى - عليه السلام - لم يحارب ولم ينتصر.

ب - إن عبارة يوئيل. فيها تغيير الشريعة من قوم لاوي؛ إلى جميع المؤمنين بالنبي المنتظر، وعيسى لم ينسخ التوراة. لقوله: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» [متى٥:١٧] .

ج - أنه يقول «في الأيام الأخيرة» وعيسى لم يكن فيها. أما محمد فإن أول يوم له في الملك والنبوة؛ هو آخر يوم لهم فيها.

المحاولة الثانية:

قال داود - عليه السلام - عن أن النبي المنتظر سيكون منتصراً على أعدائه بقوة الله تعالى: «احفظني يا الله؛ لأني عليك توكلت. قلت للرب: أنت سيدي. خيري. لا شئ غيرك. القديسون الذين في الأرض والأفاضل. كل مسرتي بهم. تكثر أوجاعهم، الذين

أسرعوا وراء آخر. لا أسكب سكبائهم من دم، ولا أذكر أسماءهم بشفتي. الرب نصيب قسمتي وكأسي.

أنت قابض قرعتي. حبال وقعت لي في النعماء. فالميراث حسن عندي. أبارك الرب الذي نصحني. وأيضاً: بالليل تنذرني كُليتاي. جعلت الرب أمامي في كل حين؛ لأنه عن يميني فلا أتزعزع، لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي. جسدي أيضاً يسكن مطمئناً؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً. تعرفني سبل الحياة. أمامك شبَع وسرور. في يمينك نعَم إلى الأبد» [مزمور ١٦] .

تفسير بطرس للمزمور السادس عشر:

ادعى بطرس أن عيسى ـ عليه السلام ـ قُتل وصُلب، وأُنزل إلى القبر، ثم ارتفع إلى السموات، من قبل أن يُفسد القبر جسده. واستدل على ادعائه هذا بالمزمور السادس عشر. فقال: «أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجُل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعَجائب وآيات، صنعها الله بيده، في وسطكم، كما أنتم أيضاً تعلمون. هذا أخذتموه مُسلماً بمشورة الله المحتومة، وعلمه السابق. وبأيد أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت. إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه؛ لأن داود يقول فيه: «كنت أرى الرب أمامي في كل حين أنه عن يميني؛ لكي لا أتزعزع. لذلك سُرّ قلبي، وتهلل لساني، حتى جسدي سيسكن على رجاء؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولا تدع قدوسك يرى فساداً. عرفتني سُبل الحياة وستملأني سروراً مع وجهك» [أع ٢:٢٢-٢٨] .

الرد على بطرس:

عبارات المزمور السادس عشر تدل على مؤمرات وفتن، تحاك ضد المسيح المنتظر، ولا تضره. لأن الله تعالى سينصره. وعيسى ـ عليه السلام ـ لم يحارب أعداءه. وقوله: « لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. لن تدع تقيّك يرى فساداً» معناه: أن الله لن يترك المسيح الرئيس في يد أعدائه. وبطرس يفسره بأنه لن يترك عيسى للدود في القبر. وتفسيره باطل. وذلك لأن بعض الأناجيل الأربعة أثبتت قتل الأسخريوطي عوضاً عن المسيح. وفيهم أن المسيح أكل وشرب بعد حادثة القتل والصلب مع الحواريين، وأنه ظهر لهم لمدة أربعين يوماً. والذي يُدفن؛ لا يُخرج ليأكل وليشرب، بل الذي يجلس بجوار الله على العرش ـ كما يدعون ـ

لا يترك العرش وينزل ليمشي بين الناس.

والتوراة تكذب قولهم في جلوس المسيح بجوار الله في السماء. وذلك لأن فيها أن الله ليس جسماً. لقوله: «ليس مثل الله» [تث ٣٣:٢٦] .

وفيها أن الله في كل مكان بعلمه لا بذاته. لقوله: «ألعلّي إله من قريب. يقول الرب. ولست إلهاً من بعيد؟ إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة. أفما أراه أنا؟ يقول الرب: أما أملأ أنا السموات والأرض؟ يقول الرب» [إرمياء ٢٣:٢٣-٢٤] فإله يملأ السموات والأرض. كيف يجلس المسيح بجواره والمسيح جسم؟ وإن كان هو المسيح فكيف يضمه القبر؟

المحاولة الثالثة:

من النبوءات التي في التوراة عن النبي المنتظر الذي لقبوه بلقب: «المسيح الرئيس» نبوءة المزمور العاشر بعد المائة. وفيها يقول داود ـ عليه السلام ـ عن النبي المنتظر: إنه سيده. فأخذ بطرس هذا المزمور، وطبّقه على عيسى ـ عليه السلام ـ وقال للناس: «إن الله جعل يسوع هذا، الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً» يقصد بالرب؛ سيدي في قول داود: قال الله لسيدي. وسيدي تترجم ربي. ويقصد بمسيحه: أن عيسى هو النبي المنتظر، الملقب بلقب المسيح الرئيس، لا محمد النبي الآتي من إسماعيل، المبارك فيه.

ونص مزمور داود من ترجمة الآباء اليسوعيين هو هذا:

«قال الرب لسيدي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك. عصا عزّتك يُرسلها الرب من صهيون. تسلط فيما بين أعدائك. إن شعبك متطوع يوم قدرتك. في بهاء القداسة، من الجوف قبل الفجر، لك ندى ولادتك. أقسم الرب ولن يندم: أن أنت كاهن إلى الأبد، على رُتبة ملكي صادق. السيد عن يمينك. يُحطم الملوك يوم غضبه. يدين في الأمم. يملأ جثثاً. يهشم الرأس على أرض واسعة. من الوادي يشرب في الطريق، لذلك يرفع رأسه» [مز ١٠٩:١-٧] .

هذا هو نص المزمور. وفيه: التعابير الكنائية عن أن الله سينصر النبي على أعدائه في ساحة الوغى. فهل جهز عيسى جيشاً؟ وهل حارب عدواً؟ ومع هذا يقول بطرس: إن يسوع ارتفع إلى السماء بيمين الله، وسكب الروح القدس على اليهود الأتقياء الساكنين في أورشليم، فتكلموا بلغات العالم «لأن داود لم يصعد إلى السموات. وهو نفسه يقول: قال الرب لربي. اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فليعلم يقيناً جميع بيت

إسرائيل: أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم: رباً ومسيحاً» [أع ٢:٣٤-٣٦] .

الموعد:

وقال بطرس: «لأن الموعد هو لكم ولأولادكم، ولكل الذين على بُعد. كل من يدعوه الرب إلهنا» [أع ٢:٢٩] أي مَوْعد؟

إنه بعدما ذكر نصوص نبوءات من التوراة عن النبي المنتظر، وطبقها قسراً على يسوع المسيح؛ قال بعدما ذكرها: إن الموعد هو: أ - لليهود. ب - وللأمم. فما هو الموعد؟

أصل الموعد: هو أن الله قد عاهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يسير أمامه في البلاد لدعوة الناس إلى عبادته، بالكلمة الطيبة، وبقتال من يصد عن سبيل الله، ووعد الله إبراهيم بأن يكون: أ - نسل إسحق من بعده. ب - ونسل إسماعيل من بعده؛ دعاة إلى عبادته. والنسل الذي يبدأ أولاً يكون نسل إسحق. وفي الأيام التي هي له للدعوة، يجلس من نسله ملوك على الأمم. ليمكنوا للشريعة التي جعلها الله للناس عن طريق النسل. وهي كانت في نسل إسحق شريعة موسى ـ عليه السلام ـ ثم يقوم نسل إسماعيل من محمد ﷺ وبطرس يريد أن يلغو في الموعد الذي هو لنسل إسماعيل من بعد عيسى. وذلك بجعله موعداً لعيسى ـ عليه السلام ـ موعداً لمن يؤمن بعيسى من اليهود، ولمن يؤمن به من الأمم.

ومن نصوص المواعيد: هي:

١ - «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام، وقال له: أنا الله القدير. سر أمامي، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. فسقط أبرام على وجهه، وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم، فلا يدعى اسمك بعد أبرام، بل يكون اسمك إبراهيم؛ لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً، وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون. وأُقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك. كل أرض كنعان ملكاً أبدياً. وأكون إلههم»

٢ - «وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي، بل سارة. وأُباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً. أُباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون»

٣ - «وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك.

فقال الله: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً،

اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة» [تكوين ١٧] .

فإسماعيل له بركة. أي ملك على الشعوب، ونبوةً. ولكن اليهود من أيام سبي بابل ادعو بأن العهد بالنبوة في إسحق وحده. ولو منعت أنت إتيان المماثل لموسى من بني إسرائيل، لدلت النصوص بمنتهى الوضوح على أن محمداً هو النبي المنتظر إذا كيف تقول: لن يقوم في بني إسرائيل مثل موسى، وتقول: إن النبي الآتي من بني إسرائيل؟ هذا مستحيل قبوله. ولو كان العهد في إسحق وحده إلى الأبد. فأي فائدة تكون من النص على نبي يأتي من غير بني إسرائيل؟ ولذلك جاء في رواية لبرنابا عن المسيح ـ عليه السلام ـ : «حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كُتب في كتاب موسى: أن العهد صُنع بإسحق. أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب. ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل، تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا؛ لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله؟ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله؟ حقاً. يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله.

فكلم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل وأصعده الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحق البكر، وهو لما ولد، كان إسماعيل ابن سبع سنين؟

فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلي، لذلك قل لنا أنت الحق؛ لأننا نعلم أنك مرسل من الله. فأجاب حينئذ يسوع: الحق أقول لكم: إن الشيطان يحاول دائماً إبطال شريعة الله. فلذلك قد نجس هو وأتباعه والمراؤن وصانعو الشر كل شئ اليوم. الأولون بالتعليم الكاذب، والآخرون بمعيشة الخلاعة، حتى لا يكاد يُوجد الحق تقريباً. ويل للمرائين لأن مدح هذا العالم سينقلب عليهم إدانة وعذاباً في الجحيم.

لذلك أقول لكم: إن رسول الله بهاء يسر، كل ما صنع الله تقريباً؛ لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال. مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر، التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه.

ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم... الخ» [بر٤٤:١-٢٧] .

* * *

المحاولة الرابعة لبطرس:

قال موسى لبني إسرائيل: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون... إلخ» [تثنية ١٨: ١٥-٢٢].

هذا النبي هو محمد ﷺ لأن الأوصاف في النص تدل عليه، مع ما لإسماعيل أبيه من بركة منصوص عليها في سفر التكوين. فادعى بطرس بعد رفع المسيح مباشرة إلى السماء: أن هذا النبي المنتظر هو يسوع، الذي يُدعى، المسيح. قال بطرس: «والآن أيها الأخوة. أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم، كما رؤساؤكم أيضاً. وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح. قد تممه هكذا. فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم؛ لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب. ويُرسل يسوع المسيح المبشَّر به لكم قبل. الذي ينبغي أن السماء تقبله، إلى أزمنة ردِّ كل شئ، التي تكلم عنها الله. بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر. فإن موسى قال للآباء: إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي، تُباد من الشعب. وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده. جميع الذي تكلموا؛ سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام. أنتم أبناء الأنبياء. والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلاً لإبراهيم: وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» [أع ٣: ١٧-٢٥].

التعليق:

١ - لاحظ: «ويُرسل - أي الله يرسل - يسوع المسيح المبشر به لكم قبل» من الذي سيرسل يسوع المسيح؟ فإن النص يدل على اثنين:

١ - مُرسِل وهو الله. ٢ - ومُرسَل وهو المسيح.

والنصارى الأرثوذكس يعتقدون أن الله هو المسيح. أي يعتقدون بواحد انقلب إلى مسيح. وعلى اعتقادهم هذا يخرج النص من بين أيديهم ولا يشهد لهم.

٢ - لاحظ: «بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» واعلم: أن إسماعيل من نسل إبراهيم. لقوله: «بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك» [تكوين ٢١: ١٣-١٤].

٣ - لاحظ: أن موسى قال عن المسيح الرئيس: إنه مثلي. وقال: لن يأتي مثلي من بني

(١) ترجمة اليسوعيين. المزمور السابع عشر بعد المائة.

إسرائيل. وحدد المثلية بالحروب والانتصار على الأعداء والملك. وعيسى من بني إسرائيل. فلا يكون هو المماثل لموسى - عليه السلام -.

٤ - لاحظ: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي، تُباد من الشعب» أي يكون النبي الآتي محارباً ومنتصراً على أعدائه. وعيسى قال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله» ولم يحارب ولم ينتصر.

المحاولة الخامسة من بطرس:

أولاً: تنبأ داود - عليه السلام - عن نبي الإسلام ﷺ في المزمور الثامن عشر بعد المائة[1] بعبارات تفيد بأنه:

أ - سيكون محارباً ومنتصراً «باسم الرب أُدمرِّهم».

ب - لا يقتل بيد أعدائه: «لا أموت بل أحيا، وأُحدِّث بأعمال الرب. قد أدبني الرب تأديباً، ولكن لم يسلمني إلى الموت».

جـ - من النسل المحتقر في أعين بني إسرائيل «الحجر الذي رذله البناءون، هو صار رأساً للزاوية. من عند الرب كان ذلك. وهو عجيب في أعيننا» ونسل إسماعيل نسل محتقر في نظر اليهود؛ لأنهم من سارة الحرة، والإسماعيليون من هاجر. والمراد من الحجر المرفوض: بنو إسماعيل؛ لأن الله أعطاه بركة مساوية لبركة إسحق أخيه. واليهود يكرهون الإسماعيليين؛ لأنهم من هاجر.

د - وكان الحج إلى الكعبة من قبل محمد ﷺ وكان الحجاج يسوقون الهدي من البقر والغنم والمعز إلى الكعبة. فإذا وصلوا إلى الكعبة كانوا يربطون الذبيحة عندها. وهذا هو معنى ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ومشار إلى هذا المعنى في الزبور بقوله: «فزينوا العيد بأغصان مشبكة إلى قرون المذبح»

هـ - مبارك من الله. لقوله: «مبارك الآتي باسم الرب»

و - مشهود له من عند علماء بني إسرائيل الكهنة. وذلك لأنه مذكور في كتب التوراة التي معهم. لقوله: «باركناكم من بيت الله».

وهذا هو نص المزمور: «اعترفوا للرب؛ لأنه صالح. لأن إلى الأبد رحمته. ليقل إسرائيل: إن إلى الأبد رحمته. ليقل بيت هارون: إن إلى الأبد رحمته. ليقل المتقون للرب: إن إلى الأبد رحمته. من الضيق دعوت الرب فاستجاب الرب لي بالرُّحب. الرب معي. لا أخاف.

وماذا يصنع بي البشر؟ الرب معي بين ناصري، فأرى خيبة مبغضيَّ. الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر. الاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظماء. أحاطت بي جميع الأمم. باسم الرب أُدمرهم. أحاطوا بي ثم أحاطوا بي. باسم الرب أدمرهم. أحاطوا بي كالنحل، ثم خمدوا كنار الشوك. باسم الرب أدمرهم. لقد دفعتني لكي أسقط، لكن الرب نصرني. الرب عزتي وتسبيحي. لقد كان لي خلاصاً. صوت ترنم وخلاص في أخبية الصديقين. يمين الرب صنعت بيأس. يمين الرب ارتفعت. يمين الرب صنعت بيأس. لا أموت بل أحيا، وأحدثُ بأعمال الرب. قد أدبني الرب تأديبا، ولكن لم يسلمني إلى الموت. افتحوا لي أبواب البر، فأدخل فيها وأعترف للرب. هذا باب الرب. فيه يدخل الصديقون. أعترف بذلك؛ لأنك استجبتني وكنت لي خلاصاً.

الحجر الذي رذله البناءون هو صار رأساً للزاوية. من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في أعيننا. هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، فلنبتهج ونهلل فيه. يا رب خلّص. يا رب أنجح. مبارك الآتي باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. الربُّ هو الله. وقد أنارنا. فزينوا العيد بأغصان مُشبَّكة إلى قرون المذبح. أنت إلهي فاعترف لك. اللهم إني أرفعك. اعترفوا للرب؛ لأنه صالح؛ لأن إلى الأبد رحمته»[مزمور ١١٧] .

هذا هو نص المزمور. وفيه: «الحجر الذي رذله البناءون هو صار رأساً للزاوية. من عند الرب كان ذلك. وهو عجيب في أعيننا» وفي ترجمة البروتستانت: «الحجر الذي رفضه البناءون هو صار رأس الزاوية. من قِبَل الرب كان هذا. وهو عجيب في أعيننا»

ثانياً: استدلال عيسى بن مريم على مجئ نبي الإسلام بزبور داود:

١ - تنبأ دانيال النبي عن قيام ملكوت السموات على الأرض، بعد زوال المملكة الرابعة، وهي مملكة الرومان. في الأصحاح الثاني والسابع من سفره. وهو مشروح شرحاً وافياً في كتاب «البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل».

٢ - نادى عيسى - عليه السلام - في بني إسرائيل مع يوحنا المَعْمَدَان بقوله: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات»[متى٤:١٧] .

٣ - ضرب عيسى - عليه السلام - أمثلة لملكوت السموات. ومن الأمثلة التي ضربها: مثل ورد معناه في القرآن الكريم. وهو: «يُشبه ملكوت السموات. حبة خردل. أخذها إنسان وزرعها في حقله، وهي أصغر جميع البذور. ولكن متى نمت فهي أكبر البقول. وتصير

شجرة؛ حتى إن طيور السماء تأتي وتآوى في أغصانها»[متى ١٣:٣١-٣٢] .

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح:٢٩] أي أن المسلمين في البدء. يكونون قلة قليلة، ثم يكثرون في الأرض.

٤ - ومن الأمثلة التي ضربها عيسى - عليه السلام - لملكوت السموات مثل الكرامين الأردياء. والغرض من ضربه: هو بيان انتقال الملك والشريعة من بني إسرائيل إلى أمة بني إسماعيل.

ولما استبعد علماء بني إسرائيل هدفه؛ قال لهم عيسى - عليه السلام - : هذا هو الذي تنبأ عنه داود في المزمور الثامن بعد المائة بقوله: «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأساً للزاوية» ثم صرح لهم بنزع الملكوت منهم إلى أمة أخرى. هي أمة بني إسماعيل؛ لأن له بركة.

قال عيسى - عليه السلام -: «اسمعوا مثلاً آخر: كان إنسان رب بيت غرس كرما، وأحاطه بسياج، وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلّمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار، أرسل عبيده إلى الكرامين، ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده، وجلدوا بعضاً، وقتلوا بعضاً، ورجموا بعضاً. ثم أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين؟

قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويُسلّم الكرم إلى كرامين آخرين، يُعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب [1]: الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأي الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر؛ يترضّض، ومن سقط هو عليه؛ يسحقه.

ولما سمع رؤساء الكهنة والفَرِّيسيُّون أمثاله؛ عرفوا أنه تكلم عليهم. وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه، خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبي» [متى ٢١:٣٣-٤٦] .

(١) يقصد المزمور المئة والثامن عشر في ترجمة البروتستانت، وهو المئة والسابع عشر في ترجمة الآباء اليسوعيين.

ثالثاً: تضليل بطرس في كلام داود وعيسى بن مريم:

شفى بطرس رجلاً أعرج، فاجتمع الناس حوله، فخاطبهم قائلاً: «يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل. إن كنا نُفحص اليوم عن إحسان إلى إنسان سقيم بماذا شُفي هذا؟ فليكن معلوماً عند جميعكم، وجميع شعب إسرائيل: أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم، الذي أقامه الله من الأموات. بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً. هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناءون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس، به ينبغي أن نخْلُص» [أعمال ٤:٨-١٣]

الرد على بطرس:

أنت تحتج بالمزمور على صحة نبوة عيسى ـ عليه السلام ـ والمزمور الذي تحتج به يشهد بأن النبي المنتظر لايُقتل ولا يُصلب. ويشهد بأنه نبي لا إله، ويشهد بأنه سيغير الدين. وعيسى عندكم أيها النصارى هو الله رب العالمين متجسداً. على مذهب. وهو إله ثان. على مذهب. وعلى اعتقاداتكم، وعلى قول المسيح نفسه بأنه لم ينقض شريعة موسى ولم ينسخها، لا يكون المزمور حجة لكم. ثم إن عيسى قال: إن الملكوت يُنزع غصباً من اليهود، أي يُنزع بالحرب والقتال الشديد. ويُسلم إلى أمة أخرى. وأنتم أيها النصارى واليهود أمة واحدة. فالمزمور ليس لكم.

المحاولة السادسة:

لما وصل بطرس ويوحنا إلى رفقائهما، وأخبراهم بحاليهما مع رؤساء الكهنة والشيوخ. رفع الجميع صوتاً إلى الله. وقالوا: «أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. القائل بفم داود فتاك: «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل؟ قام ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه» لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته: هيرودس وبيلاطس البُنْطي، مع أُمم وشعوب إسرائيل» [أعمال٤:٢٤-٢٧].

تفسير الكلام:

تحدث داود ـ عليه السلام ـ في المزمور الثاني عن نبي الإسلام ﷺ بلقب: «ابن الله» على عادة بني إسرائيل في تلقيب أنبيائهم، بل وكل فرد فيهم، بلقب «ابن الله» على معنى

أنهم منتسبون إليه، لا إلى الشيطان، أو إله غير الله تعالى. فاقتبس بطرس ورفاقه عبارة داود، وألصقوها بعيسى ـ عليه السلام ـ وهي أصل أقنوم الابن في عقائد النصارى. وعلى ذلك. فمن يبغي هدم التثليث من أساسه، عليه أن يذكر نبوءة الابن ثم يناقش فيها النصارى. وبالمناقشة فيها ينهدم التثليث من أساسه، ولا تقوم له قائمة.

نص كلام داود:

«لماذا ارتجت الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معاً، على الرب وعلى مسيحه. قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا رُبُطهما. ألساكن في السموات يضحك، الرب يستهزئ بهم. حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجفهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون، جبل قدسي. إني أُخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكاً لك. تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزّاف تكسرهم. فالآن يا أيها الملوك تعقلوا. تأدبوا يا قضاة الأرض. اعبدوا الرب بخوف. واهتفوا برعدة. قبّلوا الابن لئلا يغضب؛ فتبيدوا من الطريق؛ لأنه عن قليل يتّقد غضبه. طوبى لجميع المُتكّلين عليه» [مزمور:٢].

التعليق:

إن هذا النص لا يدل على عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه لم يحطم أعداءه بقضيب من حديد، ولأن عيسى نفسه قال للحواريين: إن «ابن الله» سيأتي من بعدي، ويجب أن تكرموا وتؤمنوا به. وقد اقترب مجيئه، ومن يؤمن بكلامه فكأنه كان ميتاً وحيي، ومن صفات الابن الآتي: أن الله أعطاه حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً؛ لأنه ابن الإنسان»[يوه:٢٥-٢٧].

محاولة النصارى جعل نبوءة «ابن الله» على عيسى ـ عليه السلام ـ:

آ - إن بطرس ورفقاءه قد طبقها على يسوع. على معنى: أن ملوك الأرض ورؤساء الأرض ـ كل الملوك والرؤساء ـ تآمروا على حربه. وقال بطرس ورفقاؤه: أن الملوك والرؤساء هما هيرُدوس وبيلاطوس، الواليان على فلسطين من قِبَل قيصر الرومان. ومن يصدق هذا؟ هل هما كل ملوك الأرض ورؤساء الأرض؟ وفي الإنجيل أنهما لم يتآمرا على يسوع المسيح. وإنما المتآمرون عليه هم بنو إسرائيل من دون الناس.

ففي إنجيل يوحنا: «ثم دخل بيلاطس أيضاً إلى دار الولاية. ودعا يسوع، وقال له: أنت

ملك اليهود؟ أجابه يسوع: أمن ذاتك تقول هذا، أم آخرون قالوا لك عني؟ أجابه بيلاطس: ألعلّي أنا يهودي؟ أُمّتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليَّ. ماذا فعلت؟ أجاب يسوع: مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدامي يُجاهدُون، لكي لا أُسلَّم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس: أفأنت إذًا ملك؟ أجاب يسوع: أنت تقول: إني ملك. لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي. فقال له بيلاطس: ما هو الحق؟ ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود، وقال لهم: أنا لست أجد فيه عِلَّة واحدة» [يو ١٨:٢٣-٣٨].

من هو هذا الذي يفهم من ذلك النص أن بيلاطُس قد تآمر على المسيح؟ رجل يقول: «أنا لست أجد فيه علة واحدة» أي أيَّ سبب يستوجب به أن يُؤذى.

هل يقال في حقه: إنه تآمر على المسيح؟

وانظر إلى قول المسيح: «أتيتُ إلى العالم لأشهد للحق» فهل شهادته للحق، تدل على أنه المسيح الرئيس؟ المسيح الملك المماثل لموسى في الحروب والملك. هل هو في مثوله أمام بيلاطس كان قد أسس مملكة لا تنقرض أبداً؟ كما يقول دانيال عن المسيح الرئيس.

هذا من جهة بيلاطس. وأما من جهة هيرودوس. فإن لوقا يقول: إن بيلاطس أرسيل المسيح إلى هيرودوس لمحاكمته «وأما هيرودوس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه، لسماعه عنه أشياء كثيرة. وترجَّى أن يرى آية، تُصنع منه» [لو ٢٣:٨]

فهل كان هيرودوس من المتآمرين على يسوع؟ ألم يفرح بلقائه؟

ب - وضع كاتب سفر أعمال الرسل في قصة فيلُبُّس والخصيَّ الحبشي: «أن يسوع المسيح هو ابن الله» [أع ٨:٣٧].

جـ - احتج بُولُس بسفر المزامير وغيره على أن عيسى ـ عليه السلام ـ هو المسيح الرئيس. فقال: «كما هو مكتوب أيضاً في المزمور الثاني: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد. فهكذا قال: إني سأعطيك مراحم داود الصادقة[1]. ولذلك قال أيضاً في مزمور آخر: لن تدع قدوسك يرى فساداً» [أع ١٣:٢٣-٣٥]

(١) «وأقطع لكم عهداً أبدياً. مراحم داود الصادقة. هو ذا قد جعلته شارعاً للشعوب. رئيساً وموصياً للشعوب» [إش ٥٥:٣ ـ ٤] «أيها الرب الإله لا ترد وجه مسيحك. اذكر مراحم داود عبدك» [٢ أخ ٦:٤٢].

د - وفي سفر الأعمال عن بولس: «لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهراً، مبيناً بالكتب: أن يسوع هو المسيح». [أع ١٨:٢٨] ومن النبوءات عن المسيح نبوءة ابن الله.

هـ - «وأما شاول. فكان يزداد قوة، ويحير اليهود الساكنين في دمشق، محققاً: أن هذا هو المسيح» [أع ٩:٢٢].

المحاولة السابعة:

في الأصحاح السابع من سفر دانيال: أن أربعة ممالك تقوم على الأرض. والرابعة هي مملكة الروم. والذي يزيلها من أرضَ فلسطين هو «ابن الإنسان» الذي سيرسله الله إلى العالم وينصره ويؤيده. وعبَّر دانيال عن أتباعه بأن مملكته إلهية لأن شريعته من رب السماء، لا من قوانين البشر ووصايا الناس. قال دانيئال في حلم رآه بعدما حكى عن الممالك الأربعة: «كنت أرى في رؤى الليل. وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه: فأُعطي سلطاناً ومجداً وملكوتاً؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته مالا ينقرض» [دا ٧:١٣-١٤].

ويقول النصارى: إن المراد بالممالك:

١ - بابل. ٢ - وفارس. ٣ - واليونان. ٤ - والرومان.

ويقولون أيضاً: إن «ابن الإنسان» ويترجمونه أيضاً «ابن البشر» هو المَسيًّا الرئيس. فمن هو المسيا الرئيس؟

احتجاج عيسى ويحيى بكلام دانيئال على مجئ محمد ﷺ:

روى متى: «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣:١-٢].

وروى متى: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤:١٧].

وإذا قالا معاً: «اقترب ملكوت السموات» فقول يوحنا: «يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سيور حذائه» [مر ١:٧].

يكون عن نبي الإسلام محمد صاحب ملكوت السموات.

ولكن النصارى قالوا: إن ملكوت السموات هو ملكوت عيسى ـ عليه السلام ـ وقالوا: إن يحيى كان يعني بالذي يأتي من بعده؛ يسوع المسيح. كيف هذا؟ كيف هذا مع قول

المسيح نفسه: «ولست أنا بعدُ في العالم» [يو ١٧:١١].

كيف هذا وقد ظلت دولة الرومان قائمة إلى أن أزالها محمد ﷺ ؟

محاولة استفانوس جعل عيسى هو ابن الإنسان صاحب ملكوت السموات:

وضع كاتب سفر أعمال الرسل في قصة استشهاد استفانوس: «أنا أنظر السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله» [أع ٧:٥٦].

المحاولة الثامنة:

قال يوحنا المعمدان عن نبي الإسلام ﷺ: «يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سُيُور حذائه» [مر ١:٧].

«أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي، تُظهر أني أتكلم بما يريد الله. ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه؛ لأني لست أهلاً أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه مَسيّاً» [برنابا ٤٢:١٣-١٥].

فعيسى - عليه السلام - قال عن نبي الإسلام ﷺ بمثل ما قال يوحنا المعمدان. وهو قول يدل على التواضع له والاحترام.

وكاتب سفر أعمال الرسل قال: إن المعمدان يقصد بمن سيأتي من بعده يسوع الذي يدعى المسيح. قال: «فحدث فيما كان أبلُّوس في كورنثوس. أن بُولس بعدما اجتاز في النواحي العالية، جاء إلى أفسس. فإذ وجد تلاميذ، قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب: أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده. أي بالمسيح يسوع» [أع ١٩:١-٤].

المحاولة التاسعة:

الروح القدس: تعبير الروح القدس عند النصارى، هو تعبير خاص بالمسيا المنتظر، واسمه عندهم «بيراكليت» ولقبه «الروح القُدُس» وإذا قالوا: نحن ننتظر الروح القدس. فهم يقصدون: أنهم ينتظرون المسيا الرئيس. والكلمة العبرانية «بيراكليت» ينطقونها «باراكليت» وهي بفتح الباء تدل على الآتي من بعد المسيح. وهي بكسر الباء على اسم «أحمد».

وقد نطق عيسى - عليه السلام - باسم أحمد «بيراكليت» وقال في أوصافه: إنه سيعلم كل شئ، وسيُذكِّر بكل ما قاله المسيح للحواريين.

وقد ضلل النصارى في «بيراكليت الروح القدس» بما يلي:

١ - ادعوا: أن عيسى ما نطق «باركليت» التي هي اسم أحمد، وإنما نطق «بيراكليت» التي تعني الآتي من بعد المسيح.

٢ - ادعوا: أن الروح القدس ليس لقباً لبيراكليت، وإنما هو لقب للإله الثالث في ثالوث الآب والابن والروح القدس.

٣ - قالوا: إن يوحنا المعمدان عَمَّد بالماء، وأن كل من يؤمن بالمسيح سيعمد بالروح القدس. فما هو معنى التعميد بالروح القدس عندهم؟

هو أن كل من يؤمن بالمسيح رباً وإلهاً مصلوباً عن خطايا العالم، يحل عليه إلهام من الله، ليفعل الخير وينأى عن الشر. وكتبوا في الإنجيل بعد حادثة صَلْبه أنه ظهر لهم ونفخ في وجوه تلاميذه، وقال لهم: «اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه، تُغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت» [يو ٢٠:٢٢-٢٣].

٤ - حذفوا كلمة «بيراكليت» ووضعوا اليوم في تراجم الإنجيل «المعزِّي» وفي الإنجيل عربي وإنجليزي، وضعوا «المُعين» هكذا: «وأما الروح القدس المعين، الذي سيرسله الآب باسمي؛ فإنه يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يو ١٤:٢٦].

But the Conusellor, the Holy Spirit, When the Father Will Send in my name, will teach you all things and will remind you of every thing I have said to you.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥].

والروح المسئول عنه هو «بيراكليت الروح القدس» الذي هو محمد رسول الله ﷺ يسألونك لماذا يأتي وشريعة موسى معنا؟ وأجاب: بأن هذا أمر الله، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه. وأنتم أيها السائلون من أهل الكتاب ﴿مَا أُوتِيتُم﴾ من عيسى - عليه السلام - ﴿مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ لقوله في الإنجيل: إن الروح يعلمكم كل شئ. وهذا يدل على أن عيسى علم قليلاً من العلم. ولا يمكن أن يكون قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ خطاب لجميع بني آدم أو للمسلمين وحدهم. وذلك لأن محمدا ﷺ علم كل شئ. فقد قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨] وقال: ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١] .

المحاولة العاشرة:

محاولة استفانوس لجعل عيسى هو النبي المماثل لموسى:

وضع كاتب سفر أعمال الرسل على لسان استفانوس وهو يحاجّ اليهود: «هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل: نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون».

ثم قال لهم: «يا قساة الرقاب، وغير المختونين بالقلوب والآذان. أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما آباؤكم كذلك أنتم. أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجئ البارّ، الذي أنتم الآن صرتم مسلِّميه وقاتليه»؟ [أع ٧] .

محاولات بولس لجعل عيسى هو المسيح الرئيس:

وما فعله بطرس واستفانوس وغيرهما ؛فعله بولس. وهذا واضح في الرسالة إلى العبرانيين. فإنه قد اقتبس «أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» وغيرها.

قال ما نصه [(١)]: «الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة، في ابنه، الذي جعله وارثاً لكل شئ، الذي به أيضاً عمل العالمين. الذي هو بهاء مجده، ورسم جوهره وحاملٌ كلَّ الأشياء بكلمة قدرته، بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا؛ جلس في يمين العظمة، في الأعالي، صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم.

لأنه لمن من الملائكة قال قط: «أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» وأيضاً: «أنا أكون له أباً، وهو يكون لي ابناً» وأيضا: «متى أدخل البكر إلى العالم، رياحاً، وخدامه لهيب نار» وأما عن الابن: «كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البِرَّ، وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» و«أنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها؛ فتتغير. ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى» ثم لمن من الملائكة

(١) الاقتباسات في النص: مزمور ٢:٧ صموئيل الثاني ٧:١٤ مزمور ٩٧:٧ تثنية ٣٢:٤٣ مزمور ١٠٤:٤ مزمور٤٥:٧ ـ ٨ مزمور ١٠٢:٢٦ ـ ٢٧ مزمور ١١٠:١ .

قال قط: «اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»؟ أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة؛ لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» [عب١:١-١٤] .

الملاحظات:

١ - ما المراد بابنه؟

جـ - إنه هو المسيح المنتظر.

٢ - ما هو الدليل على أن الله سيرسل المسيح المنتظر إلى العالم؟

جـ - الدليل هو:

أ - أنت ابني. ب - كرسيك يا ألله. جـ - اجلس عن يميني.. الخ.

٣ - هل هذه الأدلة تدل على عيسى، أم تدل على محمد رسول الله؟

جـ - ههنا تكون المناقشة بين المسلمين وبين النصارى. وسيأتي البيان.

ابن الله هو المسيح المنتظر

وإذ أراد النصارى قفل باب النبوة في وجه محمد رسول الله الآتي من الأُمِّيين بني إسماعيل نوراً وهدى للناس. كتبوا سفر أعمال الرسل، لتطبيق كل نبوءات التوراة التي هي كلها لمحمد ﷺ والتي طبقها المسيح عيسى بن مريم نفسه عن نبي الإسلام ﷺ على عيسى ـ عليه السلام ـ في مجيئه الثاني، آخر الزمان.

ثم نظروا في الأناجيل الأربعة المقدسة عندهم، ووضعوا فيها عبارات تدل على أن عيسى: هو ابن الله. الذي هو المسيا. أي المسيح الرئيس. ثم أشاعوا في العالم: أن لاهوت المسيح واضح في الأناجيل لمن يرى. والحقيقة: أنه لا تُوجد في الأناجيل أي عبارة تدل على لاهوت المسيح ولا بنوته لله بنوة طبيعية. **وكل ما فيها عن «ابن الله» يعنون به: أنه المسيح الرئيس**. وقد فات هذا الأمر على بعض المؤلفين الناقلين عن غيرهم بلا تثبت، مع أنهم لو قرأوا بأنفسهم نصوص الكتب لأدركوا مثل ما أدركنا.

انظر إلى بدء إنجيل مرقس. ونصه: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» ما المراد بهذه العبارة؟ المراد بها عندهم: أنه هو المسيح الرئيس. يريدون أن يخدعوا العالم بأن يسوع هو المسيح المنبأ عنه في المزمور الثاني بلقب «ابن الله» ولذلك كتبوا بعدها مباشرة: «كما هو مكتوب في الأنبياء» ثم ذكروا نصوصاً من أسفار الأنبياء، وأوَّلوها تأويلاً سيئاً، لتدل على أن عيسى هو «المسيح» لا «مسيح»

وفي إنجيل يوحنا عقب ذكر المائدة السماوية، حشر محرفوا الإنجيل هذه العبارة: «ونحن

قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح. ابن الله الحي» [يو٦:٦٩] .

يريدون أن يقولوا: إن بطرس ورفاقه عرفوا: أن عيسى هو: «المسيح الرئيس» الملقب من داود بلقب «ابن الله». و«الله الحي» في النص يكذب النصارى في قولهم بموت المسيح على الصليب. لأنهم يقولون هو الله. فإذا كان هو الله فكيف يموت وهو الله؟

وما عدا هذا. فكل الأناجيل توضح أن عيسى رسول الله.

١ - في إنجيل لوقا. يقول المسيح: «لا يقدر خادم أن يخدم سيدين؛ لأنه إما أن يُبغض الواحد، ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال» [لو ١٦:١٣] .

٢ - في إنجيل يوحنا: «فقالوا له: من أنت؟ فقال لهم يسوع: أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به. إن لي أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم. لكن الذي أرسلني هو حق. وأنا ما سمعته منه. فهذا أقوله للعالم» [٨:٢٥-٢٦] .

٣ - وفي إنجيل مرقس: «فقال لهم يسوع: ليس نبي بلا كرامة إلاَّ في وطنه وبين أقربائه وفي بيته» [مر ٦:٤] .

٤ - وفي إنجيل متى: يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: «من يقبلكم يقبلني، ومن يقبلني، يقبل الذي أرسلني» [متى ١٠:٤٠] .

نصوص من كلام العلما. تدل على أن عيسى ليس هو المسيح الرئيس

في كتاب الأدلة الكتابية [١] ما نصه: «يقول كيزيتش تحت عنوان: المسيح في اليونانية Christos كريستوس والعبرية Mashiah ماسيًا: وفيما بعد وعندما قوى التعلق بالقومية اليهودية وخاصة في العصر الهليني؛ أخذ الرجاء الماسياني معاني سياسية، فكان معاصرو يسوع يتوقعون مجئ زعيم قومي، وملك قومي، يلعب دور مسيح الرب، ويخلص شعبه من النير الروماني، ويعيد الملك إلى إسرائيل، وكانت الجموع التي تقبلت بغبطة كلام يسوع وتلاميذه، تشارك في هذا المفهوم لمجئ الماسيا. وقد استمرت في هذا الفهم وهذا الرجاء حتى النهاية» [٢] .

(١) واسمه أيضاً حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة ـ نشر دار الفضيلة بالقاهرة.

(١) ص ٧٦ ـ ٧٧ المسيح في الأناجيل.

ويقول كيزيتش تحت عنوان ابن الإنسان: «أما الآيات الأساسية في الأصحاح السابع من دانيال، فهي: «ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن الإنسان، آتياً على سحاب السماء، فبلغ إلى قديم الأيام وقرب إلى أمامه، وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه. وسلطانه سلطان أبدي لايزول، وملكه لا ينقرض» [دانيال ٧: ١٣-١٤] .

ولكن ابن الإنسان الذي ينصر «قديسي العليّ» [دانيال ٧:١٨] يعطي ملكاً أبدياً، وابن الإنسان هذا هو ملك الملك الأبدي وماسيًّا»[١] أ.هـ.

ويقول كيزيتش: «بين علماء العهد الجديد من يزعم أن يسوع لم يعلن أبداً أنه مسيا، وإنما الكنيسة اخترعت بعد قيامة المسيح من الأموات «السر الماسيَّاني» ويقولون بأن العبارات الماسيانية المدونة في الأناجيل ليست ليسوع، بل من وضع الكنيسة».

ويشير كيزتش إلى مرجعه بالآتي:

Wred The Messianic Secret in the Gospels 1901

في كتاب:

Albert Schweitzer: The Quest of the Historical jesus, New York, Macmillan, 1961, pp.330 - 348

قَبِلَ أكبر ممثلين لحركة النقد الحديثة المعروفة بنقد الأشكال الأدبية، بولتمان وديبليوس نظرية «ويرْد». يعتقد بولتمان: أن المسيح لم يؤمن أنه هو الماسيا. هذه النظرة أصبحت عقيدة في مدرسة بولتمان، وتبين الكثير من طريقة تفسيره للإنجيل. ويعتقد أتباع «بولتمان» أن السر الماسيَّاني لا يمت بصلة إلى حياة يسوع وتعاليمه.

سيد داود:

ويقول كيزتش: «عندما كان يسوع يعلم في الهيكل، استشهد بالمزمور ١١٠ سائلاً: «كيف يقول الكتبة: إن المسيح هو ابن داود»؟ مادام داود نفسه قد قال: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» ثم أضاف قائلاً: «فداود نفسه يدعوه رباً، فكيف يكون هو ابنه»؟ [مرقس ١٢:٣٥-٣٧] .

يظهر من تساؤل يسوع: أن لقب «ابن داود» الذي كانت له جذور عميقة في التوقعات الماسيَّانية الشعبية لم يكن كافياً، للتعبير عن ماسيانية يسوع، وهدف عمله الخلاصي»[٢] أ.هـ.

(١) ص ٧٩ ـ ٨٠ المسيح في الأناجيل.

(٢) ص ٨٣ المسيح في الأناجيل.

بَرْنابا ينقل عن عيسى عليه السلام أن المَسِيَّا سيأتي من بعده

«أجاب الكاهن: إنه مكتوب في كتاب موسى: إن إلهنا سيرسل لنا مسيا، الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله، وسيأتي للعالم برحمة من الله. لذلك أرجوك أن تقول لنا الحق: هل أنت مسيًا الله الذي ننتظره؟

أجاب يسوع: حقاً إن الله وعد هكذا، ولكني لست هو. لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي[1]، أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس الله. لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسيا.

أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي: أني لست مسيا الله، الذي تنتظره كل قبائل الأرض، كما وعد الله أبانا إبراهيم [2] قائلاً: بنسلك أبارك كل قبائل الأرض» [بر ٩٦: ٣-٨].

المسيّا في توراة موسى:

إن الكاهن يقول لعيسى ـ عليه السلام ـ: «إنه مكتوب في كتاب موسى: إن إلهنا سيرسل لنا مسيا» وهذا المكتوب موجود إلى الحين في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. وهو «يُقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون» يقول الأنبا أثناسيوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: «كان موسى النبي قد قال لليهود: يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون» [تث ١٨: ١٥].

وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة: إنها عن يشوع الذي جاء بعد موسى. ولكن اليهود فهموها دائماً: أنها عن نبي من نوع آخر، يقيم عهداً جديداً معهم. هو عهد المسيا»أ.هـ.

وإذ صح وثبت أن النبي الأمي في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية هو محمد ﷺ يكون هو المسيا. وما قاله برنابا هو هو نفسه الذي قاله هؤلاء الذين حكى كلامهم «كيزتش».

(١) يوحنا ١: ١٥ .

(٢) تك ٢٢: ١٨ .

رينان يعتقد أن عيسى ليس هو المسيا:

والفيلسوف الفرنسي رينان يؤكد أن عيسى ليس هو المسيا المنتظر، فإن يسوع أعلن أن المسيا سيأتي من بعده. وقال: إن يسوع كان تلميذاً للربي هلليل [1] .

وقال «شارل جنيبير» [2]: إن عيسى لم يعترف بأنه هو المسيح. وليس هو.

نقل القس الدكتور فهيم عزيز عن علماء الغرب كلامهم عن المسيّا:

يقول: «إن كثيرين من علماء الغرب ينكرون أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح اليهود، أو المسيا الذي كان ينتظره العهد القديم» [3].

التعليق:

أيها النصارى: أنتم تقولون: إن نبوءة «يُقيم لك الرب إلهك نبياً» هي التي تدل على المسيا. وهي تدل على محمد ﷺ فيكون هو. فلماذا رفضتم إنجيل برنابا الذي بيّن لكم: أن المسيا هو محمد رسول الله؟

لماذا ترفضونه؟ ها إن ما قاله برنابا عن المسيا، هو نفسه ما قاله العلماء اليوم. بل هو نفس صريح الأناجيل الأربعة. فإن عيسى ـ عليه السلام ـ لما سأل عن النسل الذي سيظهر المسيا منه. وأجابوا بأنه نسل داود؛ وبّخهم على قولهم. وقال لليهود: لو كان من نسله، ما كان يدعوه بسيده. [متى ٢٢: ٤١ إلخ] .

(١) ص ٨٣١ حياة المسيح للدكتور فردريك ـ فارار.

(٢) ترجم كتابه الدكتور / عبد الحليم محمود. ونقل عنه هذه العبارة الدكتور رءوف شلبي.

(٣) ملكوت الله ص ١٦٠ .

الفصل السادس

في

الشَّهَادَة

العالم من علماء بني إسرائيل. إذا قال كلاماً . موافقاً لمعنى مَّا من معاني التوراة. يكون العالم صادقاً في كلامه؛ لأن التوراة شهدت له بالصدق. وإذا قال كلاماً في الدين تدل معاني التوراة على ضده، فإن التوراة تشهد عليه بالكذب.

ومن أجل ذلك كان علماء بني إسرائيل إذا أصدروا فتوى في الدين، يستشهدون بالتوراة عليها، وعلى سُنَّتهم وطريقتهم كان عيسى ـ عليه السلام ـ.

شهادة عيسى عليه السلام:

١ - فإنه لما بشَّرهم بمحمد رسول الله ﷺ طلبوا منه الدليل من التوراة على تبشيره وذلك لأن النصوص عنه غير واضحة للأُميين من اليهود وللأميين من الشعوب والأمم.

وقد استدل من التوراة بنصوص البركة في إبراهيم وإسماعيل وإسحق، وبنصوص من أسفار الأنبياء. منها قول داود نفسه: «قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك».

٢ - ولما سألوه ألنبي أنت، أم أنت عالم من علماء بني إسرائيل؟ أجاب بأنه النبي المرسل من الله. واستدل على أنه النبي والمرسل من الله. بالأدلة التالية:

الدليل الأول: شهادة يوحنا المعمدان له.

والدليل الثاني: شهادة المعجزات له. فإنه بفعله المعجزات، يدل على أن الله هو الذي يشهد له

والدليل الثالث: شهادة التوراة بصدق الخبر الذي يذيعه وهو اقتراب زمان محمد ﷺ .

وقد حشر محرفوا الأناجيل آية في إنجيل يوحنا تدل على أن توراة موسى كتبت عن عيسى ـ عليه السلام ـ وها هي التوراة بين أيدينا لا تدل عليه.

يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: «إن كنتُ أشهد لنفسي، فشهادتي ليست حقاً. الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق، وأنا لا أقبل شهادة من إنسان. ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم. كان هو السراج الموقد

المنير، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة. وأما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا؛ لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها. هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها؛ هي التي تشهد لي أن الآب قد أرسلني. والآب نفسه الذي أرسلني يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته وليست لكم، كلمته ثابتةفيكم، لأن الذي أرسله هو، لستم أنتم تؤمنون به. فتشوا الكتب؛ لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية. وهي التي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ، لتكون لكم حياة.

مجداً من الناس لست أقبلُ. ولكني قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله في أنفسكم. أنا قد أتيت باسم أبي، ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه. كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً، بعضكم من بعض، والمجد الذي من الإله الواحد، لستم تطلبونه؟

لا تظنوا أني أشكوكم إلى الآب. يُوجد الذي يشكوكم. وهو موسى، الذي عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى، لكنتم تصدقونني؛ لأنه هو كتب عني. فإن كنتم لستم تصدقون كُتُب ذاك، فكيف تصدقون كلامي»؟ [يوحنا ٥:٣١-٤٦] .

البيان:

١ - إن كنتُ أشهد لنفسي، فشهادتي ليست حقاً. لماذا؟ لأن التوراة تنص على ثبوت الحكم بشاهدين أو ثلاثة [تثنية ١٩:١٥] .

٢ - من يشهد لعيسى ـ عليه السلام ـ في تبشيره بمحمد؟. الأعمال التي أعطاها الله له ـ وهي المعجزات ـ تشهد له. والكتب تشهد له. ففيها كلام النبي دانيال عن ملكوت السموات، وكلام داود عن الحجر المرفوض من البنائين، وكلام موسى نفسه عن مجئ المماثل له في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. مع قوله: لن يظهر مثلي من بني إسرائيل، ونصه على بركة لآل إسماعيل ـ عليه السلام ـ.

شهادة يُوحنَّا المَعْمَدَان

«كان إنسان مرسل من الله، اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة. ليشهد للنور، لكي يؤمن الكل بواسطته، لم يكن هو النور، بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتياً إلى العالم»[يو ١:٦-٩] .

البيان:

١ – جاء للشهادة. أي أرسله الله تعالى ليشهد بصحة نبوة محمد ﷺ وذلك بتفسير نصوص نبوءات التوراة عنه على وجهها. ولكن النصارى يقولون: إنه أتى ليشهد لعيسى، ليس على أنه نبي كسائر الأنبياء مثل إلياس واليَسَعَ. بل على أنه «المسيح الرئيس» وهل كان عيسى ملكاً كما كان موسى؟ وهل أعطي شريعة كما أعطي موسى؟

٢ – النور الحقيقي. من هو؟ المعمدان نور، والدعاة المصلحون الصادقون نور. ولكن الشهادة لواحد هو النور الحقيقي. واحد مميز ومعروف ومعلوم. فمن هو؟

٣ – آتياً إلى العالم. فمن هو هذا الذي أتى إلى العالم من بعد المعمدان ويسوع؟

شهادة الحواريين لمحمد

يقول عيسى ـ عليه السلام ـ للحواريين عن محمد رسول الله ﷺ: «ومتى جاء المعزّى الذي سأرسله أنا إليكم، من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً؛ لأنكم معي من الابتداء» [يو ١٥:٢٦-٢٧].

وفي ترجمة الإنجيل كتاب الحياة: «وعندما يأتي المُعين، الذي سأرسله لكم من عند الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب؛ فهو يؤدّي لي الشهادة. وتؤدونها لي أنتم أيضاً لأنكم معي من البداية».

البيان:

محمد يشهد لعيسى. هذه الشهادة الأولى في النص. والحواريين يشهدون لعيسى. هذه هي الشهادة الأخرى.

وليس المراد محمداً نفسه ـ عليه السلام ـ وإنما المراد: هو وكل مسلم على دينه. فقرآنه ينوب عنه في غيابه. وليس المراد الحواريين أنفسهم. وإنما المراد: كل قارئ للإنجيل ينوب عن عيسى في غيابه.

وقد شهد محمد بأن عيسى بشّر به. وشهد الحواريون بأن عيسى قد بشّر بمحمد. ففي القرآن: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ [البقرة:٨٧] أي أيدنا عيسى وشهدنا له ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨ ٨٧] وهو محمد ﷺ وفي الإنجيل: الحديث الطويل الذي أورده يوحنا عن «بيراكليت الروح القدس» وما يزال الحديث يؤدي الشهادة إلى يومنا هذا.

المسيح يقول عن نفسه:

«أتيتُ لأشهد للحق»

يقول عيسى ـ عليه السلام ـ لبيلاطُس: «ولهذا قد وُلدت أنا. ولهذا قد أتيت إلى العالم؛ لأشهد للحق»[يو ١٨:٣٧].

س: ما هو الحق الذي أتى ليشهد له؟

جـ – لقد دعا مع المعمدان إلى اقتراب ملكوت السموات. فيكون الحق الذي يشهد له، هو نفسه الحق الذي يشهد له المعمدان. وهو مجئ النور الحقيقي إلى العالم.

* * *

الشهادة

في

القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[البقرة: ١٣٩، ١٤٠].

البيان:

يطلب الله من علماء بني إسرائيل أن يؤدوا الشهادة بصدق نبوة محمد ﷺ وإذا لم يؤدوها؛ فإنه يتوجَّب على المسلمين إبرازها من التوراة وأسفار الأنبياء والإنجيل ليخزوهم على ما سكتوا عن أدائه. وذلك لأن الساكت عن أداء الشهادة يكون حجر عثرة في طريق الإصلاح.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾؟ [آل عمران: ٧٠].

وقال الله تعالى للمسلمين في شخص محمد صاحب الرسالة أن يقولوا لليهود والنصارى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُ ﴾ [آل عمران: ٩٩].

وقال الله تـعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠] .

وقال الله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦]

البيان:

في آخر إنجيل يوحنا: يقـول عن نفسه: «هذا هو التلميذ الذي يشهـد بهذا وكتب هذا» ومعلوم أن لفظ الإنجيل معناه شهادة من كاتبه عـلى أنه سمع من المسيح تبشيره بمحمد ﷺ وهو يؤدي الشهـادة كما سمعـها من المسيح نفسـه. وقال جامعـوا كلام يوحنا: «ونعلم أن شهـادته حق» أي أنهم أمنوا على شهـادة يوحنا. ولو كان يوحنا هو المتكلم بـالعلم لما كان يقول: «ونعلم أن شهادته حق» وكان يقول: وأعلم أن شهادتي حق. وهذا هو نص العبارة: «هذا هو التلميذ الذي يشهـد بهذا، وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق. وأشياء أخـر كثيرة صنعها يسوع. إن كُتبت واحدة واحدة؛ فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة» [يو ٢١: ٢٤-٢٥]

الفصل السابع
شهادة أهل الروم
بعيسى ومحمد عليهما السلام

لأي سبب ظهر عيسى ـ عليه السلام ـ في الزمـان الذي ظهر فيه؟ هذا سؤال مهم جداً. لأن أفعال الله مُعَلَّلة بحكمة، ولا تخلو من فائدة. والإجابة هي:

أن الله تعالى أرسله إلى بني إسـرائيل. كما أرسل إليهم إلياس واليـسع وزكريا ويحيى ـ عليهم السلام ـ وكلهم كانوا علـى شريعة موسى. ومن أحكامها في سفر تثنية الاشتراع: أن يؤمن بنو إسرائيل بمحمد ﷺ إذا جاء فلماذا ظهر عيسى في ذاك الزمان. وغيره قد سبقه بما جاء به، وعلماء بني إسرائيل يمكنهم أن يقولوا بما قـال؟ وإذا لم يظهر إلياس واليسع وزكريا ويحيى ـ على سبيل المثال ـ لتجديد إيمان بني إسرائيل وتذكيرهم بأيام الله؛ فإن التوراة تحل محلهم وعلماء بـني إسرائيل يقومون مقـامهم. والله قد أظهر كلاً منهـم في حينه؛ لحكمة يعلمها. قـد تكون لتقوية الإيمان في نفوس المؤمنين، أو آية للناس ورحمـة من الله. كما في الحديث النبوي: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لها أمر دينها**».

ويتعين قـبل الإجابة على هذا السـؤال: ذكرُ قتل بني إسـرائيل للأنبيـاء، والذين يأمرون بالقسط من الناس فقد حكى الله عنهم في القرآن الكريم: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨٣] .

وفي التـوراة: يقول النبي إرمياء: «من أجل خطايا أنبيـائها، وآثام كهنتها، السافكين في وسطها دم الصديقين؛ تاهوا كعُمي في الشـوارع، وتلطخوا بالدم، حتى لم يستطع أحد أن يمس ملابسهم» [مراثي إرمياء ٤: ١٣-١٤] .

وقال إرمياء عن علماء بني إسرائيل: «ها إنكم متكلون على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقـون وتقتلون وتزنون وتحلفون كـذباً وتبخرون للبـعل، وتسيرون وراء آلهـة أخرى لم تعرفـونها. ثم تأتون وتقفـون أمامي في هذا البيـت الذي دُعي باسمي عليه، وتقـولون: قد أُنقذنا. حـتى تعملوا كل هذه الرجـاسات؟ هل صـار هذا البيت الذي دُعي باسـمي عليه، مُغارة لصوص في أعينكم؟ هأنذا أيضاً قد رأيت. يقول الرب» [إرمياء ٧: ٨-١١] .

وقال حزقيال: «قد كثَّرتم قتلاكم في هذه المدينة، وملأتم أزقتَّها بالقتلى» [حز ١١-٦].

وفي الإنجيل: يقول عيسى ـ عليه السلام ـ في رواية متى ـ: «لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة. فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي، سُفك على الأرض. من دم هابيل الصِّديق إلى دم زكريا بن برخيَّا، الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم: إن هذا كله يأتي على هذا الجيل. يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها» [متى ٢٣: ٣٤-٣٧].

ويقول عيسى ـ عليه السلام ـ في رواية لوقا ـ: «ويل لكم. لأنكم تبنون قبور الأنبياء، وآباؤكم قتلوهم. إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم. لأنهم هم قتلوهم، وأنتم تبنون قبورهم، لذلك أيضاً قالت حكمة الله: إني أُرسل إليهم أنبياء ورسلاً. فيقتلون منهم ويطردون. لكي يُطلب من هذا الجيل دمُ جميع الأنبياء، المهرق منذ إنشاء العالم. من دم هابيل إلى دم زكريا، الذي أُهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم: إنه يُطلب من هذا الجيل» [لو ١١: ٤٧-٥١].

وقال بُولُس: «أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب في إيليَّا. كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل؟ قائلاً: يا رب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيتُ أنا وحدي وهم يطلبون نفسي» [رومية ١١: ٢-٣].

هذا حال علماء بني إسرائيل مع الأنبياء، ومع الذين يأمرون بالقسط من الناس. فافرض أنهم ائتمروا في قرية من القرى على قتل رجل صالح ثم قتلوه بالفعل. فمن يدينهم على قتله؟ لا أحد. ومن هو هذا الذي يجرؤ من بعد قتله؛ على إذاعة كلامه، الذي قُتل بسببه؟ لا أحد.

وعلى هذا الفرض. لو قُدِّر أنهم اغتاظوا من كلام عيسى ـ عليه السلام ـ وأرادوا قتله. فمن هو هذا الذي يقدر على إذاعة كلامه من بعده؟ انظر إلى «زكريا بن برخيا» (١) الذي

(١) في التوراة:

«وشاخ يهوياداع وشبع من الأيام ومات. كان ابن مئة وثلاثين سنة عند وفاته. فدفنوه في مدينة داود مع الملوك لأنه عمل خيرا في إسرائيل ومع الله وبيته. وبعد موت يهوياداع جاء رؤساء يهوذا وسجدوا للملك. حينئذٍ سمع الملك لهم. وتركوا بيت الرب إله آبائهم وعبدوا السواري والأصنام فكان غضب=

قتله علماء بني إسرائيل في هيكل سليمان. في أقدس مكان، وأخفى مكان. وهو «بين المذبح والهيكل» فمن عامة الشعب رأى؟ ومن من عامة الشعب سمع بخبره؟ وما الذي كان يقوله لعلماء بني إسرائيل؟

ولئن قلت: إن ملوك بني إسرائيل ينصفون المساكين، ويحكمون بالعدل، ويمنعون الأذى عن العلماء. ففي التوراة: أن «ميخا بن يَمْلَة» كان نبياً للرب. ولم ينافق ملك السامريين، في حضرة «يهو شافاط» ملك العبرانيين. فأمر الملك بوضعه في السجن وإطعامه خبز الضيِّق وماء الضيق. [٢ مل ٢٢].

فمن يحمي المسيح عيسى بن مريم من علماء بني إسرائيل وملوكهم حتى يبلغ دعوته؟

وانظر إلى قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

ما وراءه: هو القرآن، وما أنزل عليهم: هو التوراة.

ولم يقل: فلم قتلتم. بصيغة الماضي. وإنما قال: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ بصيغة المضارع. فلماذا؟ لأنهم قتلوا في الماضي. ومن بعد ظهور الإسلام يقتلون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين هم يقومون بمثل ما قام به الأنبياء الحقيقيون. فقوله: ﴿تَقْتُلُونَ﴾ يدل على كرههم المستمر إلى يوم القيامة لمن يأمر بالقسط.

وقد حوَّم الإمام الزمخشري ـ رضي الله عنه ـ على هذا المعنى. فقال في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]: «فإن قلت: هلا قيل: وفريقاً قتلتم؟ قلت: هو على وجهين: أن يُراد الحال الماضية؛ لأن الأمر فظيع؛ فأُريد استحضاره في النفوس، وتصويره في القلوب. وأن يُراد: وفريقاً تقتلونهم بعدُ؛ لأنكم تحومون حَول قتل محمد ﷺ لولا أني أعصمه منكم»(٢) أ. هـ.

= على يهوذا وأورشليم لأجل إثمهم هذا. وأرسل إليهم أنبياء لإرجاعهم إلى الرب وأشهدوا عليهم فلم يصغوا. ولبس روح زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون. لأنكم تركتم الرب قد ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمرالملك في دار بيت الرب. ولم يذكر يوآش الملك المعروف الذي عمله يهوياداع أبوه معه بل قتل ابنه. وعند موته قال الرب ينظر ويُطالب» [أخبار الأيام الثاني ٢٤].

(٢) تفسير الكشاف ـ سورة البقرة.

يقول هذا الإمام المعظم: إن إرادتهم قتل محمـد ـ عليه السلام ـ تدل على أن فعل القتل لم يتِه بعد، حتى يُعبر عنه بقتلتم. ولأن في نيتهم استمرار القـتل؛ عبر بالمضارع. ولو أنه قال: لأنكم تحومون من قبل محمد حـول قتل العلماء العادلين منكم ومن غيركم الذين هم ورثة الأنبياء والأنبياء أيضاً؛ لدل قوله إلى زمان إسلامهم لا إلى زمان محمد فقط. والأنبياء في لغتهم مجازا هم العلماء.

ولنرجع إلى ما كنا فيه. وهو إن عيسى ـ عليـه السلام ـ لو كان هو بين اليهود فقط حال قيامه بدعوته. فإن العـقل يجوز عليهم أن يضـيعوا دعوته، أو يكتـموها؛ حتى لا يعرفـها غيرهم من سائر الأجناس والشعوب. ولهذا السبب أرسله الله عز وجل في زمان خضوعهم لأهل الروم. ليشهدوا له وليشهدوا عليهم. لأن دعوة محمد عالمية، ويلزمها إذاعة الخبر عنها إلى أقصى الأرض. وكان أهل الروم يقـيمون ولاة لهم في مدن فلسطين، ويقـيمون جنوداً، ويثبـتون عيـوناً. ولهم مؤرخون يؤرخـون لدولتهم، ويسجـلون الوقائع المهمـة. وجعل الله لعيسى ـ عليه السلام ـ معجزات تُجبـر المؤرخين على كتابتها. وتحتم على الناس أن يتحدثوا فيـها. فإحيـاء ميت وهو في النعش ووراءه وأمـامه جمع من المشيعين، لا يمكن أن يسكت الناس عن الكلام فـيه. ولا يُعقل أن لا يبلـغ خبره إلى حكام البـلاد من أهل الروم، وإلى غيرهم من سكان الأرض. يهوداً وغير يهود. وشفـاء المرضى بواسطته سيدفع باليهودي وغير اليهـودي للقائه لشفائه أو لشـفاء ذويه. وهكذا. وكل حالة من المؤكـد أن سيستغلـها لاذاعة آرائه. وهل في هذا الحال يقدر اليهود أو غير اليهود على ستر آرائه، أو إنكار شخصيته؟

وفي سيرة عـيسى ـ عليه السلام ـ المدونة في الأناجيل: لـقاءات تمت بينه وبين هيرُودُس وبيلاطُوس. ولقـاءات تمت بينه وبين رؤساء من جند الروم، وأهل كنعان، ويهـود السامرة. وهذه عبارات تفصح عما قلنا:

١ - «فلما عـبروا جاءوا إلى أرض جنِّيـسارات. فعـرفه رجال ذلـك المكان. فأرسلوا إلى جميع تلـك الكورة المحيطة، وأحضروا إليه جـميع المرضى، وطلبوا إليه أن يـلمسوا هُدب ثوبه فقط. فجميع الذين لمسوه نالوا الشفا» [متى ١٤:٣٤-٣٦] .

٢ - «في ذلك الوقت سمع هيرُودس رئيس الربُع خبر يسوع» [متى ١:١٤]

٣ - «ثم خرج يسوع من هناك، وانـصرف إلى نواحي صُور وصيداء. وإذا امـرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم، صرخت إليه» [متى ١٥:٢١، ٢٢] .

٤ - «ولما جاء يسوع إلى نواحي قيصرية فيلُبُّس» [متى ١٦:١٣] .

٥ - «ولما أكمل يسوع هذا الكلام، انتقل من الجليل، وجاء إلى تـخوم اليهودية من عبر الأردن، وتبعته جموع كثيرة، فشفاهم هناك» [متى ١٩:١-٢] .

٦ - «فوقف يسوع أمام الوالي» [متى ٢٧:١١] .

٧ - «وفي ذهابه إلى أورشليم، اجتاز في وسط السامرة والجليل» [لو ١٧:١١] .

٨ - «فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس، وابتدأوا يشتكون عليه» [لو ٢٣:١-٢]

٩ - «فدعـا بيلاطُوس رؤساء الكهنة والعظمـاء والشعب. وقال لهم: قد قـدَّمتم إليَّ هذا الإنسان كمن يُفسد الشعـب، وها أنا قد فحصتُ قدامكم، ولم أجد في هذا الإنسان علَّة مما تشتكُون به علـيه. ولا هيرودُس أيضـاً. لأني أرسلتكم إليه. وها لا شئ يـستحق الموت صُنع منه» [لو ٢٣:١٣-١٦] .

فأهل الروم الذيـن كانوا يحتلون أرض فلسـطين من ثلاث وستين سنة من قـبل الميلاد. وقيل: بمئـة سنة. كانوا على عـلم بأمر عيـسى ـ عليه السـلام ـ. وكان اليـهود والكنعـانيون والساكنون بينـهم من كل أُمَّة على علم أيضاً. فلم يـقدر اليهـود على عيسى في الخـفاء بين المذبح والهيكل كـما قدروا على غيـره. وسبَّب الله له أهل الروم ليكفوا أيدي اليـهود عنه. لئلا يقتلوه، أو يمحو دعوته. ولذلك طلبوا منهم تقديم الأسباب لقتله، لما طالبوهم بقتله.

انظر إلى قول بيلاطوس الحاكم على اليهود من قـبل الروم لرؤساء كهنة اليهود والعظماء من الشعب: «لم أجد في هذا الإنسان علَّة، مَّا تشتكُون به عليه. ولا هيرودس أيضا» إن هذا يُبرئ عيـسى ـ عليه السـلام ـ مما ادعاه عليـه اليهود. وهو أنهم زعمـوا: أنه «المسيح الرئيس» الذي سيكون ملكاً على العرب وعلى اليهود وعلى العالم. ويطرد الرومان من فلسطين.

لقد زعم اليهودُ: أن عيـسى قال: إنه هو المسيح الرئيس. وهذا الزعم معناه: أنه يريد الملك على اليـهود، ويريد طرد الروم مـن فلسطين. لأن موسى في التـوراة قـال عن النبي المنتظر المماثل له، الذي لقَّـبه اليهود بحـسب لغتهم ولسانهم بلقب «المسـيح» قال: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب» مع أن عيسى ـ عليه السلام ـ قال طبقاً لرواية متى وغيره: إن «المسيح» لن يأتي من اليهود. لأن داود نفسه قال عنه إنه «سيده» أي سيخضع لشريعته لو قدر أنه حي في زمانه، والابن لا يكون سـيداً لأبيه، وعليه فإن المسيح لا يظهر

من اليهود. بشهادة داود نفسه. وحيث إن عيسى من اليهود، فإنه لا يكون هو «المسيح» وبالتالي ليس ملكاً. وقد أكد هو على رفضه الملك بقوله: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

وفي الأناجيل: أن عيسى ـ عليه السلام ـ ظهر للناس من بعد حادثة القتل والصلب ـ الذي قال برنابا إنها كانت ليهوذا الاسخريوطي ـ في قرى الجليل، قرى يهود السامرة، مع أن العبرانيين كانوا لا يعاملون السامريين لأنهم كفار في نظرهم. وقال لتلاميذه وهو في الجليل: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» [متى ٢٨:١٩] وقال لهم: «أعندكم ههنا طعام؟ فناولوه جزءاً من سمك مشوي، وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم» [لو ٢٤:٤١-٤٢].

وظهوره عليه السلام من بعد الحادثة، وأكله. يدل على أنه لم يقتل ولم يصلب. وأن أهل الروم حموه من اليهود، وأن دعوته قد سمعها اليهود والأمم.

فما هي دعوته؟ التي شهد له بها أهل الروم، وشهدوا على اليهود بها؟

دعوته:

١ – هي أنه مصدق لتوراة موسى ـ عليه السلام ـ. لا يخالفها ولا يزيد عليها ولا ينقص منها، ويحل للناس ما يحرمه علماء بني إسرائيل على الناس من تلقاء أنفسهم.

٢ – ومبشر بمجيئ محمد ﷺ. كما جاء عنه في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف:٦] وأحمد في اليونانية ـ وهي لغة الروم أيضاً ـ: «بيراكليتوس» ولا فرق بين عيسى ـ عليه السلام ـ وأنبياء بني إسرائيل وعلمائهم في ١ – تصديق التوراة ٢ – والإخبار بالإيمان بمحمد إذا جاء. وذلك لأن التوراة تنص على أن الذي من حقه نسخ التوراة هو نبي يأتي من غير بني إسرائيل. ففيها: لن يقوم في بني إسرائيل مثل موسى. وفيها أن النبي الآتي سيكون مماثلاً لموسى. ومن المؤكد أنه سيكون من بني إسماعيل لأن له بركة. أي ملك على الأمم والشعوب ونبوة.

ولقد انفرد عيسى ويحيى ـ عليهما السلام ـ عن أنبيائهم وعلمائهم بأنهما بشراً بقرب ظهور محمد، وغيرهما كان يخبر بقدومه، ولا يقول: إنه سيأتي من بعدي.

ففي إنجيل متى يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض، بل لأكمل. فإني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض،

لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكلُّ فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا. يُدعى أصغر في ملكوت السموات. وأما من عمل وعلّم؛ فهذا يدعى عظيماً في ملكوت السموات؛ فإني الحق أقول لكم: إنكم إن لم يزد برُّكم على الكتبة والفريسيِّن، لن تدخلوا ملكوت السموات» [متى٥:١٧-٢٠].

إنه يبين لهم: أنه ما جاء لنقض الناموس، ويعني بعدم النقض: أنه غير ناسخ للشريعة الموسوية. وأيضاً: لا يخالف ما في كتب الأنبياء. وإنه ما جاء للنقض، بل للإصلاح. فإن «بل لأكمل» في الأصل اليوناني تعني: بل لأصحح. والغرض من الإصلاح: هو تكميل التوراة. بمعنى أن أحكامها الفقهية فيها حكم الإيمان بالنبي الآتي. ولا أحد يقدر على العمل بهذا الحكم. فيكون عملهم بالتوراة ناقصا. فإذا جاء وسمعوا منه؛ فإن عملهم بالتوراة يكون كاملا. وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ فإني أيها اليهود قد أرسلت إليكم النبي المكتوب عندكم. في سفر التثنية. وأكد على عدم نسخ التوراة بقوله: لو فُرض زوال السماء والأرض. فإن كلامي لن يزول. أي لابد من تحققه إلى أن يكون الكل. وهو مجئ محمد صاحب ملكوت السموات. الذي أخبر دانيئال عن قيامه بعد المملكة الرابعة. ولا يريد عيسى ـ عليه السلام ـ بمن ينقض كلامه الذين هم معه حال الكلام بل هُم ومن يأتي من بعدهم على طول الزمان. فبطرس مثلاً تلميذ معاصر له. والنصراني في زماننا هذا ليس معاصراً له. ومع الافتراق في العصر؛ هما معاً مخاطبان بكلام عيسى ـ عليه السلام ـ. وذلك لأن الكلام المدون في الإنجيل، قد اشترك المعاصر وغير المعاصر في الإيمان به. وفي هذا المعنى يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: «ولست أسألُ من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحداً» [يوحنا ١٧:٢٠].

وفي إنجيل مرقس يقول يحيى ـ عليه السلام ـ: «يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سيُور حذائه» [مرقس ١:٧].

وهو يعني بالآتي بعده محمد رسول الله. لقوله لبني إسرائيل: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى٣:٢].

وملكوت السموات: أصله نبوءة من سفر النبي المعظم دانيئال عن محمد ﷺ ذلك لأنه أخبر عن قيام أربعة ممالك عن الأرض.

١ – بابل ٢ – وفارس ٣ – واليونان ٤ – والرومان

وقال: إن الله تعالى سيرسل نبياً بشـريعة إلهية. وكل المؤمنين به. سيُسمى ملكهم بملكوت السموات؛ لأنهم سيستمدون شريعتهم من إله السموات، لا من آلهة هي أصنام أو أوثان أو شياطين. وقد كرر دانيئال كلامه في سفره. وحدد ختم الرؤيا والنبوة في بني إسرائيل بسبعين أُسبوعاً. وبعد السبعين أسبوعاً تبـدأ النبوة في غير بني إسرائيل. وحيث إن لإسماعيل ـ عليه السلام ـ بركة. فإن النبوة في غير بني إسرائيل به.

ومن كـلام دانيال: «وفي أيام هؤلاء الملوك. يُقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبداً. وملكها لا يُترك لشعب آخـر. وتسحق وتُفني كل هذه الممالك. وهي تثبت إلى الأبد» [دا ٢: ٤٤].

«كنتُ أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحُب السماء، مثلُ ابن إنسان. أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قُدَّامه. فأُعطي سلطاناً ومجداً، وملكوتاً. لتتعبَّد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوته مالا ينقرض» [دا ٧: ١٣-١٤].

«سبعون أسبوعاً قُضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة؛ لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين» [دا ٩: ٢٤].

موقف عيسى عليه السلام من نُبوءات التوراة:

وفي: أ - التوراة التي هي الأسفار الخمسة

ب - وأسفار الأنبياء

نُبوءات عن نبي واحد، سيظهر ليقيم الدين ولينسخ شريعة موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ. وهي معلومة لكل العلماء من بني إسرائيل والأمم. من قبل عيسى ومن بعده. ويستوي في معرفتها وتفسيرها على وجهها الصحيح جميع الأنبياء والعلماء، من بني إسرائيل ومن غير بني إسرائيل. وعيسى ـ عليه السلام ـ حسب المروي عنه في الأناجيل الأربعة ـ لم يبشر بمحمد إلاَّ بها فقد ذكر عبارات دانيال عن ملكوت السموات. وقال لبني إسرائيل: اقترب ملكوت السموات. وذكر السبعين أسبوعاً من سفر دانيال. وقال: إن في تمامهم، سيتم خراب أورشليم التي هي القدس. وستبدأ بركة إسماعيل في الظهور. يقول عيسى ـ عليه السلام ـ: «ويُكرَز ببشارة الملكوت هذه، في كل المسكونة، شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى. فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في

المكان المقدس. . إلخ» [متى ٢٤: ١٤-١٥].

يريد أن يقول: إن الإنجيل هو بشارة ملكوت السموات والإنجيل هو البشرى المفرحة باقتراب الملكوت. وأنه بعد إذاعة خبر مجئ محمد في جميع أنحاء العالم، سيأتي المنتهى: وهو محمد. وأنه متى جاء وأصحابه نوابا عنه، ورئيسهم عوضا عنه؛ فإن أورشليم ستخرب ولن يكون لبني إسرائيل مُلك على الأمم والشعوب.

وذكر عيسى ـ عليه السلام ـ أيضاً نبوءات من سفر الزبور وطبقها على محمد ﷺ منها نبوءات المزمور الثاني بلقب «ابن الله» والمزمور المئة والعاشر، بلقب «سيد داود» والمزمور الثامن عشر بعد المئة، بلقب «مبارك الآتي باسم الرب» وهذا يدل على أن عيسى بشرٌ بمحمد بنبوءات التوراة عنه، ولم يتكلم عنه بغير ما تكلمت عنه التوراة. والفرق بينه وبين المغضوب عليهم من علماء بني إسرائيل: هو أنه قال: إن النبي الآتي من بني إسماعيل؛ لثبوت بركة في نسله. وهم يقولون: إن النبي الآتي سيكون من بني إسرائيل؛ لأن بركة إسماعيل لا تفسر بالملك والنبوة.

وضياع الإنجيل الصحيح الذي تركه مكتوباً عيسى ـ عليه السلام ـ في أيدي الحواريين. يُغني عنه ـ حسب كلام النصارى ـ :

١ - نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبي الآتي مثل موسى.

٢ - أقوال مؤرخي الدولة الرومانية.

٣ - الكلام المنسوب إلى عيسى ـ عليه السلام ـ في الأناجيل الأربعة المقدسة.

والكلام المنسوب إلى عيسى ـ عليه السلام ـ في الأناجيل الأربعة المقدسة هو تفسير صحيح لنبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبي الآتي. ولو قرأه إنسان خالي الذهن عن تفسيرات علماء الإنجيل: فإنه سيعرفُ أن ما في الأناجيل هو عن محمد ﷺ.

وقد رغب النصارى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية في تحريف الأناجيل؛ لئلا تدل بصراحة على محمد ﷺ وفكروا وهم يريدون التحريف الكلي: أن التوراة وأسفار الأنبياء؛ تتكلم عن النبي المنتظر. وإن حرفوا أو لم يحرفوا؛ فإن نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء واضحة الدلالة على النبي المنتظر في نظر أهل العلم. هذا أمر فكروا فيه طويلاً.

واستقر رأيهم على أن يأخذوا في كل النبوءات بآراء اليهود فيها. وهي أنها تدل في نظر الأُميين على نبي سيأتي من بني إسرائيل. ومن يصرح من العلماء بغير ذلك يكون جزاؤه

القتل أو الاضطهاد الشديد.

ووجهة نـظر اليهود في قتل العلمـاء واضطهادهم قد عبـر عنها عيسى ـ عليـه السلام ـ للحواريين بقـوله: «ومتى جاء المعزّي الـذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثـق؛ فهو يشهـد لي، وتشهدون أنـتم أيضاً؛ لأنكم معي من الابتـداء. قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثـروا. سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعـة. فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله» [يو ١٥: ٢٦].

فقـد بيَّن أنهم إذا بيَّنوا سيكون جـزاؤهم. إما الاضطهـاد الشديد. وذلك بإخـراجهم من وظائفهم الدينية في مجامع الوعظ والإرشاد. وإما القتل.

ولما استقر رأيهم. نظروا في الأناجيل. وحشروا فيها عبارات لتلبس الحق بالباطل. ثم كتبوا سفر أعـمال الرسل والرسائل وقالوا فيـهم: إن كل النبوءات كانت تدل على عـيسى ـ عليه السلام ـ وبه ختـمت النبوة والرؤيا في بني إسرائيل. ولا نبي من بعده إلى يوم القيـامة. فهم واليهود قد اتفقوا على أن الآتي سيكون من اليهـود. ثم اختلفوا. فقال اليهود: لم يأت بعدُ. وقال النصارى: قد أتى في شخص يسوع، الذي يدعى المسيح. وسوف يأتي مرة أخرى.

وبذلك ضاع الـهدف من دعوة عـيسى ـ عليـه السلام ـ وهو تفـسير النبـوءات تفسـيراً صحيحاً.

فمن يشـهد لأهل العالم بأن عـيسى قال الحق؟ يـشهد له النبي الذي بشـر به إذا جاء. ويشهد له أهل الروم الذين كانوا حاضرين معه. ومشاهدين لأحواله.

جاء في كـتاب تاريخ العرب المطول: «ولما سلمت القـدس، جاءها «عمـر» زائراً، وأنفذ صلح أهلها، وكتب لهم به؛ فـاستقبله بطريرك «أورشليم» صفـرونيوس. الملقب بـ «حامي الكنيسة، المعسـول اللسان» وطاف به على أنحاء البلدة، وأراه الأماكن المقدسة. وكـان لهيئة الخليفة البسيطـة ولباسه الرثّ؛ أثر عظيم في نفس «صفرنيوس» فالتفت إلى أحـد مرافقيه، وكلمه باليونانيـة قائلاً: حقاً هذا رجس الخراب الذي تكلم عنه النبي دانيـال، ورآه قائماً في المقدس» [1] أ. هـ.

(١) ص ٢٠٨ القسم الثاني من تاريخ العرب المطول ـ بيروت ـ دار الكشاف ١٩٥٨ م.

Thephores, p 339 Coustantion Porphrogenitus, De adminstrando imperio in I.P.migne, Patrologia. Vol.ex III (Paris,1891) Col.109 .

«وقد ثبت المؤرخ «سدرنيـوس» في كتابه صفحة ٤٢٦ أن «صـفرنيوس» مطران أورشليم صرح للمـحيطين به حينئذ: إن المسـجد الجديد يحـقق نبوءة دانيال الواردة بشأن قـيام البناء الغريب مكان الهيكل» [1] .

* * *

وهذا نموذج يبين كيفية تحريف النصارى للأناجيل

بلبس الحق بالباطل:

تذكر أولاً: قـول التوراة عن ملكوت الـسموات، وعن ابن الإنسـان صاحـبه. وهذا في الأصحاح الثاني والسابع من سفر دانيال.

ثم تذكر ثانياً: قـول عيسى لبني إسرائيل: اقتـرب ملكوت السموات. ولا يمكن أن يكون عيسى صاحب الملكوت. وذلك لأن رجـسة خراب دانيال لم تكن قد تمت بالفعل ـ حـسبما بيَّن متَّى ـ.

ثم اقرأ هذا النص من إنجيل متى. وهو: «وفيما هم يترددون في الجليل. قال لهم يسوع: ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس؛ فيقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم» [متى ١٧: ٢٢ ـ ٢٣].

هذا النص موضـوع في إنجيل متى للبس الحق بالباطل. لبس من مـتى، بل من المحرفين في مجمع نيـقية. والغرض من وضعـه: هو أن يقولوا: إن «ابن الإنسان» ليس محمـداً، كما يقول دانيـال وعيسى بن مـريم، وإنما هو عيسى نفـسه. ولو تنازع نصـراني ومسلم في هذا النص؛ فإن الذي سيفـصل في النزاع هو كتاب دانيال نفسه. لأن فـيه أصل النبوءة عن «ابن الإنسان» صاحب «ملـكوت السموات» الذي سيتـأسس بعد المملكة الرابعة. وعيـسى ـ عليه السلام ـ لم يؤسس الملكوت بعد الرابعة؛ فإنه قد وُلد بعد قيام المملكة الرابعة بثلاث وستين سنة. والذي أزالها وأسس الملكوت هو محمد وأتباعه.

وقد أشار المحرف بكلمة «فيـقتلونه» للعلماء الراسخين في العلم بأن «ابن الإنسان» ليس هو يسوع. وذلك لأن من أوصاف النبي الآتي: أنه لا يُقتل بيـد أعدائه. ومن يُقتل بيد أعدائه لا يكون هو النبي الآتي. ثم بيَّن فيـما بعد بأن عيسى لم يقـتل بقوله: إنه أكل مع الحواريين

(١) ص ٨٠ ـ ٨١ اليهودية العالمية من زمن إبراهيم إلى وقتنا الحاضر ـ للدكتور رياض باردي.

وتحدث معهم وأوصاهم وتردد عليهم أربعين يوماً. فغرضه ههنا من قوله «فيقتلونه» هو إعطاء إشارة بأنه ليس هو ابن الإنسان؛ لا بيان أنه سيقتل. ثم أعطى المحرف إشارة أخرى وهي قيامه من الأموات في اليوم الثالث. يريد بها أن يقول للعلماء: إن النص موضوع. وذلك لأنه لا يقوم من القبر من يدفن فيه، ولأنهم لو حسبوا المدة؛ فإنهم لن يجدوها ثلاثة أيام. وإذ لا تكون ثلاثة؛ فإنهم يعلمون: أن المحرف يقصد اللغو فقط. وعلى ذلك تكون الحقيقة واضحة للعلماء، وليست واضحة للأميين. وهم يقولون إن الصلب تم عصر الجمعة، وفي فجر الأحد لم يكن المصلوب في القبر. فيكون السبت يوماً كاملاً. وما بقي من عصر الجمعة إلى الغروب يُضم إلى يوم السبت. فتكون المدة كلها: يوماً واحداً وساعات من النهار. لا ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ذلك نموذج لبيان لَبْس الحق بالباطل.

ويفترق النصارى عن اليهود في معنى بركة إسحق ـ عليه السلام ـ فاليهود يقولون: إن بركة إسحق تبدأ من عهد موسى وتنتهي بمجئ النبي المماثل له. الذي نبء على مجيئه موسى في سفر التثنية. والنصارى لما ختموا النبوة بعيسى ـ عليه السلام ـ قالوا: إن بركة إسحق تبدأ من عيسى لا من موسى. وتنتهي بقيام القيامة وانتهاء الحياة الدنيا. وبرَّر بولس القائل لهم بهذا بدء البركة بعيسى بقوله: إنه من موسى كانت التوراة ثقيلة على الناس، ومقيدة لحرياتهم. وهي بثقلها وتقييدها كانت تؤدب الناس وتهيؤهم لتقبل كلام عيسى إذا جاء. وحيث قد جاء. فلا داعي للعمل بالتوراة ولا داعي لإفعل، أو لا تفعل، ولا داعي لأن تقول: هذا حلال وهذا حرام. لا داعي للشريعة لأن عيسى قد جاء وحمل عن الناس خطاياهم وآثامهم وغفر لهم ذنوبهم. هذا معنى ما قاله بولس. وإنه لكلام باطل. وذلك لأنه قد جاء في سفر الحكمة: أن آدم تاب، وتاب الله عليه «والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول. أب العالم. الذي خُلق وحده، لما سقط في الخطيئة، رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شئ» [حكمة ١٠:١ـ٢] وجاء في سفر الحكمة أن نوحا ـ عليه السلام ـ تبرأ من ابنه لما رآه قد عمل عملا غير صالح «وعندما غاصت الأمم في شرورها؛ تعرفت الحكمة برجل صالح، وحفظته من كل عيب في نظر الله، وجعلته يُفضل العمل بأمر الله على الاستجابة إلى عاطفته تُجاه ولده» [حكمة ١٠:٥].

يقول بولس لأهل غلاطية: «**فلماذا الناموس؟** قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له، مُرتَّباً بملائكة في يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن

الله واحد [1]. فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا. لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يُحيي، لكان بالحقيقة البرُّ بالناموس. لكنَّ الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية؛ **ليُعطى الموعدُ من إيمان يسوعَ المسيح للذين يؤمنون**. ولكن قبلما جاء الإيمان، كنا محروسين تحت الناموس، مغلقاً علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن. **إذاً قد كان الناموسُ مؤدبنا إلى المسيح**؛ لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعدُ تحت مؤدِّب؛ لأنكم جميعاً أبناءُ الله بالإيمان بالمسيح يسوع، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى؛ لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. **فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسلُ إبراهيم، وحسب الموعد ورثة**» [غلاطية ٣:١٩-٢٩].

يقول بولس: إن أحكام التوراة كانت تهذب الناس وترقق طباعهم؛ ليتقبلوا دعوة المسيح إذا جاء. والرد عليه: هو أن الذي يتأدب؛ يتأدب لينتفع في المستقبل من عمره بثمار التأديب. وإذا مات الذين تابوا من عهد موسى وإلى زمان المسيح؛ فما وجه انتفاعهم بدعوة المسيح وهي نفسها دعوة موسى؟ وإذا لم يسلم بولس بهذا المعنى. فهل يقدر بولس أن يبين لنا من كلام المسيح نفسه أن المسيح قد صرح بنسخ التوراة؟

ويقول بولس: إن الله وعد سارة بأن يكون منها ابن هو إسحق، ويكون من نسله ملوك على الشعوب، ويكون في نسله نبوة. وهذا الوعد تحقق من ظهور عيسى ولم يتحقق من موسى صاحب الشريعة. والرد عليه: هو أن الله وعد سارة. هذا صحيح. وأيضاً: هو وعد هاجر. وهذا أيضاً صحيح. لكن الملوك على الأمم والشعوب من نسل سارة كانوا من موسى ومن بعد موسى إلى زمان سبي بابل. فقد ملك موسى نفسه. وملك شاول. وملك داود. وملك سليمان. هؤلاء وغيرهم من بني إسرائيل قد ملكوا على الأمم والشعوب من قبل عيسى. وتشهد التوراة بذلك. ومن بعد سبي بابل، ومن بعد عيسى لم يملك ملك من بني إسرائيل على الأمم والشعوب. وعيسى نفسه لم يملك. فقول بولس: إن بركة إسحق ابن سارة تبدأ من عيسى. قول يكذبه التاريخ، ويكذبه الإنجيل، وأسفار التوراة أيضاً.

ويقول بولس: إن التبرُّر بالإيمان، لا بالأعمال. يريد أن يقول: إن الدين يتكون من:

أ – عقائد وتشريعات. يؤمن بها الإنسان.

ب – ثم العمل. فالإيمان في مسمى الشرع: إيمان وأعمال. ولكن النصارى ملزمون بالإيمان

(١) لاحظ: قول بولس: «ولكن الله واحد»

فقط. هذا هو قول بولس. وذلك لأن التوراة عنده قد ضاعت أحكامها بمجئ المسيح. والرد عليه: هو أن المسيح لم ينسخ التوراة حتى يكون الدين مجرد إيمان لا إيمان وأعمال. والمعتزلة - يرحمهم الله - كانوا يُصرحون بأن الإيمان في مسمى الشرع إيمان وأعمال. والخوارج أيضاً يصرحون بقولهم. والفرق بينهم: هو أن فاعل الذنب حالة فعله له هو كافر؛ على رأي الخوارج لأنه ترك العمل. وهو فاسق على رأي المعتزلة. لأنه لما ترك العمل لم يفرغ الإيمان من قلبه. ثم إذا تاب. يأخذ اسم المسلم على رأي الفريقين، وتبدل سيئاته حسنات. وإذا مات على غير توبة؛ فإن الله ينصب له الميزان على رأي المعتزلة. ويرثه أهله في الدنيا. ولا ينصب له الله الميزان على رأي الخوارج؛ لأنه كافر بالإصرار على المعصية، ولا يرثه أهله في الدنيا.

والخوارج والمعتزلة على حق في إطلاق لقب الفاسق أو الكافر على المسلم العاصي غير التائب. فإن الله تعالى أعطى لإبليس لقب الفاسق. ليس لأنه ينكر الله بل لأنه لم يعمل. وأعطاه أيضاً لقب الكفر. في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠] وفي قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وأهل الحديث وهم الحنابلة - الملقبون بالسَّلَف - والأشاعرة والماتريدية يقولون: إن الإيمان في مسمى الشرع: إيمان لا أعمال. ويقولون: إن المسلم العاصي هو مسلم وليس بفاسق ولا بكافر. ويقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن سرق وإن زنى. ويقولون: إن الأعمال شرط كمال في دخول الجنة. لا شرط صحة. وأن الله يدخل الجنة من يشاء حتى ولو كان كافراً أو عاصياً. فإنه لا يُسأل عما يفعل. وقد رد عليهم المعتزلة والخوارج بأن الله تعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

والتوراة ترد على بولس والإنجيل. وترد أيضاً التوراة ويرد الإنجيل على مقتبسي كلامه من أهل الملل والنحل. ففي سفر إشعياء: «حسب الأعمال هكذا يجازي مبغضيه سَخَطاً، وأعداءه عقاباً» [إش ٥٩: ١٨].

وفي سفر المزامير: «وجه الرب ضد عاملي الشر، ليقطع من الأرض ذكرهم» [مز ٣٤: ١٦].

وفي سفر حزقيال: «وأعطيتهم فرائضي، وعرفتهم أحكامي التي إن عملها إنسان، يحيا بها» [مز ٢٠: ١١].

وفي إنجيل متى يقول عيسى - عليه السلام -: «وأما من عمل وعلَّم. فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات» [متى ٥: ١٩].

موقف الروم من دعوة عيسى عليه السلام:

واعلم: أن الروم من عهد عيسى - عليه السلام - إلى انعقاد مجمع نيقية؛ لهم موقف من دعوة المسيح - عليه السلام -. ومن انعقاد مجمع نيقية. لهم موقف مُغاير للموقف الأول. والذين كتبوا من قبلي في علم مقارنة الأديان؛ فاتهم التفريق - بوضوح تام - بين الموقفين.

وها هو موقفهم المغاير للموقف الأول:

علم أهل الروم أن بقاءهم في فلسطين ومصر، وفي العالم أجمع هو إلى حين ظهور النبي الآتي. سواء أكان من اليهود، أو من بني إسماعيل. وهذا العلم قد تأكد لهم من سفر دانيال، ومن تفسير عيسى له. ورأى اليهود لا يرضيهم لأنه إذا ظهر النبي منهم أو من غيرهم، فإنه سيحرمهم من خيرات الأرض، وكذلك رأى عيسى وأتباعه لا يرضيهم. إذ طردهم مؤكد على يد الإسماعيليين إذا ظهر محمد رسول الله.

ولو أنهم تركوا أتباع عيسى - عليه السلام - يجوبون البلاد للتعريف بمجئ محمد ﷺ فإن هذا معناه: أن الأميين والعلماء من جميع البلاد سينضمون إلى أتباعه إذا جاء. وعندئذ يكثر أتباعه وأنصاره فيعتز بهم على أهل الروم. وأهل الروم لا يريدون التخلي عن ملك العالم.

وإذا ترك الرومُ أتباع عيسى - عليه السلام - ليذيعوا بين الأمم والشعوب خبر محمد - عليه السلام - فمن سينصر الروم على محمد إذا ظهر-محمد (١) ونشر دينه؟ ومن أجل ذلك. طلبوا من النصارى: أن يسكتوا عن ذكر محمد حتى يأتي وعد الله. ولم يرض النصارى عن السكوت. فعاداهم أهل الروم واضطهدوهم مع اليهود اضطهاداً شديداً. وبعد سنين اصطلح الروم والنصارى على ما يلي:

١ - يقبل النصارى طقوس العبادات التي يفعلها أهل الروم لآلهتهم.

(١) محمد - عليه السلام - يُعبَّر عنه في كتب المؤرخين بملكوت الله.

٢ - وأن يطبق النصارى كل نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء على عيسى ـ عليه السلام ـ ليقولوا: لا نبي من بعده إلى يوم القيامة.

٣ - يلغوا أحكام التوراة، ويتواضعوا على قوانين وضعية.

وقد بدأ هذا الصلح في مجمع نيقية؟ وماذا عما في دانيال عن ملكوت الله. الذي سيتأسس بعد المملكة الرابعة. وهو ملكوت محمد رسول الله ﷺ ماذا قالوا في نبوءاته؟ قال النصارى ـ من الخوف ـ في قرار المصالحة: إن الملكوت ليس بمجد وسلطان على الأرض. وليس بملك على الأمم والشعوب وإنما هو الولاء القلبي لعيسى ـ عليه السلام ـ. وجميع الموالين له بقلوبهم هم أهل ملكوت السموات. ورضي أهل الروم بهذه الحيلة الطريفة. وحشروا آيات في معناها في إنجيل يوحنا. وأوعزوا إلى المؤرخين التابعين لهم بتسجيل ملكوت السموات في كتبهم على هذا التفسير. وشاع هذا في الكتب إلى هذا اليوم.

وقد تم وعد الله في حينه، وزالت دولة الروم. وبقي النصارى في ضلالهم يعمهون.

ومن يقول بأن الملكوت روحي ـ وهم النصارى ـ ومن يقول بأنه أرضي ـ وهم اليهود والمسلمون ـ من يحكم بينهم؟ يحكم بينهم نص البركة عن إسحق ـ عليه السلام ـ. واليهود يقولون بأنها بدأت من موسى. والنصارى يقولون بأنها بدأت من عيسى بملك روحي. وهذا هو النص: «وقال الله لإبراهيم: ساراي امرأتك لا تدعوا اسمها ساراي. بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك منها أيضاً ابناً، أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون» [تك ١٧: ١٥-١٦].

انظر قوله: «وملوك شعوب منها يكونون» هل يكون الملوك بالولاء القلبي، أم بالملك الأرضي المؤسس على تاج وصولوجان وجنود ورماح وسيوف؟ فقول النصارى: إن بركة إسحق تبدأ من عيسى بالملك الروحي هو قول باطل. وما عليه من دليل. وقول اليهود: إن بركة إسحق قد بدأت من موسى بالملك الأرضي هو قول صحيح. فإن موسى حارب وانتصر، وحارب يشوع وطالوت وداود وسليمان وانتصروا وملكوا. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

❊ ❊ ❊

محاولات بُولُس في تطبيق نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء التي هي لمحمد ﷺ على عيسى ـ عليه السلام ـ:

وقد جاء في كتاب: «أقانيم النصارى»(1) ما اقتبسه النصارى من العقائد الوثنية. وبيّنا قبل ذلك في هذا الكتاب محاولات بُطرس ورفاقه في أمر النبوءات. ومحاولات لبولس. وههنا سنبين محاولات بولس. ورأس المحاولة عنده وعند بطرس ورفاقه هي «بركة إبراهيم في الأمم» فالتوراة تخصصها في إسماعيل وإسحق ـ عليهما السلام ـ والقرآن نطق بذلك في قوله تعالى عن الذبيح إسماعيل وأخيه: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ ونص التوراة هو هذا: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»[تك ١٢: ١٣].

«وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية. ويتبارك به جميع أُمم الأرض» [تك ١٨: ١٨].

«ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي» [تك ٢٢: ١٨].

هذا عن إبراهيم. وأما عن إسحق الذي خُصصت بركته في يعقوب. فهذا هو النص على بركته: «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أن إبراهيم سمع لقولي، وحفظ ما يُحفظ لي. أوامري وفرائضي وشرائعي» [تك ٢٦: ٤-٥].

ونص البركة عن إسماعيل هو هذا: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» [تك ١٧: ٢٠].

«بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك»[تك ٢١: ١٢-١٣].

«قومي احملي الغلام وشُدّي يَدَك به. لأني سأجعله أُمَّة عظيمة»[تك ٢١: ١٨].

«يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه»[تك ١٦: ١٢].

وقد حاول بطرس تخصيص بركة إبراهيم. ليس في إسحق من وقت ظهور موسى بالشريعة. وليس من وقت ظهور عيسى بدعوته، بل مَن بعد رفعه إلى السما. وقد فارق الدنيا ولم يملك على وطأة قدم من الأرض. يقول بُطرس لليهود المعاصرين له: «أنتم أبناء الأنبياء. والعهد الذي عاهد به الله آباءنا، قائلاً لإبراهيم: «بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» [أعمال ٣: ٢٥] وقد رد الله تعالى في القرآن الكريم هذه المحاولة. في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

(١) أقانيم النصارى ـ نشر دار الأنصار بالقاهرة

المحاولة الأولى لبطرس:

وقد ردد بولس محاولة بطرس في قصر بركة إبراهيم وإسحق، على المؤمنين بيسوع. من يسوع لا من موسى. فقال: «والكتاب الذي سبق. فرأى أن الله بالإيمان يُبَرِّرُ الأمم؛ سبق فبشر إبراهيم: أن فيك تتبارك جميع الأمم» [غلا ٣:٨] ثم قال: «لكنَّ الكتاب أغلقَ على الكُلِّ تحت الخطية؛ ليُعطي الموعدُ من إيمان يسُوعَ المسيح للذين يؤمنون».

ويرد هذه المحاولة: نصوص البركة عن إسماعيل. ومعناها: أن يكون من نسله ملوك على الأمم والشعوب ليحكموا بكلام الله. وقد أكد التاريخ هذا المعنى. فقد ملك بنو إسماعيل من مجئ محمد ﷺ ومن قبله كانوا داخلين مع اليهود في بركة إسحق [1] ـ عليه السلام ـ.

المحاولة الثانية لبولس:

في سفر إشعياء نبوءة عن مكة المكرمة. مكان سكنى إسماعيل ـ عليه السلام ـ. فطبقها بولس على «أورشليم» يقول بولس: «وأما أورشليم التي هي أُمُّنا جميعاً؛ فهي حرة. لأنه مكتوب: افرحي أيتها العاقر التي لم تلد. اهتفي واصرخي أيتها التي لم تمخض. فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج» [غلا ٤:٢٦-٢٧].

نص النبوءة: «ترنمي أيتها العاقر، التي لم تلد. أشيدي بالترنُّم أيتها التي لم تمخض. لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل. قال الرب. أوسعي مكان خيمتك، ولتُبسط شققُ مساكنك. لا تُمسكي. أطيلي أطنابك، وشددي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويُعمر مدناً خربة. لا تخافي لأنك لا تخزين، ولا تخجلي لأنك لا تستحين. فإنك تنسَيْن خزي صِبَاك، وعارُ ترملك، لا تذكرينه بعدُ. لأن بعلك هو صانعك. ربُّ الجنود اسمهُ، ووليك قدوس إسرائيل. إلَهَ كلِّ الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رُذلتْ. قال إلهك. لُحَيظة تركتُك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبتُ وجهي عنك لحظة، وبإحسان أبدي أرحمك. قال وليك الرب. لأنه كمياه نوح، هذه لي. كما حلفتُ أن لا تعبر بعدُ مياه نوح على الأرض، هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليك، ولا أزجُرك؛ فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع. أمَّا إحساني فلا يزول عنك، وعهدُ سلامي لا يتزعزع. قال راحمك الرب. أيتها

(١) راجع فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا نقد التوراة ـ أسفار موسى الخمسة ـ نشر الكليات الأزهرية بالقاهرة.

الذليلة المضطربة غير المتعزية. ها أنذا أبني بالأثمُد حجارتك، وبالياقوت الأزرق أؤسسك. وأجعل شرفك ياقوتاً، وأبوابك حجارة بَهْرمانية، وكلَّ تخومك حجارة كريمة. وكُلَّ بنيك تلاميذ الرب، وسلام بنيك كثيراً. بالبر تُثبَّتين، بعيدة عن الظلم؛ فلا تخافين. وعن الارتعاب فلا يدنو منك. ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي. من اجتمع عليك فإليك يسقطُ. ها أنذا قد خلقتُ الحداد، الذي ينفخ الفحم في النار، ويخرج آلة لعمله، وأنا خلقتُ المهلك ليخرب.

كل آلة صوُرت ضدك لا تنجح. وكل إنسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي. يقول الرب» [إش ٥٤].

لقد اقتبس بولس هذه النبوءة التي تدل على «مكة المكرمة» ووضعها على «أورشليم» فهل الأوصاف الواردة في النبوءة تشير إلى مكة أم تشير إلى أورشليم التي هي القدس؟

يقول الشيخ رحمت الله الهندي في «إظهار الحق» ما نصه: «المراد بـ «العاقر» في الآية الأولى مكة المعظمة، لأنها لم يظهر منها نبي بعد إسماعيل ـ عليه السلام ـ ولم ينزل فيها وحي، بخلاف أورشليم فإنه ظهر فيها أنبياء كثيرون، وكثر فيها نزول الوحي. و«بني المستوحشة» عبارة عن أولاد هاجر لأنها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت الساكنة في البرية، ولذلك وقع في حق إسماعيل في وعد الله لهاجر: «هذا سيكون إنساناً وحشياً» كما هو مصرح به في الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين. و«بنو ذات رجل» عبارة عن أولاد سارة. لقد خاطب الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وإنشاد الشكر، لأن كثيرين من أولاد هاجر صاروا أفضل من أولاد سارة، فحصلت الفضيلة لها بسبب حصول الفضيلة لأهلها، ووفى الله بما وعد ببعث محمد ﷺ رسولاً من أهلها من أولاد هاجر وأنه أفضل الرسل وأحسن البشر وخاتم النبيين وهو المراد بالحداد الذي ينفخ الفحم في النار، وهو المهلك الذي خلق لإهلاك المشركين، وحصل لمكة السعة بواسطة هذا النبي وما حصلت السعة لمعبد من المعابد في الدنيا غير معبد مكة إذ لا يوجد في الدنيا معبد مثل الكعبة من ظهور محمد ﷺ إلى هذا الحين، والتعظيم الذي يحصل لها من القرابين في كل سنة إلى مدة ألف ومائتين وثمانين، لم يحصل لبيت المقدس إلا مرتين، مرة في عهد سليمان ـ عليه السلام ـ لما فرغ من بنائه، ومرة في السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا، ويبقى هذا التعظيم لمكة إلى آخر الدهر إن شاء الله كما وعد الله بقوله: «لا تخافي لأنك لا تخزين ولا تخجلين لأنك لا تستحيين» وبقوله: «برحمات عظيمة أجمعك» و«بالرحمة الأبدية رحمتك»

وبقوله: «حلفت أن لا أغضب عليك وأن لا أوبخك».

وبقوله: «رحمتي لاتزول عنك وعهد سلامي لا يتحرك» وملك زرعها شرقاً وغرباً وورثوا الأمم وعمروا المدن في مدة قليلة لا تتجاوز اثنين وعشرين سنة من الهجرة، ومثل هذه الغلبة في مثل هذه المدة القليلة، لم يسمع به من عهد آدم ـ عليه السلام ـ إلى زمان محمد ﷺ لمن يدعي الدين الجديد. وهذا مفاد قوله: «وزرعك يرث الأمم، ويعمر المدن الخربة» وخلفاً قد اجتهدوا اجتهاداً تاماً في بناء الكعبة والمسجد الحرام وتزيينهما، وحفر الآبار والبرك والعيون في مكة ونواحيها، ومن مدة مديدة هذه الخدمة الجليلة متعلقة بسلاطين آل عثمان، غفر الله لأسلافهم ورضي الله عنهم وأزاد الله إقبال الناس على أخلافهم ووسع مملكتها في الجهات، ووفقهم للعدل والحسنات، لأنهم ـ أدام الله شرفهم ـ خدموا ومايزالون يخدمون الحرمين المعظمين من هذه المدة إلى هذا الحين، حتى صار لقب «خادم الحرمين الشريفين» عندهم من أشرف الألقاب وأعزها، والغرباء يحبون مجاورتها من ظهور الإسلام إلى هذا الحين، سيما في هذا الزمان، والألوف من الناس يصلون إليها في كل سنة من أقاليم مختلفة وديار بعيدة، ووفى الله بما وعد في قوله: «كل إناء مجبول بضدك لا ينجح» لأن كل شخص من المخالف قام ضدها أذله الله ـ كما وقع بأصحاب الفيل ـ.

روى: أن أبرهة بن الصباح الأشرم لما ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي، بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج وحلف أن يهدم الكعبة، فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً وأفيال أخر، فخرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى، وعبأ جيشه، وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول، فأرسل الله طيراً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم من يقع عليه، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، وذوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكسوم، وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي، فقص عليه القصة، فلما أتمها وقع عليه الحجر فخرَّ ميتاً بين يديه، وقد أخبر الله عن حالة هؤلاء في سورة الفيل»أ.هـ.

المحاولة الثالثة لبولس:

يقول بولس: «لكن ماذا يقول الكتاب؟ اطرد الجارية وابنها؛ لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة»[غلا ٤: ٣٠].

يريد بولس أن يقول: إن بركة إسحق تبدأ في الأمم من عيسى ـ عليه السلام ـ. وهو الحامل وحده لبركة إبراهيم. بدليل: أن إبراهيم أخذ أمراً من الله بطرد إسماعيل مع أمه. ليس لئلا يرث أموالاً من أبيه، بل لئلا يرث في السير أمام الله والترأس على الأمم والشعوب. من أجل الشريعة. هذا معنى كلامه. وإنه لكلام باطل. فالنص في التوراة هكذا: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية، الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم، لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أُمَّة؛ لأنه نسلك» [تك ٢١: ٩-١٣].

والمراد من النص: إبعاد الامرأتين لمنع الخصام الذي يحدث بين الضرائر. لا منع البركة.

المحاولة الرابعة:

في أول الرسالة إلى العبرانيين قال بولس: إن المزمور الخامس والأربعين لداود ـ عليه السلام ـ لا يتنبأ عن محمد ﷺ وإنما يتنبأ عن عيسى ـ عليه السلام ـ.

قال: «وأما عن الابن كرسيك يا ألله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البر وأبغضت الإثم. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الابتهاج أكثر من شركائك» [عب ٨-٩].

والرد عليه: نص المزمور هو: «فاض قلبي بكلمة صالحة. أنا أقول أعمالي للملك. لساني قلم كاتب سريع الكتابة» ٢ «بهي في الحسن أفضل من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك. لذلك باركك الله إلى الدهر» ٣ «تقلد سيفك على فخذك أيها القوي بحسنك وجمالك» ٤ «استله وانجح واملك من أجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك» ٥ «نبلك مسنونة أيها القوي في قلب أعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون» ٦ «كرسيك يا ألله إلى دهر الداهرين. عصا الاستقامة عصا ملكك» ٧ «أحببت البر وأبغضت الإثم لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك» ٨ «المر والميعة والسليخة من ثيابك. من

منازلك الشريفة؛ العاج أبهجك» ٩«بنات الملوك في كرامتك. قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى» ١٠ «اسمعي يا بنت وانظري وانصتي بأذنيك وانسي شعبك وبيت أبيك» ١١ «فيشتهي الملك حسنك لأنه هو الرب إلهك وله تسجدين» ١٢ «بنات صور يأتينك بالهدايا .لوجهك يصلي كل أغنياء الشعب» ١٣ «كلها مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى» ١٤ «يبلغن إلى الملك. عذارى في أثرها قريباتها إليك يقدمن» ١٥ «يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك» ١٦ «ويكون بنوك عوضاً من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الأرض» ١٧ «سأذكر اسمك في كل جيل وجيل. من أجل ذلك تعترف لك الشعوب إلى الدهر وإلى دهر الداهرين» (١).

يقول الشيخ رحمت الله الهندي ما نصه: «من الأمور المسلَّم بها عند أهل الكتاب أن داود ـ عليه السلام ـ يبشر في هذا الزبور بنبي يظهر من بعد زمانه، ولم يظهر إلى هذا الحين عند اليهود نبي يكون موصوفاً بالصفات المذكورة في هذا الزبور، ويدعى علماء البروتستنت أن هذا النبي هو عيسى ـ عليه السلام ـ، ويدعى أهل الإسلام سلفاً وخلفاً أن هذا النبي هو محمد ﷺ فأقول: إنه ذكر في هذا الزبور من صفات النبي المبشر به هذه الصفات:

١ - كونه حسناً.

٢ - كونه أفضل البشر.

٣ - كون النعمة منسكبة على شفتيه.

٤ - كونه مباركاً إلى الدهر.

٥ - كونه متقلداً بالسيف.

٦ - كونه قوياً.

٧ - كونه ذا حق ودعة وصدق.

٨ - كونه هداية يمينه بالعجب.

٩ - كون نبله مسنونة.

١٠ - سقوط الشعوب تحته.

١١ - كونه محباً للبر ومبغضاً للإثم.

(١) نقلنا نص المزمور ٤٥ من إظهار الحق.

١٢ - خدمة بنات الملوك إياه.

١٣ - مجيء الهدايا إليه.

١٤ - انقياد كل أغنياء الشعوب له.

١٥ - كون أبنائه رؤساء الأرض بدل آبائهم.

١٦ - كون اسمه مذكوراً جيلا بعد جيل.

١٧ - مدح الشعوب إياه إلى دهر الداهرين.

وهذه الأوصاف كلها توجد في محمد ﷺ على أكمل وجه:

أما الأول: فلأن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدار»

وعن أم معبد ـ رضي الله عنها ـ قالت في بعض ما وصفته به: «أجمل الناس من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب»

وأما الثاني: فلأن الله تعالى قال في كلامه المحكم: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية. وقال أهل التفسير أراد بقوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ محمداً ﷺ أي رفعه على سائر الأنبياء من وجوه متعددة، وقد أشبع الكلام في تفسير هذه الآية الإمام الهمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير، وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» أي لا أقول ذلك فخراً لنفسي بل تحدثاً بنعمة ربي.

وأما الثالثة: فغير محتاج إلى البيان حتى أقر بفصاحته الموافق والمخالف. وقال الرواة في وصف كلامه: إنه كان أصدق الناس لهجة؛ فكان من الفصاحة بالمحل الأفضل والموضع الأكمل.

وأما الرابعة: فلأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] وألوف ألوف من الناس يصلون عليه في الصلوات الخمس (١).

(١) نص المزمور ٧٢ وفيه أن الله يصلّي على النبي:

«اللهم أعطي أحكامك للملك وبرك لابن الملك. يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق. تحمل الجبال سلاما للشعب والاكام بالبر. يقضي لمساكين الشعب. يخلص بني البائسين ويسحق الظالم. يخشونك مادامت الشمس وقدام القمر إلى دور فدور. ينزل مثل المطر على الجزر ومثل الغيوث الذارفة على =

وأما الخامسة: فظاهر. وقد قال هو بنفسه: «أنا رسول الله بالسيف»

وأما السادسة: فكانت قوته الجسمانية على الكمال، كما ثبت أن ركانة خلا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة قبل أن يسلم فقال: يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟ فقال: لو أعلم والله ما تقول حقاً لاتبعتك. فقال: أرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم، فلما بطش به ﷺ أضجعه لا يملك من أمره شيئاً، ثم قال: يا محمد عد. فصرعه أيضاً فقال: يا محمد إن ذا لعجب. فقال ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري. قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشجرة، فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يديه ﷺ فقال لها: ارجعي مكانك. فرجع ركانة إلى قومه، فقال: يا بني عبد مناف ما رأيت أسحر منه، ثم أخبرهم بما رأى. وركانة هذا كان من الأقوياء والمصارعين المشهورين.

وأما شجاعته فقد قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود من رسول الله ﷺ » وقال علي كرم الله وجهه: «وإنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأساً».

وأما السابعة: فلأن الأمانة والصدق من الصفات الجليلة له ﷺ كما قال النضر بن الحارث لقريش: «قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم، قلتم إنه ساحر؟ لا والله ما هو

=الأرض. يشرق في أيامه الصديق وكثرة السلام إلى أن يضمحل القمر. ويملك من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض.

أمامه تجثو أهل البرية وأعداؤه يلحسون التراب. ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة. ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية. ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له. لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين إذ لا معين له. يشفق على المسكين والبائس ويخلص أنفس الفقراء. من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه ويعيش ويعطيه من ذهب شبا. ويصلّي لأجله دائماً. اليوم كله يباركه.

تكون حفنة بر في الأرض في رؤوس الجبال. تتمايل مثل لبنان ثمرتها ويزهرون من المدينة مثل عشب الأرض. يكون اسمه إلى الدهر. قدام الشمس يمتد اسمه. ويتباركون به. كل أمم الأرض يطوبونه. مبارك الرب الله إله إسرائيل الصانع العجائب وحده. ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده. آمين ثم آمين» [مزمور ٧٢]

بساحر» وسأل هرقل عن حال النبي ﷺ أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا.

وأما الثامنة: فلأنه رمى يوم بدر وكذا يوم حنين وجوه الكفار بقبضة تراب فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وتمكن المسلمون منهم قتلاً وأسراً. فأمثال هذه؛ من عجيب هداية يمينه.

وأما التاسعة: فلأن كون أولاد إسماعيل أصحاب رمي في سالف الزمان، غير محتاج لبيان، وكان هذا الأمر مرغوباً له وكان يقول: «ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه» ويقول: «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» ويقول ـ عليه السلام ـ: «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا».

وأما العاشرة: فلأن الناس دخلوا أفواجاً في دين الله في حياته.

وأما الحادي عشر: فمشهور يعترف به المعاندون أيضاً، كما عرفت في المسلك الثاني.

وأما الثاني عشر: فقد صارت بنات الملوك والأمراء، خادمات للمسلمين في الطبقة الأولى، ومنها «شهربانو» بنت «يزدجرد» كسرى فارس، كانت تحت الإمام الهمام الحسين ـ رضي الله عنه ـ.

وأما الثالث عشر والرابع عشر: فلأن النجاشي ملك الحبشة والمنذر ابن ساوي ملك البحرين وملك عمان انقادوا وأسلموا، وهرقل قيصر الروم أرسل إليه بهدية، والمقوقس ملك القبط أرسل إليه ثلاث جوار، وغلاماً أسود وبغلة شهباء، وحماراً أشهب، وفرساً وثياباً وغيرها.

وأما الخامس عشر: فقد وصل من أبناء الإمام الحسن ـ رضي الله عنه ـ إلى الخلافة، وألوف في أقاليم مختلفة من الحجاز واليمن ومصر والمغرب والشام وديار الحجاز واليمن، وفي غيرهما توجد الأمراء والحكام من نسله [1] ﷺ.

(١) فهم المؤلف عبارة. الزبور: «ويكون بنوك عوضاً عن آبائك، تقيمهم رؤساء على سائر الأرض» على أن ملوك الأرض يكونون من نسل النبي ﷺ. وقد فهم من المعنى الحرفي؛ لقوله: «ويكون بنوك» ولم يصب المؤلف؛ لأن المعنى الحرفي غير مقصود، بدليل: «تقيمهم رؤساء» فهل أقام النبي ومايزال يقيم الرؤساء؟ الحق: أن التعبير مجازي. يشير إلى أن العرب بني إسماعيل آباء النبي ﷺ ما كان لهم على أحد رئاسة من قبل مولده. وبعد ظهوره صار منهم على سائر الممالك رؤساء كعمرو بن=

وأما **السادس عشر، والسابع عشر**: فلأنه ينادي ألوف ألوف جيلاً بعد جيل في الأوقات الخمسة، بصوت رفيع في أقاليم مختلفة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ويصلي عليه في الأوقات المذكورة كثيرون لا يحصيهم العد من المصلين، والقراء يحفظون كتابه، والمفسرون يفسرون معاني فرقانه، والوعاظ يبلغون وعظه، والعلماء والسلاطين يصلون إلى خدمته. ويسلمون عليه من وراء الباب [1]. ويمسحون وجوههم بتراب روضته ويرجون شفاعته.

ولا يصدق هذا الخبر في حق عيسى - عليه السلام -. كما يدعي علماء البروتستنت ادعاء باطلاً، لأنهم يدعون أن الخبر المندرج في الأصحاح الثالث والخمسين من سفر إشعياء؛ هو في حق عيسى - عليه السلام - ووقع في هذا الخبر في حقه هكذا: «ليس له منظر وجمال ورأيناه ولم يكن له منظر، واشتهيناه مهاناً، وآخر الرجال رجل الأوجاع مختبراً بالأمراض، وكان مكتوماً وجهه ومرذولاً ولم نحسبه، ونحن حسبناه كأبرص ومضروباً من الله ومخضوعاً والرب شاء أن يسحقه» وهذه الأوصاف ضد الأوصاف التي في الزبور المذكور، فلا يصدق عليه كونه حسناً، ولا كونه قوياً. وكذا لا يصدق عليه كونه متقلداً بالسيف، ولا كون نبله مسنونة، ولا انقياد الأغنياء ولا إرسالهم إليه بالسياط، ثم صلبوه. وما كان له زوجة ولا ابن، فلا يصدق دخول البنات في بيته، ولا كون أبنائه بدل آبائه رؤساء الأرض.

فائدة: ترجمة الآية الثامنة التي نقلتها مطابقة للترجمة الفارسية للزبور التي كانت عندي، والتراجم الأردوية للزبور، وموافقة لنقل قديسهم بولس، لأنه نقل هذه الآية في الأصحاح الأول من رسالته العبرانية. هكذا الترجمة العربية سنة ١٨٢١، وسنة ١٨٣١، وسنة ١٨٤٤: «أحببت البر وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك» والتراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨٢٨ وسنة ١٨٣٩، وسنة ١٨٤١. والتراجم الأردوية المطبوعة سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤٠، وسنة ١٨٤١. مطابقة للتراجم العربية. فالترجمة التي تكون مخالفة لما نقلت تكون غير صحيحة. ويكفي لردها إلزاماً كلام

= العاص على «مصر» وغيره. وكل مسلم يحكم على أناس في أي مكان، فكأن النبي نفسه هو الحاكم، وكأن إسماعيل - عليه السلام - نفسه هو الحاكم. إذ النبي من نسله، وإذ بشريعة النبي نفسه يُحكَم.

(١) إن لم يكن التعبير «ويسلمون عليه من وراء الباب» مجاز عن تقربهم منه. فإنه يبحث في موضوع هل النبي حيٌ في قبره أم لا؟

قديسهم. وقد عرفت في مقدمة الباب الرابع أن إطلاق لفظ الإله والرب وأمثالهما، جاء على العوام فضلاً عن الخواص. فالآية السادسة من الزبور الثاني والثمانين هكذا «: أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم» فلا يرد ما قال صاحب «مفتاح الأسرار» إنه وقع في الآية المذكورة هكذا: «أحببت البر وأبغضت الشر، من أجل ذلك يا ألله مسح إلهك بدهن البهجة أفضل من رفقائك» وأنه يعقب على الآية بقوله: «ولا يقال لشخص غير المسيح: يا ألله مسح إلهك... إلخ» لأنا لا نسلم أولاً: صحة ترجمته لكونها مخالفة لكلام قديسهم. وثانياً: لو قطعنا النظر عن عدم صحتها، أقول: ادعاؤه صريح البطلان، لأن لفظ الله ههنا بالمعنى المجازي لا الحقيقي، ويدل عليه: قوله إلهك، لأن الإله الحقيقي لا إله له. فإذا كان بالمعنى المجازي يصدق في حق محمد ﷺ كما يصدق في حق عيسى عليه السلام»[1] أ.هـ.

تعقيب:

يقول المؤلف: إن الزبور ٤٥ لمحمد ﷺ لأن فيه وصفه بالحسن والجمال. ولا يكون لعيسى - عليه السلام - لأن عيسى موصوف في إشعياء ٥٣ بالقبح والدمامة. بحسب كلام المسيحيين.

والرد عليه:

هو أن الزبور ٤٥ وإشعياء ٥٣ هما نبوءتان لمحمد ﷺ والكلام في في إشعياء ٥٣ عن وصفه بالقبح معناه: أن اليهود لا يريدونه. وهو في نظرهم بهذه الصفات، لا أنه في الواقع بها.

وإشعياء ٥٣ مشهورة بنبوءة العبد المتألم من إعراض الناس عن دعوته، لا أنه عديم الحسن والجمال. وهذا هو نصها:

«هوذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أمما كثيرين. من أجله يسد ملوك أفواههم لأنهم قد أبصروا مالم يخبروا به ومالم يسمعوه فهموه.

من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب. نبت قدامه كفرخ وكعرق من أرض يابسة. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه، محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستر عنه وجوهنا. محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا

(١) إظهار الحق - رحمت الله الهندي - طبعة دار التراث العربي بمصر -

تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومرزولا. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد عن طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أُخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء. إنه ضُرب من أجل ذنب شعبي. وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش.

أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسه يرى ويشبع. وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين»

المحاولة الخامسة لبولس:

قال بولس: «لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك» [عب ١:٥] يريد أن يقول: إن نبوءة المزمور الثاني لا تدل على محمد ﷺ وإنما تدل على عيسى ـ عليه السلام.

والرد عليه: نص النبوءة هو: «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل؟.. إلخ» [مز ٢] وقد طبق عيسى نفسه هذه النبوءة على محمد ﷺ طبقاً لرواية برنابا[بر ١٢: ٧] ولرواية يوحنا ٥: ٢٢ وقد طبقها المعمدان طبقا لرواية يوحنا ٣: ٣٦ . وقد اقتبسها أيضاً بطرس في سفر الأعمال [أع ٤: ٢٥] وأيضاً بولس «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح: أن هذا هو ابن الله» [أع ٩: ١٠] .

المحاولة السادسة لبولس:

قال بولس: «ثم لمن من الملائكة قال قط: اجلس عن يميني، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك»؟ [عب ١:١٣] والرد عليه: هو أن نص الكلام في المزمور العاشر بعد المائة هو: «قال الله لسيدي: اجلس عن يميني» أو «قال الرب لربي: اجلس عن يميني.. إلخ» وقد طبق عيسى نفسه هذه النبوءة على محمد ﷺ طبقاً لرواية متى ومرقس ولوقا وبرنابا. ولكن لا باسم محمد في غير برنابا، بل بلقب «المسيح» [متى ٢٢: ٤١ +]

المحاولة السابعة لبولس:

قال بولس: إن ملكوت السموات الذي تحدث عنه دانيال ليس ملكاً أرضياً، وإنما هو بر وسلام وفرح. أي مجرد ألاعيب. يقول في رسالته إلى أهل رومية: «لأن ملكوتُ الله ليس أكلاً وشرباً. بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس» [رو ١٤: ١٦] .

المحاولة الثامنة لبولس:

قول موسى في التوراة: «يُقيم لك الرب إلهك نبياً» هو الذي أُخذ منه لقب «المسيح المنتظر» وهو قول يدل على محمد ﷺ فجهر بولس بأنه يدل على عيسى عليه السلام.

ففي سفر الأعمال: «لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهراً، مبيناً بالكتب: أن يسوع هو المسيح» [أع ١٨: ٢٨] وأيضاً: [أعمال ٩: ٢٢] .

المحاولة التاسعة لبولس:

قال يوحنا المعمدان عن محمد ﷺ: «يأتي بعدي من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أنحني وأحل سيور حذائه» [مرقس ١: ٧] وقال بولس: إن المعمدان يقصد عيسى عليه السلام ففي الأصحاح التاسع عشر من سفر الأعمال: «فحدث فيما كان أبلوس في كورنثوس. أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية، جاء إلى أفسس فإذ وجد تلاميذ. قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس: إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب: أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده. أي بالمسيح يسوع» [أع ١٩: ١-٤] .

والرد عليه:

هو أن المعمدان ويسوع كانت دعوتهما واحدة. وهي الدعوة إلى اقتراب ملكوت السموات. فكيف يقال بأن المعمدان دعا بغير ما دعا إليه يسوع؟

ففي إنجيل متى: «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٤: ١٧] «وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» [متى ٣: ١-٢] .

المحاولة العاشرة لبولس:

نص المزمور الثاني بعد المائة نبوءة عن النبي المنتظر. وهو محمد ﷺ وفيه: «وشعب سوف يُخلق يُسبِّحُ الرب» وفيه تعبيرات مجازية عن ضيق النبي ﷺ من إعراض الكافرين عنه. وأن الله سينصره على أعدائه. فأخذ بولس هذه النبوءة وطبقها على عيسى عليه السلام.

يقول بولس في أول الرسالة إلى العبرانيين «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها؛ فتتغير. ولكن أنت أنت. وسنوك لن تفنى» [عب ١: ١٠-١٢].

ونص المزمور هو: «يا رب استمع صلاتي، ليدخل إليك صراخي. لا تحجب وجهك عني في يوم ضيقي. أملْ إليَّ أذنك في يوم أدعوك. استجب لي سريعاً. لأن أيامي قد فنيت في دخان، وعظامي مثلُ وقيد قد يبست. ملفوح كالعشب. ويابس قلبي حتى سهوت عن أكل خبزي. من صوت تنهدي، لصق عظمي بلحمي. أشبهتُ قوق البرية. صرت مثل بومة الخراب. سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح. اليوم كله عيَّرني أعدائي. الحنقون عليَّ حلفوا عليَّ إني قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بدموع. بسبب غضبك وسخطك؛ لأنك حملتني وطرحتني. أيامي كظل مائل. وأنا مثل العشب يبستُ.

أما أنت يا رب فإلى الدهر جالس، وذكرك إلى دور فدور، أنت تقوم وترحم صهيون. لأنه وقت الرأفة؛ لأنه جاء الميعاد؛ لأن عبيدك قد سُرُّوا بحجارتها، وحنُّوا إلى ترابها فتخشى الأمم اسم الرب. وكل ملوك الأرض مجدك، إذا بنى الرب صهيون، يُرى بمجده. التفت إلى صلاة المضطر، ولم يرذل دعاءهم. يُكتب هذا للدور الآخر، وشعبٌ سوف يُخلق يُسبح الرب، لأنه أشرف من علو قدسه الرب من السماء إلى الأرض ونظر. ليسمع أنين الأسير. ليطلق بني الموت، لكي يُحدَّث في صهيون باسم الرب وبتسبيحه في أورشليم، عند **اجتماع الشعوب معاً، والممالك لعبادة الرب.**

ضعَّف في الطريق قوتي، قصَّر أيامي، أقول: يا إلهي لا تقبضني في نصف أيامي، إلى دهر الدهور سنوك. من قِدَمٍ أسَّست الأرض. والسموات هي عملُ يديك. هي تبيد وأنت تبقى. وكلها كثوب تبلى، كرداء تغيرهن، فتتغير، وأنت هو هو، وسنوك لن تفنى. أبناء عبيدك يسكنون، وذريتهم تُثَبَّتُ أمامك» [مزمور ١٠٢].

المحاولة الحادية عشرة لبولس:

العهد القديم هو عهد التوراة. فما هو العهد الجديد؟ يقول بولس والنصارى: إنه عهد الإنجيل. وقولهم باطل، فإن عيسى عليه السلام ما نسخ التوراة، حتى يُقال: إن كتابه هو لعهد جديد، فقد قال: «على كرسيِّ موسى جلس الكتبة والفرِّيسيُّون. فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا؛ لأنه يقولون ولا يفعلون» [متى

٢٣: ٢-٣] وقام عيسى نفسه بما كان يقوم به الكهنة اللاويون حسب طقوس موسى وشعائره، فقد شفى رجلاً من البرص، وقال له: «انظر أن لا تقول لأحد، بل اذهب أرِ نفسك للكاهن، **وقدم القربان الذي أمر به موسى، شهادة لهم** [متى ٨: ٤].

والذي نسخ التوراة هو محمد ﷺ وهو النبي الذي تنبَّأت عنه التوراة. وهو النبي الذي أتى بكتاب. هو شريعة كشريعة موسى، فعهده هو العهد الجديد، إذ المقابلة بينه وبين موسى قائمة بالفعل، وقد شهد بها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢] وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٨-٥٠].

فالعهد القديم هو عهد التوراة، والعهد الجديد هو عهد القرآن الكريم. هذا هو الحق، فمن هو الباطل؟ هو قول بولس: إن العهد الجديد هو الإنجيل.

يقول بولس: «فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب، لما طُلبت موضع لثانٍ، لأنه يقول لهم لائماً: هو ذا أيام تأتي يقول الرب. حين أُكمل مع بين إسرائيل، ومع بيت يهوذا، عهداً جديداً، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم، يوم أمسكتُ بيدهم لأخرجهم من أرض مصر؛ لأنهم لم يثبتوا في عهدي، وأنا أهملتهم، يقول الرب، لأن هذا هو العهد الذي أعهده مع بيت إسرائيل، بعد تلك الأيام يقول الرب، أجعل نواميسي في أذهانهم، وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، ولا يُعلِّمون كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً: أعرف الرب. لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم؛ لأني أكون صفوحاً عن آثامهم، ولا أذكر خطاياهم وتعدِّياتهم في ما بعدُ. فإذا قال جديداً، عتَّق الأول، وأما ما عتَق وشاخ؛ فهو قريب من الاضمحلال».

يقول بولسُ: إن التوراة معيبة، ولولا عيبها ما نبه الله تعالى على مجيء من ينسخها بشريعة غيرها، وهو بهذا يدلل لليهود على أن التوراة قابلة للنسخ.

ويستدل بآيات من سفر إرمياء، هي: «ها أيام تأتي يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم،

لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب، بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً، ولا يُعلّمون بعدُ كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه. قائلين: اعرفوا الرب؛ لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب، لأني أصفح عن إثمهم، ولا أذكر خطيئتهم بعدُ» [إرمياء ٣١:٣١-٣٤].

إن كلام إرمياء محتمل لمعنيين في نظر الأميين. هما إما رجوع اليهود من سبي بابل إلى فلسطين وإما تركهم شريعة موسى إذا ما جاءت الشريعة الجديدة مع النبي المنتظر، وعلى أي احتمال يسقط كلام بولس. والاحتمال الثاني هو المراد.

المحاولة الثانية عشرة لبولس:

المزمور السابع والتسعون كله نبوءة عن «المسيا الرئيس» وهو محمد ﷺ لأن لإسماعيل عليه السلام بركة. أي مُلك على الأمم والشعوب يبدأ من نبي صاحب شريعة هي مثل شريعة موسى في أبناء إسحق عليه السلام فأخذ بولس نص المزمور وطبقه على عيسى عليه السلام في بدء الرسالة إلى العبرانيين فقد اقتبس بولس معنى: «يخزي كل عابدي تمثال منحوت المفتخرين بالأصنام. اسجدوا له يا جميع الآلهة» من التوراة اليونانية والمراد بالسجود : الخضوع للشريعة. والمزمور كله عن النبي الأمي الآتي ونصه: «الرب قد ملك. فلتبتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة، السحاب والضباب حوله. العدل والحق قاعدة كرسيه، قدامه تذهب نار، وتحرق أعداءه حوله. أضاءت بُروقه المسكونة. رأت الأرض وارتعدت، ذابت الجبال مثل الشمع قدام الرب. قدام سيد الأرض كلها، أخبرت السموات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده. يخزي كل عابدي تمثال منحوت، المفتخرين بالأصنام اسجدوا له يا جميع الآلهة سمعت صهيون ففرحت وابتهجت بنات يهوذا، من أجل أحكامك يا رب لأنك أنت يا رب عليٌّ على كل أرض، علوت جداً على كل الآلهة. يا محبي الرب أبغضوا الشر. هو حافظ نفوس أتقيائه. من يد الأشرار ينقذهم. نورٌ قد زُرع للصدِّيق، وفرح للمستقيمي القلب. افرحوا أيها الصديقون بالرب. واحمدوا ذكر قدسه» [مزمور ٩٧].

المحاولة الثالثة عشرة لبولس:

المزمور الرابع بعد المائة قد اقتبس «بولس» منه: «الصانع ملائكته رياحاً وخدامه نارا ملتهبة» وفيه من المعاني مثل ما في المزمور السابع والستين.

ومما تقدَّم يُعلم: أن بولس كتب أول الرسالة إلى العبرانيين - إن كان هو الكاتب - ليبين لهم: أن نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء التي لمحمد ﷺ ينبغي أن توضع على عيسى عليه السلام ليظل لبني إسرائيل كيان مستقل أبد الدهر. وهذه رموز اقتباساته.

مزمور ٢:٧ صموئيل ٧:١٤ مزمور ٩٧:٧ تثنية ٣٢:٤٣ مزمور ١٠٤:٤ مزمور ٤٥: ٧ - ٨ مزمور ١٠٢:٢٦ - ٢٧ مزمور ١١٠:١ واقتباسته رأسا من التوراة اليونانية كما يقول النصارى.

المحاولة الرابعة عشرة لبولس:

بيَّن موسى عليه السلام أن الله سيغيظ اليهود بسلب الملك منهم والنبوة. وإعطاء الملك والنبوة لأمة أُميَّة. في قوله: «هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعْباً. بأمة غبية. . أُغيظهم» [تثنية ٣٢:٢١] والنص هذا لا يبين من هي الأمة الأمية الغبية. ومن المؤكد: أنها أمة بني إسماعيل عليه السلام وذلك لأن الله نصَّ على بركة له في الأمم. أي يكون له ملك ونبوة. في قوله: «وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أُباركه» [تك ١٧:٢٠] وقد جاء في القرآن عن هذه الأمة الغبية قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ وبولس يعلم أن هذه الأمة هي أمة بني إسماعيل. للنص على بركته. وصرح بأنها أمة اليونان، وكل يؤمن بالمسيح إلهاً مصلوباً من جميع الأمم.

يقول بولس: «لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن إشعياء يقول: يا رب من صدق خبرنا؟ إذاً الإيمان بالخبر. والخبر بكلمة الله. لكنني أقول: ألعلهم لم يسمعوا؟ بلى. إلى جميع الأرض، خرج صوتهم، وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم. لكني أقول: ألعل إسرائيل لم يعلم؟ أولاً: موسى يقول: أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أُغيظكم. . إلخ» [رومية ١٠:١٦]

والرد على بولس: هو هل أتى من أي أمة غير أمة بني إسماعيل نبي مماثل لموسى؟

الاتفاق بين بطرس وبولس:

وقد تقدَّم رأي بطرس - الذي هو شمعون الصفا أو سمعان بطرس - في تطبيق نبوءات التوراة التي هي لمحمد ﷺ على عيسى عليه السلام وتقدم رأي بولس. وقد تبين أنهما متفقان على هذا الهدف. وهما معا أثر عنهما إلغاء التوراة. فلماذا يقال: إن مؤسس النصرانية هو بولس، مع أنه قال بما قال به بطرس ورفاقه؟

هل لأن جهاده أكثر من غيره؟ هل لأنه بسط حججه على رأيه بأساليب طويلة؟

وقصة ملاءة بطرس التي نسخ بها أحكام التوراة.هي هذه:

«وكان في قيصرية رجل، اسمه كرنيليوس. قائد مئة من الكتيبة التي تُدعى الإيطالية، وهو تقي وخائف الله، مع جميع بيته، يصنع حسنات كثيرة للشعب ويصلي إلى الله في كل حين، فرأى ظاهرا في رؤيا، نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكاً من الله داخلاً إليه، وقائلاً له: ياكرنيليوس، فلما شخص إليه ودخله الخوف، قال: ماذا يا سيد؟ فقال له: صلواتك وصدقاتك، صعدت تذكارا أمام الله. والآن أرسل إلى يافا رجالاً، واستدع سمعان الملقب بطرس إنه نازل عند سمعان رجل دباغ، بيته عند البحر، هو يقول لك: ماذا ينبغي أن تفعل؟ فلما انطلق الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس، نادى اثنين من خدامه، وعسكريا تقيا من الذين كانوا يلازمونه، وأخبرهم بكل شيء، وأرسلهم إلى يافا.

ثم في الغد فيما هم يسافرون ويقتربون إلى المدينة؛ صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة؛ فجاع كثيراً، واشتهى أن يأكل، وبينما هم يهيئون له، وقعت عليه غيبة، فرأى السماء مفتوحة، وإناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة، مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة على الأرض وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، وصار إليه صوت: قم يا بطرس اذبح وكل. فقال بطرس: كلا يا رب؛ لأني لم آكل قط شيئاً دنساً، أو نجساً. فصار إليه أيضاً صوت ثانية: ما طهره الله لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات، ثم ارتفع الإناء إلى السماء» [أع ١٠:١-١٦].

يريد هذا الكاتب أن يقول: إن الله تعالى حرم في التوراة دواب ووحوشاً وزحَّافات وطيوراً وأراد أن يحلها في الإنجيل على لسان بطرس. ولماذا لم يحلها على لسان عيسى عليه السلام؟ وهل بطرس كان من الأنبياء؟

قول بولس في تثليث التجسد وتثليث التعدد:

والتثليث بقسميه لم يكن إلاَّ من مجمع نيقية سنة ٢٣٥ م وبولس كان سجنه الثاني في روما سنة ٦٧ بعد الميلاد وكان قبله في سنة ٦٨ وأول زيارة له لأورشليم كانت سنة ٣٧م فكيف يُقال إن التثليث من عمل يديه؟

لقد أشاع النصارى أن التثليث قد صرح به «بولس» وعنهم قال بعض المسلمين: إن االثليث من بولس، حسبما هو مكتوب. وعند التحري والتدقيق يتبين أن بولس لم يخدعهم في التثليث وإنما خدعهم في النبوءات عن النبي الآتي. ومن الجائز أنهم وضعوا آيات في الكتب على لسانه ـ في غير التثليث ـ وهو لم يقلها. وآية ذلك: أن أسفاره المنسوبة إليه، كلها

مشكوك في نسبتها إليه. ومكتوب عنه أيضاً: أنه قال: إن الله واحد. ففي رسالته إلى أهل رومية: «لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة. لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله..» [١ كور ١٢: ٦] «نعلم أن ليس وثن في العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحداً..» [١ كور ٨: ٤]

وصرح بولس بتنزيه الله تعالى عن المثل والشبه.

فقال: «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يُرى، الإله الحكيم وحده، له الكرامة والمجد إلى دهر الدهور» [١ تيموثاوس ١: ١٧] وقال أيضاً لتيموثاوس: «أوصيك أمام الله الذي يحيي الكل، والمسيح يسوع، الذي شهد لدى بيلاطس البنطي بالاعتراف الحسن: أن تحفظ الوصية بلا دنس، ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذي سيبنيه في أوقاته: المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك، ورب الأرباب، الذي وحده، له عدم الموت، ساكناً في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية» [١ تيمو ٦: ١٣-١٦].

وهذا كلام من كتب النصارى حول رسائل بولس يدل على شكهم أنفسهم في نسبة رسائله إليه:

أ - الكنيسة الغربية تنكر نسبة الرسالة إلى العبرانيين إلى بولس، والكنيسة الشرقية تؤكد نسبتها إليه.

وقال أوريجانوس: إن الله وحده، هو الذي يعلم من هو كاتب تلك الرسالة.

ب - يوجد تعارض في كلامه: ومثاله:

١ - كلامه عن وجود المسيح في رسالته إلى أهل فيلبِّي [٢: ٦-١١] متعارض مع كلامه عنه في كورنثوس الأولى [١٥: ٤٥-٤٩].

٢ - قوله إنه من جهة الناموس كان بلا لوم [فيلبي ٣: ٦] وقوله في رسالته إلى أهل [رومية ٧: ٢١] «حينما أريد أن أفعل الحسنى، أجد الشر حاضراً عندي».

٣ - تناقض تعليم بولس الخاص بظهور المسيح في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي فقد قال: إن ظهور المسيح سيكون مفاجئاً على غير توقع، وقال في رسالته الثانية إلى تسالونيكي: إن ظهور المسيح سيكون بعد علامات تقع في الكون [قارن الثانية ٢: ١-١٢ مع الأولى ٤: ١٣-١٨ و ٥: ١-١١].

جـ - الرسائل الرعوية لبولس، وهي الأولى والثانية إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطوس. ينكرهم كثيرون من النصارى بحجة أن ما فيهم عن حياة بولس لا يوافق ما جاء عنه في سفر أعمال الرسل. وبحجة أن الرتب الكنسية قد ظهرت في وقت متأخر عن أيام بولس[1].

د - والقانون الموراتوري. مما يستند النصارى عليه في قانونية الكتب المقدسة مع أن كاتبه مجهول. ومن المحتمل أنه من ابتداع الكنيسة، ليوهموا الناس أن ما عندهم موثق من زمن قديم. يقول القس جاد المنفلوطي عن هذا القانون:

«هو قائمة الأسفار القانونية في الإنجيل الشريف، كتبها وجمعها شخص مجهول، وفي القرن الثامن، عثر عليها في المكتبة الأمبروزية بـ «ميلان» شخص يُدعى «موراتوري» الذي زطبق اسمه عليها، وقد نشرت هذه القائمة لأول مرة، في عام ١٧٤٠م وهي تسمىبالقاون الموراتوري؛ لأنها تتضمن بيانات بالأسفار القانونية في الإنجيل»[2] أ.هـ.

ولنذكر الآن نصاً من الأناجيل ـ مُشار إليه في تاريخ الأقباط لزكي شنوده ـ يدل على أن أهل الروم قد سجلوا في تواريخهم هدف عيسى من دعوته. وشهدوا بوجوده وشهدوا على اليهود بأنهم سمعوا له. ولم يمكنوهم من قتله بين المذبح والهيكل. كما قتلوا «زكريا بن بَرَخَيَّا».

النص:

«فالأم من ثم مجلس عام ضد يسوع؛ لأن أمر الرومانيين، أخافهم، ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني، أرسل أمرين بشأن يسوع: يتوعَّدُ في أحدهما بالموت من يدعو يسوع الناصري نبي اليهود: الله، ويتوعد في الآخر بالموت من يُشاغب في شأن يسوع الناصري نبي اليهود.

فلهذا السبب، وقع الشقاق في ما بينهم. فرغب بعضهم في أن يعودوا؛ فيكتبوا إلى رومية، يشكون يسوع، وقال آخرون: إنه يجب أن يتركوا يسوع وشأنه، غاضِّين النظر عما قال: كأنه معتوه، وأورد آخرون الآيات العظيمة التي عملها. فأمر رئيس الكهنة بأن لا يتفوّه أحد بكلمة دفاع عن يسوع، إلا كان تحت طائلة الحرم. ثم كلم هيرودس والوالي قائلاً: كيف

(١) نظرات في الإنجيل ـ الجزء الثاني ـ للقس جاد المنفلوطي ـ دار التاليف للكنيسة الأسقفية بمصر.

(٢) المرجع السابق صـ ٢١٣ .

ما كانت الحال؛ فإن بين أيدينا معضلة؛ لأننا إذا قتلنا هذا الخاطئ خالفنا أمر قيصر، وإن تركناه حيّاً، وجعل نفسه مَلكاً: فكيف يكون المآل؟ فوقف حينئذ هيرودس، وهدَّد الوالي قائلاً: احذر من أن يكون عَطْفُك على ذلك الرجل، باعثا على ثورة هذه البلاد: لأني أتهمك بالعصيان أمام قيصر، حينئذ خاف الوالي مجلس الشيوخ، وصالح هيرودس[1] وكانا قبل هذا قد أبغض أحدهما الآخر إلى الموت» [برنابا ٢١٠: ١٤-٢٨].

التعليق:

١ - التأم مجلس من علماء بني إسرائيل برئاسة رئيس العلماء للتشاور في أمر عيسى عليه السلام. هل سيقتلونه أم لا يقتلونه؟

٢ - مجلس الشيوخ الروماني في «روما» عاصمة الإمبراطورية الرومانية التي تحكم العالم يومئذ. يجتمع لأمر هام. وهو النظر في دعوة عيسى عليه السلام. وهي دعوة خطيرة على الإمبراطورية كلها. لأنه ينبه الناس إلى مجئ «المَسِيَّا» الذي سيزيل روما من على وجه الأرض.

٣ - مجلس الشيوخ الروماني يصدر قراراً لا يصح لأحد أن يقول: إن عيسى هو الله.

٤ - مجلس الشيوخ الروماني يصدر قراراً بترك يسوع حراً في دعوته، لأن قضاء الله لا مرد له، ولأن المدة التي حددها دانيال لظهور «المسيا» باق فيها أكثر من خمسمائة عام.

لكنه بعد أزيد من ثلثمائة عام على قرار مجلس الشيوخ الروماني الذي هو «البرلمان» - وكان قد قرب الزمان الذي سيظهر فيه «المسيا» ليزيل دولة الرومان من أرض فلسطين والعالم ـ رأى أهل الروم أن يسكت النصارى عن تعريف الناس بمجئ المسيا: فإن جهرهم بمجيئه جرأ الناس عليهم، وشجعهم على نبذ طاعتهم. ورأوا أن يختلط الروم بالنصارى ويستأنسوا بهم، عن طريق قبول النصارى لعقائدهم. وبذلك يستتب الأمن في الدولة كلها ـ في نظرهم - ولكن الأمن لم يستتب. وانقسمت الدولة إلى قسمين ـ شرقية وغربية بعد قرار المصالحة بينهم وبين النصارى بقليل.

ودعوة عيسى عليه السلام هي اقتراب ملكوت السموات. اعلم هذا. **ثم اقرأ هذا النص** من كتب التواريخ وهو: «**ولقد كان من أسباب الصراع بين الدولة الرومانية وبين النصارى: إيمان النصارى بأن «المملكة الوحيدة الخالدة ليست هي روما، ولا الامبراطورية الرومانية، وإنما هي مملكة «المسيح» أي «ملكوت الله» وآمنت الكنيسة منذ بدايتها الأولى: أن نهاية**

(١) لوقا ٢٣: ٨ .

العالم وشيكة الوقوع» أ.هـ.

أ – ما معنى «مملكة المسيح»؟ هل هو المسيح الرئيس الذي هو المِسِيَّا، أم هو عيسى عليه السلام؟

ب – وما معنى «ملكوت الله» الذي يُعبَّر عنه أيضاً بملكوت السموات؟

ج – وما معنى نهاية العالم؟

والإجابة: هي أن المراد بالمسيح: المسيا. وهو محمد رسول الله ﷺ الملقب من دانيال بابن الإنسان. والمراد بملكوت الله: ملكوت محمد ﷺ.

والمراد بنهاية العالم: نهاية بركة إسحق عليه السلام في الأمم. أي نهاية مُلك بني إسرائيل ونبوتهم في العالم.

يوضح هذا:

ما جاء في متى ومرقس ولوقا عن الحروب التي ستكون وقت تأسيس ملكوت الله في أرض فلسطين على يد الإسماعيليين المبارك فيهم من الله.

نص رواية لوقا: «وإذ كان قوم يقولون عن الهيكل إنه مُزيَّن بحجارة حسنة وتُحف. قال: هذه التي ترونها، ستأتي أيام لا يُترك فيها حجر على حجر، لا يُنقض. فسألوه قائلين: يا معلم متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يصير هذا؟ فقال: انظروا لا تضلُّوا. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو والزمان قد قرب. فلا تذهبوا وراءهم. فإذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا؛ لأنه لابد أن يكون هذا أولاً، ولكن لا يكون المنتهى سريعاً.

ثم قال لهم: تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون زلازل عظيمة في أماكن، ومجاعات، وأوبئة، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء. وقبل هذا كله يُلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي. فيؤول ذلك لكم شهادة. فضعوا في قلوبكم: أن لا تهتموا من قبل؛ لكي تحتجوا؛ لأني أنا أعطيكم فما وحكمة، لا يقدر جميع معانديكم أن يُقاوموا أو يناقضوها. وسوف تُسلَّمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء.

ويقتلون منكم. وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكنَّ شعرة من رءوسكم

لا تهلك. بصبركم اقتنوا أنفسكم. ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا: أنه قد اقترب خرابها. حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. والذين في وسطها فليفروا خارجاً، والذين في الكُوَر فلا يدخلوها. لأن هذه أيام انتقام، ليتم كل ما هو مكتوب. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام؛ لأنه يكون ضيق عظيم على الأرض، وسُخط على هذا الشعب. ويقعون بفم السيف ويُسبَون إلى جميع الأمم. وتكون أورشليم مدوسة من الأمم حتى تُكَمَّل أزمنةُ الأمم.

وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كربُ أمم بحيرة. البحر والأمواج تضجُّ. والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة؛ لأن قوات السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا، في سحابة بقوة ومجد كثير. ومتى ابتدأت هذه تكون، فانتصبوا وارفعوا رءوسكم؛ لأن نجاتكم تقترب.

وقال لهم مثلا: انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار. متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم: أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا: أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم: إنه لا يمضي هذا الجيل، حتى يكون الكل. السماء والأرض تزولان. ولكن كلامي لا يزول. فاحترزوا لأنفسكم؛ لئلا تثقل قلوبكم في خُمار وسُكر وهموم الحياة. فيصادفكم ذلك اليوم بغتة؛ لأنه كالفخ يأتي على جميع الجالسين على وجه كل الأرض. اسهروا إذاً وتضرعوا في كل حين؛ لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون، وتقفوا قُدَّام ابن الإنسان» [لوقا ٢١: ٥-٣٦].

ذلك هو كلام لوقا بنصه. عن دخول المسلمين أرض فلسطين لتأسيس ملكوت الله. وواضح منه: إن عيسى عليه السلام لا يتحدث عن نفسه، وإنما يتحدث عن «ابن الإنسان» ويقول: إن ملكوت الله قريب. والعبارات المجازية التشبيهية التي في ذلك الحديث. مُحكمها الذي يوضح المراد منها: هو نص كلام النبي دانيال في سفره في الأصحاح الثاني والسابع والتاسع عن ملكوت الله. مع العلم بأن هذا الحديث قد ورد عند متى ومرقس باختلاف يسير. ولكن الغرض واحد.

فقول المؤرخين عن أهل الروم إنهم كانوا يعتقدون أن مملكتهم ليست خالدة. وإنما الذي سيخلد، ويدوم هو ملكوت الله. هو قول صحيح. ولكن النصارى ألغزوا المعنى بقولهم: إنه ملكوت عيسى الروحي على قلوب من يؤمن به. وهل الملك الروحي، أزال عن النصارى

تنفوذ أهل الروم؟إن التاريخ يشهد بأن الذي أزال دولة الروم هم المسلمون، فيكونون هم أصحاب الملكوت.

نص رواية مرقس: وفيما هو خارج من الهيكل قال له واحد من تلاميذه: انظر ما هذه الحجارة، وهذه الأبنية؟ فأجاب يسوع: وقال له: أتنظر هذه الأبنية العظيمة؟ لا يُترك حجر على حجر لا يُنقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون. تُجاه الهيكل، سأله بطرس ويوحنا وأندراوس، على انفراد. قل لنا: متى يكون هذا؟ وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟

فأجابهم يسوع، انظروا لا يُضلكم أحدٌ؛ فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو. ويُضلُّون كثيرين. فإذا سمعتم بحروب وبأخبار حروب، فلا ترتاعوا. لأنها لابدَّ أن تكون. ولكن ليس المنتهى بعدُ؛ لأنه تقوم أُمَّة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون زلازل في أماكن، وتكون مجاعات واضطرابات. هذه مبتدأ الاوجاع. فانظروا إلى نفوسكم. لأنهم سيُسلِّمونكم إلى مجالس، وتُجلدون في مجامع، وتُوقفون أمام ولاة وملوك من أجلي، شهادة لهم. وينبغي أن يكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم. فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون، ولا تهتموا. بل مهما أُعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلموا. لأن لستم أنتم المتكلمين، بل الروح القدس. وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده. ويقومُ الأولاد على والديهم ويقتلونهم، وتكونون مُبغضين من الجميع من أجل اسمي. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى؛ فهذا يخلُص.

فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة، حيث لا ينبغي. ليفهم القارئ.

فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال، والذي على السطح فلا ينزل إلى البيت ولا يدخل، ليأخذ من بيته شيئاً. والذي في الحقل فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ ثوبه. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام. وصلُّوا لكي لا يكون هربكم في شتاء. لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله، منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن ولن يكون. ولو لم يُقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصرَّ الأيام. حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح[1] هنا أو هو ذا هناك؛ فلا تصدقوا؛ لأنه

(١) المسيح الرئيس.

سيقوم مسحاء كذبة، وأنبياء كذبة. ويُعطون آيات وعجائب؛ لكي يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. فانظروا أنتم. ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شئ.

وأما في تلك الأيام بعد ذلك الضيق؛ فالشمس تُظلم، والقمر لا يُعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السموات تتزعزع. وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد. فيرسل حينئذ ملائكته، ويجمع مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء. فمن شجرة التين تعلموا المثل. متى صار غصنها رخصا، وأخرجت أوراقاً، تعلمون: أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة، فاعلموا: أنه قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل، حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الآب. انظروا. اسهروا. وصلوا؛ لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت» [مرقس ١٣: ١-٣٣].

رواية متى: «وفيما هو جالس على جبل الزيتون؛ تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا: متى يكون هذا[1]؟ .. إلخ»

(١) انظر النص وشرحه في كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل.

الفصل الثامن

في

﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

البيان:

في التوراة أن الله عاهد إبراهيم على السير أمامه في جميع البلاد لدعوة الأمم إلى عبادته، ولنبذ عبادة الأصنام. ووعده إذا هو سار أمامه أن يورثه أراضي الأمم والشعوب. فلما وصل إلى سن الكبر؛ قال لله تعالى: «ها أنا ماض عقيما» فكيف أرث أراضي الأمم والشعوب وأنت لم تعطني نسلا؟

أعطني آية على أني سأرثها «أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها»؟ فأعطاه الله آية على الإرث. وهي: أن يأخذ أربعة من الطير ويشق الطير من الوسط، ويجعل كل شق مقابل صاحبه. وقد شق وجعل على جبال. بدليل: «فنزلت الجوارح على الجثث، وكان أبرام يزجرها» إلى غروب الشمس «ولما صارت الشمس إلى المغيب، وقع على أبرام سُبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه» (١)

(١) «بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا. لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جدا. فقال أبرام: أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي؟ وقال أبرام أيضا: إنك لم تعطني نسلا وهو ذا ابن بيتي وارث لي. فإذا كلام الرب إليه قائلا: لا يرثك هذا. بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. ثم أخرجه إلى خارج وقال انظر: إلى السماء وعدَّ النجوم إن استطعت أن تعدها. وقال له: هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له برا. وقال له: أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها. فقال: أيها السيد الرب بماذا أعلم أني أرثها؟ فقال له: خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه. وأما الطير فلم يشقه. فنزلت الجوارح على الجثث وكان أبرام يزجرها. =

وفي حالة السبات والظلام الواقعين عليه. في حالة حلم الليل هذا ـ ويُسمّى بمرأى النبوة ـ رأى أن نسله سيملك من الأرض التي هو مقيم فيها - أرض مكة - إلى أرض فلسطين شمالا، وإلى اليمين جنوبا. وإلى بلاد الشرق والغرب. وهذه الأرض خاص من عام. لأنه قال له لما هاجر من أرض آبائه: «وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تك ١٢: ١-٣] ووجه الخصوص: أنها تكون عاصمة الملك. ثم منها يتفرق نسله في الأمم

ولما أفاق إبراهيم من هذا السبات، وهذه الظلمة؛ قطع الله العهد مع إبراهيم. وكان قد قال له: «لا تخف يا أبرام. أنا تُرس لك. أجرك كثير جدا» أي جاهد في سبيلي، وأنا أنصرك على أعدائك.

والأرض الخاصة عاصمة الملك هي من «مكة المكرمة» إلى «فلسطين» ومحرف التوراة قال: إنها «من نهر مصر إلى النهر الكبير. نهر الفرات» فهل كان هذا الإسراء لإبراهيم لما وقع عليه «سُبات» ليرى من آيات الله ـ في حالة مرأى النبوة وهي حالة تسمى في الكتب الإسلامية بحالة ما بين النائم واليقظان ـ أن نسله سيملك من «مكة» إلى «فلسطين»؟

في التوراة أن إبراهيم عبد الله، وأن الإسراء كان ليملك نسله الأرض التي سيُدار منها ملك نسله على الأمم والشعوب. وهي من مكة إلى فلسطين.

ففي المزمور المئة والخامس: «اطلبوا الرب وقدرته. التمسوا وجهه دائما. اذكروا عجائبه التي صنع. آياته وأحكام فيه. يا ذرية إبراهيم عبده. يا بني يعقوب مختاريه. هو الرب إلهنا. في كل الأرض أحكامه. ذكر إلى الدهر عهده. كلاما أوصي به إلى ألف دور، الذي عاهد به إبراهيم. . إلخ» [مزمور ١٠٥]

والدليل على أن الإرث لجميع الأمم والشعوب من هذا الزبور هو: «وأعطاهم أراضي

= ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرام سبات. وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه. فقال لأبرام: اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويُستعبدون لهم. فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يستعبدون لها؛ أنا أدينها. وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة. وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة. وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا. لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا. ثم غابت الشمس فصارت العتمة. وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع. في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات. القينيين والقنزيين والقدمونيين. والحثيين والفرزّيين والرفائيين. والأموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين»

الأمم. وتعب الشعوب ورثوه؛ لكي يحفظوا فرائضه، ويطيعوا شرائعه» [مزمور ١٠٥: ٤٤-٤٥] فتكون الأرض الخاصة: أرض إدارة. لأملاك إبراهيم ونسله في الأمم والشعوب [1].

وفي التوراة أن الأرض الخاصة هي من مكة إلى فلسطين. وبيان ذلك:

أن إبراهيم عليه السلام هاجر إلى مكة، وأقام بها إقامة دائمة. وفيها أنجب إسماعيل وإسحق وأولاده من «قطوره» ولم تطأ قدماه أرض كنعان - كما يزعم اليهود - ففي الأصحاح الثالث عشر من سفر التكوين أن هجرته هو ولوط كانت «إلى الجنوب» وأرض

(١) «احمدوا الرب. ادعو باسمه. عرفوا بين الأمم بأعماله. غنوا له. رنموا له. أنشدوا بكل عجائبه. افتخروا باسمه القدوس. لتفرح قلوب الذين يلتمسون الرب.

اطلبوا الرب وقدرته. التمسوا وجهه دائما. اذكروا عجائبه التي صنع. آياته وأحكام فيه. يا ذرية إبراهيم عبده يا بني يعقوب مختاريه. هو الرب إلهنا في كل الأرض أحكامه. ذكر إلى الدهر عهده كلاما أوصى به إلى ألف دور. الذي عاهد به إبراهيم وقسمه لإسحق. فثبته ليعقوب فريضة ولإسرائيل عهدا أبديا. قائلا: لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم. إذ كانوا عددا يحصى قليلين وغرباء فيها. ذهبوا من أمة إلى أمة. من مملكة إلى شعب آخر. فلم يدع إنسانا يظلمهم. بل وبخ ملوكا من أجلهم. قائلاً: لا تمسوا مسحائي ولا تسيئوا إلى أنبيائي. دعا بالجوع على الأرض. كسر قوام الخبز كله. أرسل أمامهم رجلا. بيع يوسف عبدا. آذوا بالقيد رجليه. في الحديد دخلت نفسه. إلى وقت مجئ كلمته. قول الرب امتحنه. أرسل الملك فحله. أرسل سلطان الشعب فأطلقه. أقامه سيدا على بيته ومسلطا على كل ملكه. ليأسر رؤساءه حسب إرداته ويعلم مشايخه حكمة. فجاء إسرائيل إلى مصر ويعقوب تغرب في أرض حام

جعل شعبه مثمرا جدا وأعزه على أعدائه. حول قلوبهم ليبغضوا شعبه ليحتالوا على عبيده. أرسل موسى عبده وهرون الذي اختاره. أقاما بينهم كلام آياته وعجائب في أرض حام. أرسل ظلمة فأظلمت. ولم يعصوا كلامه. حول مياههم إلى دم وقتل أسماكهم. أفاضت أرضهم ضفادع. حتى في مخادع ملوكهم. أمر فجاء الذبان والبعوض في كل تخومهم. جعل أمطارهم بردا ونارا ملتهبة في أرضهم. ضرب كرومهم وتينهم وكسر كل أشجار تخومهم. أمر فجاء الجراد وغوغاء بلا عدد. فأكل كل عشب في بلادهم. وأكل أثمار أرضهم. قتل كل بكر في أرضهم. أوائل كل قوتهم. فأخرجهم بفضة وذهب ولم يكن في أسباطهم عاثر. فرحت مصر بخروجهم لأن رعبهم سقط عليهم.

بسط سحابا سجفا ونارا لتضئ الليل. سألوا فأتاهم بالسلوى وخبز السماء أشبعهم. شق الصخرة فانفجرت المياه. جرت في اليابسة نهرا. لأنه ذكر كلمة قدسه مع إبراهيم عبده. فأخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم. وأعطاهم أراضي الأمم. وتعب الشعوب ورثوه. لكي يحفظوا فرائضه ويطيعوا شرائعه. هللويا» [مزمور ١٠٥]

الجنوب هي أرض «مكة» ولما اعتزل لوط عن إبراهيم: «وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا؛ لأن جميع الأرض. التي أنت ترى. لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، وأجعل نسلك كتراب الأرض. حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض؛ نسلك أيضا يُعَدّ. قم امش في الأرض طولها وعرضها؛ لأني لك أعطيها. . وبنى هناك مذبحا للرب» [تك ١٣: ١٤-١٨]

بعد اعتزال لوط عن إبراهيم. سكن إبراهيم في أرض الجنوب. وكانا متجاورين. لقول إبراهيم للوط: «اعتزل عني. إن ذهبت شمالا، فأنا يمينا، وإن يمينا فأنا شمالا» [تك ١٣: ٩] وإذ سكن لوط في الأرض شمالا؛ يكون إبراهيم يمينا في «مكة» وإذا كان اعتزال إبراهيم إلى الشمال يكون لوط معتزلا إلى الجنوب. ولا يمكن أن يكون أي منهما معتزلا في أرض فلسطين؛ لأنها مدن محصنة ذات أسوار. ولها ملوك. وهم لن يدخلوها رعاة إبل وبقر. وغنم.

وعلى ذلك يكون قول الكاتب: «قم امش في الأرض طولها وعرضها؛ لأني لك أعطيها، فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون. وبنى هناك مذبحا للرب» فيه جملة اعتراضية غرضه منها لبس الحق بالباطل. وهي: «فنقل أبرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون» وهي مدينة الخليل. ولا يعقل أن يبني إبراهيم ورعاة إبله وبقره وغنمه مذبحا أي مسجدا لله في أرض تعبد الأصنام بدون حرب وقتال. فيكون «وبنى هناك مذبحا للرب» في أرض مكة. ومما يدل على أن الأرض التي كان فيها إسراء إبراهيم هي أرض مكة: تجديد الأمر والوعد بإرث الأرض بعد نجاة ابنه الوحيد من الذبح. وبيان ذلك: أن الأمر بالذبح كان في جبل بيت الله «في جبل الرب» [تك ٢٢: ١٤] وجبل الرب هو جبل مكة. وذلك لأن تعيين جبل للرب في فلسطين لم يكن إلا من بعد عصر داود عليه السلام. يضاف إلى ذلك أن حروب إبراهيم كانت في «فاران».

والابن الوحيد هو الذبيح. وهو إسماعيل. فإنه بكر إبراهيم وبكر هاجر وأيضا هو بكر سارة. سيدة هاجر؛ لأنها لما لم تنجب طلبت من إبراهيم أن يدخل عليها لعلها ترزق منها بنين. فلما دخل عليها وحبلت وولدت كان المولود ابن سارة بحسب شريعة ذاك الزمان. ففي الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين: «فقالت ساراي لأبرام: هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة. ادخل على جاريتي. لعلّي أُرزق منها بنين. . .» [تك ١٦: ٢]

وقد نص على تجديد الوعد بإرث الأرض بقوله: «بذاتي أقسمت. يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض، من أجل أنك سمعت لقولي» [تك ٢٢:١٦-١٨]

ولم يحدد له في هذا التجديد أرضا خاصة من عموم الأرض. وإنما قال له: «جميع أمم الأرض»

أما الأرض الخاصة التي يدير نسله منها شئون أمم الأرض. فهي التي قال عنها من قبل: «وقال الرب لأبرام بعد اعتزال لوط عنه: ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا» وإذا كانت هذه الأرض الخاصة من النيل إلى الفرات ـ كما يزعم اليهود ـ فأين الغرب وأين الشرق وأين الجنوب وأين الشمال؟ وهم يزعمون أنهم لم يرثوا أراضي الأمم والشعوب.

من هو الوارث لإبراهيم؟

يقول أهل الكتاب: إن إرث إبراهيم للأرض الخاصة؛ لا يبدأ من إبراهيم، وإنما يبدأ من النبي الآتي من نسل صاحب العهد. وهو نسل الذبيح الوحيد. أي لا يبدأ من الابن الوحيد، وإنما يبدأ من النبي الأمي الآتي من نسله. ومن إبراهيم إلى ظهور النبي الأمي هي مدة تمهيد وتوطئة لتهيئة عقول البشر إلى قبول شريعة هذا النبي.

على هذا اتفاق اليهود والمسيحيين. ويقول المسيحيون: إن النبي الأمي الآتي هو يسوع الذي يُدعى المسيح. أي أن العهد في إبراهيم بإرث الأرض الخاصة والعامة يبدأ من المسيح عيسى عليه السلام. والمدة من قبله تمهيد وتوطئة له. ويقول اليهود: إن النبي الآتي لم يأت بعد، وإذا أتى فإنه سيكون من بني إسرائيل.

يقول بولس في رسالته إلى أهل غَلاطية:

«أيها الاخوة بحسب الإنسان أقول: ليس أحد يبطّل عهدا قد تمكن ولو من إنسان أو يزيد عليه. وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد «وفي نسلك» الذي هو المسيح. وإنما أقول هذا إن الناموس الذي صار بعد أربع مئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد. لأنه إن كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد. ولكن الله وهبها

لإبراهيم بموعد.

فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له مرتبا بملائكة في يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد. فهل الناموس ضد مواعيد الله. حاشا. لأنه لو أُعطي ناموس قادر أن يحيي؛ لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليُعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون. ولكن قبلما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يعلن. إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب. لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع. فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة» [غلاطية ٣]

والرد عليه:

هو أن المسيح بن مريم كان على شريعة التوراة؛ فكيف يكون هو صاحب المواعيد وليس معه من شريعة؟

موت إبراهيم:

وإن إبراهيم قد أنجب إسماعيل على الكبر، في سن السادسة والثمانين. ورجل في هذه السن يعتبر ميتا عن الإنجاب. مثله مثل النخلة المسنة. تراها عالية. ولا ترى حولها فسائل لتزرع وتصير نخلا فيه ثمر. وفي هذه الحالة يقال عن النخلة المسنة: إنها نخلة ميتة. وإن كانت في مرأى العين حية. كذلك إبراهيم. هو حي في سن الكبر. ولكنه في الحقيقة ميت. إذ لا فائدة فيه من جهة الإنجاب لعمارة الدنيا. **فلما وُعد بنسل في سن الكبر؛ أبدى تعجبه بقوله: أنا ميت. فكيف تحيي الموتى؟** كيف تجعلني قادرا على الإنجاب. وأعضاء الإنجاب في جسدي قد ماتت [1] أعطني آية. فقد وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا؟ وكذلك سارة القريبة منه في السن. وهي أخته لأبيه. هي أيضا حية في نظر الناس. وفي الحقيقة هي ميتة لا تقدر على إنجاب لعمارة الدنيا. فأشبهت الميت الذي ودعها إلى القبر.

(١) ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ .

هذا عن موت إبراهيم عن الإنجاب.

وأما عن نسله. فإنه لما وعد بنسل في أرض غير ذي زرع. تعجب من معيشتهم في هذه الأرض. كيف يحيون فيها. وهم سيصيرون فيها إلى الموت. لذلك شبههم بالموتى. وقال: ﴿أرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ من نسلي في أرض مكة؟ وإذ كان مماتا غير قادر على الإنجاب. وإذ كانوا **مشبهين بالأموات. فإن جمع الكثرة في ﴿الْمَوْتَىٰ﴾** يشملهم جميعا.

ومن المحتمل أنه يقصد النسل ولا يقصد نفسه بالموتى. ولكن بولس يقول: إن ﴿الْمَوْتَىٰ﴾ لمفرد هو إبراهيم ولسارة زوجه. على معنى كيف تحيي من مات مثلي عن الإنجاب؟ وكيف تحيي من مات مثلها عن الإنجاب؟

قال ذلك وهو يتكلم خطأ عن أن المواعيد في إسحق وليست في محمد ﷺ مستدلا بأنه هو الذبيح؛ فتكون المواعيد في نسله من المسيح بن مريم عليه السلام ولكن التوراة تبين أن طلب إبراهيم كيف يحيي الله الموتى كان قبل ولادة إسحق من سارة. وهذا يدل على أن هاجر قد أنجبت إسماعيل على الكبر. وقد وضع سارة مكان هاجر.

ففي الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية:

«... ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل. ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضا لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا. كما هو مكتوب: «إني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة» أمام الله الذي آمن به، **الذي يحيي الموتى،** ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة. فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير أبا لأمم كثيرة، كما قيل: «هكذا يكون نسلك» وإذ لم يكن ضعيفا في الإيمان لم يعتبر جسده **وهو قد صار مماتا**. إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا مماتية مستودع سارة. ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله، بل تقوى بالإيمان معطيا مجدا لله..» [رو ٤:١٦ –]

التناقض في وعد الإرث الخاص:

١ – قال كاتب التوراة: إن الوعد لإبراهيم في ليلة الإسراء والمعراج بإرث الأرض كانت الأرض «من نهر مصر إلى النهر الكبير. نهر الفرات» [تك ١٥:١٨]

٢ – قال الله لموسى عليه السلام: «وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر» [خر٢٣:٣١]

أ – من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط

ب – ومن البرية إلى النهر

ج – أية بَرِّيَّة هذه؟

إنها برية فاران. التي هي مكة. وليست برية في أرض فلسطين؛ لأنه قال: من بحر سوف إلى بحر فلسطين. والمسافة بين البحرين قليلة.

وماذا يقصد بالنهر؟ إن قصد نهر النيل؛ فإن بحر سوف من بعده. فيكون من النهر إلى بحر سوف ليس من الأرض الموعودة. وإن قصد نهر الفرات. فما هي البرية التي يبدأ التحديد منها إليه؟

ويؤكد أن الكاتب يتلاعب في النصوص: أنه لما ذكر أن الله ذكّر إسحق بأنه سيرث أرض إبراهيم. قال إنه لم يحدد له جهات الأرض [تك ٢٦:٢-٥] وأن الله لما ذكّر يعقوب بها قال إن الله لم يحدد له أيضا [تك ٢٨:١٣] فيكون التحديد من النيل إلى الفرات تحديد باطل، والصحيح: أن التحديد كان في برية فاران. إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب. وهذا هو معنى ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي أرض مكة، لا من داخل المسجد نفسه. وقد كان موجودا حال إسراء إبراهيم. إذ هو الذي رفع قواعده. ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ﴾ ولم يحدد اسم المسجد. وإنما وصفه بمسجد بعيد جدا عن أرض مكة ﴿الْأَقْصَا﴾ أي البعيد. وقد كان في فلسطين مسجد. وقد هدمه إدريانوس الروماني سنة ١٣٢ م ولما فتح المسلمون فلسطين في زمن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وتوطد الإسلام فيها بنى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رضي الله عنه المسجد المعروف بالمسجد الأقصى في سنة ٨٢ هـ. ولم يكن المسجد الأقصى موجودا في مدة حياة النبي ﷺ لأنه لو كان موجودا؛ ما كان المؤرخون المسلمون يقولون: إنه لم يكن موجودا. وأن الذي بناه هو أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رضي الله عنه. ولم يكن المسجد الأقصى موجودا في وقت دخول المسلمين فلسطين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه لما كتب العهدة العمرية مع البطريرك صفرنيوس نص فيها على عدم هدم الكنائس والبيع والمعابد إذا دفعوا الجزية. ولو كان المسجد الأقصى موجودا – الذي يسمونه بهيكل سليمان – حال كتابة هذه العهدة؛ ما جرؤ المسلمون على هدمه. لأنهم يدفعون، ولأن المسلمين لا ينقضون عهودا.

المدينة التي لها الأساسات
التي صانعها وبارئها الله

وبعدما قال بولس: إن مواعيد الله في إبراهيم بإرث الأرض تبدأ من المسيح عيسى عليه السلام. والمدة من إبراهيم إلى المسيح هي مدة تأديب وتهذيب. قال: إن للمسيح مدينة ستكون عاصمة لملكه وشريعته على العالم. وهذه المدينة: «لها الأساسات» وأن صانعها وخالقها هو الله. فما هي هذه المدينة المقدسة التي «لها الأساسات» هل هي مدينة في السماء أم هي مدينة في الأرض؟ من المؤكد أنها مدينة في الأرض. لأنه يقول له: «لنسلك أعطي هذه الأرض» ـ «ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا. لأن جميع الأرض التي أنت ترى. لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» والموضع الذي كان فيه إبراهيم؛ هو أرض الجنوب. بعدما اعتزله لوط عليه السلام.

والدليل على أن أرض الجنوب هي أرض مكة: قول المسيح عيسى عليه السلام:

«أجاب يسوع: حقا إن الله وعد هكذا ولكني لست هو لأنه خلق قبلي وسيأتي بعدي. أجاب الكاهن: إننا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال أنك نبي وقدوس لله. لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها وإسرائيل أن تفيدنا حبا في الله بأية كيفية سيأتي مَسِيًّا؟ أجاب يسوع: لعمر الله الذي تقف بحضرته نفسي أني لست مَسِيًّا الله الذي تنتظره كل قبائل الأرض كما وعد الله أبانا إبراهيم. قائلا: «بنسلك أبارك كل قبائل الأرض» ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة بأن يحمل عادمي التقوى على الاعتقاد بأني الله وابن الله. فيتنجس بسبب هذا كلامي وتعليمي حتى لا يكاد يبقى ثلاثون مؤمنا. حينئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الأشياء لأجله. **الذي سيأتي من الجنوب بقوة** وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام. وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر. وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به. وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا.

ومع أني لست مستحقا أن أحُلَّ سَيْرَ حِذَائِه قد نلت نعمة ورحمة من الله لأراه. فأجاب حينئذ الكاهن مع الوالي والملك قائلين: لا تزعج نفسك يا يسوع قدوس الله؛ لأن هذه الفتنة لا تحدث في زمننا مرة أخرى. لأننا سنكتب إلى مجلس الشيوخ الروماني المقدس بإصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوك فيما بعد الله أو ابن الله. فقال حينئذ يسوع: إن

كلامكم لا يعزِّيني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور. ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب فيَّ وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله إبراهيم. وإن ما يعزيني هو أن لا نهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا. أجاب الكاهن: أيأتي رسل آخرون بعد مجيء رسول الله؟. فأجاب يسوع: لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله. ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني. لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي.

أجاب هيرودس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل؟. أجاب يسوع: من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته. لذلك أقول لكم: إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائما ويحب الكافرين كما يشاهد في أيام ميشع وإرمياء لأن الشبيه يحب شبيهه. فقال حينئذ الكاهن: ماذا يسمى مَسِيًّا؟ وما هي العلامة التي تعلن عن مجيئه أجاب يسوع: إن اسم مسيا عجيب لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي. **قال الله: اصبر يا محمد لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التي أهبها لك حتى أن من يباركك يكون مباركا ومن يلعنك يكون ملعونا. ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة حتى أن السماء والأرض تهنان ولكن إيمانك لا يهن أبدا. إن اسمه المبارك محمد. حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا ألله أرسل لنا رسولك. يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم»**

[برنابا: ٩٦ ـ ٩٧]

وإذا كانت هذه المدينة في الأرض. فهل هي مدينة أورشليم؟

يقول بولس: إنها هي مدينة أورشليم. ولكن في يوم ظهور يسوع المسيح ستكون أورشليم في السماء. وسيملك عليها المسيح في السماء، ويدير منها شئون ممالك العالم. ذلك قوله: «مدينة الله الحي. أورشليم السماوية» [عبرانيين ١٢: ٢٢]

وغرضه من ذلك: إبعاد مكة وإبعاد محمد ﷺ من النبوءات.

ولنذكر كلامه ونناقشه:

أولا: في الأصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين:

«بالإيمان إبراهيم لما دُعي؛ أطاع أن يخرج إلى المكان، الذي كان عتيدا أن يأخذه ميراثا. فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. بالإيمان تغرب في أرض الموعد. كأنها غريبة، ساكنا في

خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه. لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله. بالإيمان سارة نفسها أيضا، أخذت قدرة على إنشاء نسل. وبعد وقت السن ولدت إذ حسبت الذي وعد صادقا. لذلك وُلد أيضا من واحد. وذلك من ممات. مثل نجوم السماء في الكثرة، وكالرمل الذي على شاطئ البحر، الذي لا يعد.

في الإيمان مات هؤلاء أجمعون. وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الأرض. فإن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطنا. فلو ذكروا ذلك الذي خرجوا منه، لكان لهم فرصة للرجوع. ولكن الآن يبتغون وطنا أفضل، أي سماويا. لذلك لا يستحي بهم الله أن يُدعَى إلههم؛ لأنهم أعدّ لهم مدينة» [عب ١١: ٨-١٦]

البيان:

إنه يقول: إن إبراهيم تغرب في أرض الموعد وسكن معه فيها إسحق ويعقوب. فلنبحث عن مكان سكنى إسحق ويعقوب مع إبراهيم؛ لأنه هو الذي سيدلنا على أرض الموعد. وفي التوراة أن مكان السكنى هذا كان في مكة المكرمة؛ فتكون هي أرض الموعد.

١ - صعد إبراهيم ولوط إلى أرض الجنوب. وهي أرض مكة.

٢ - دعت هاجر اسم الرب الذي تكلم معها «أنت إيل رئى» وفي ترجمة «يشمع إيل» أي يسمع الله. ودعت البئر «بئر لَحَىْ رُئى» أي بئر الحي الرائى..

٣ - تعبير التراءى أمام الله يدل على الحج إلى بيت الله. وهو الكعبة لقوله في الزبور ٤٢: «متى أجئ وأتراءى قدام الله»

٤ - ومكان الذبح للابن الوحيد هو في جبل الرب «فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يرأه. حتى أنه يقال اليوم: في جبل الرب يرى» أي في مكة عند بئر الحي الرائى الذي كانت فيه هاجر أم إسماعيل.

٥ - «وكان إسحق قد أتى من ورود بئر الحى رئى. إذ كان ساكنا في أرض الجنوب»

لاحظ: أن إسحق كان ساكنا في أرض مكة التي هي أرض الجنوب. وكان منزله عند بئر زمزم الذي كانت فيه هاجر.

٦ - «فأدخلها إسحق إلى خباء سارة أمه» أي أن إسحق دخل على زوجته برفقة في

خباء سارة بعد موتها. وهذا يدل على أن سارة كانت ساكنة عند بئر زمزم مع هاجر في أرض الجنوب.

٧ - وولد يعقوب لإسحق في حياة إبراهيم. وعاش معه ستة عشر عاما.

وعلى ما قدمنا تكون أرض الموعد هي أرض مكة من محمد ﷺ وتكون المدينة التي ينتظرها إبراهيم للنبي الذي طلب من الله أن يبعثه من آل إسماعيل هي مدينة «مكة» وهي «المدينة التي لها الأساسات» من أيام نوح عليه السلام. إذ استقرت السفينة على الجودي فيها. وفيها عاش المؤمنون الناجون من الطوفان، ومنها تفرقوا في ا لأرض. وهي المدينة «التي صانعها وبارئها الله»

يعني بذلك: أن فيها بيت الله وجبل الله.

أهل بيت الله

ويقول بولس للمسيحيين: أنتم أهل بيت الله. ويقول لهم: إن يسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. ذلك قوله: «فلستم إذاً بعد غرباء ونزلا. بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله. مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية. الذي فيه كل البناء مركبا معا. ينمو هيكلا مقدسا في الرب. الذي فيه أنتم مبنيون معا مسكنا لله في الروح» [أفسس ٢: ١٩-٢٢]

البيان:

ما هو المراد ببيت الله؟ ليس هو بيت أورشليم. لأنه مبني حسب قولهم من بعد إبراهيم بزمان طويل. وليس هو بيت للمسيحيين؛ لأن المسيح لم ينسخ التوراة.

وحجر الزاوية ليس هو رمز للمسيح بن مريم. وإنما هو رمز لمحمد ﷺ في المزمور ١١٨ وقد طبقه المسيح بن مريم نفسه على محمد ﷺ في مثل الكرامين الأردياء. كما في الأصحاح ٢١ من متى، ونصه:

«اسمعوا مثلا آخر. كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره. فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا. ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين. ففعلوا بهم كذلك. فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ

ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له. أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الاثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب: «الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا»لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه. ولما سمع رؤساء الكهنة والفرِّيسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه؛ خافوا من الجموع؛ لأنه كان عندهم مثل نبي»

زلزلة الأرض والسماء

تمهيد:

١ - لما أراد الله إنزال التوراة على موسى في جبل طور سيناء، أمره أن يجمع له بني إسرائيل عند جبل الطور ليسمعوا صوته. فيتأكدوا من وجوده. وأمرهم بغسل ثيابهم وقال لهم: إن مست الجبل بهيمة، ترجم، وإن مسه إنسان فإنه لا يعيش. فلما جمعهم موسى حدث في اليوم الثالث في الصباح «أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل، وصوت بوق شديد جدا» فلما رأى بنو إسرائيل هذا المنظر المرعب. طلبوا إذا أراد الله أن يكلمهم مرة أخرى؛ فليكن عن طريق نبي وهم له يسمعون ويطيعون. لأنهم لم يحتملوا ما أمر به. واستعفى الذين سمعوه من أن تزداد لهم كلمة.

وقد وعدهم الله بنبي من إخوتهم مثل موسى؛ هو محمد ﷺ

وقد سوّل الشيطان لبولس أن يجعل النبي الموعود به؛ يسوع الذي يُدعى المسيح. فقال للمسيحيين: إن آبائكم لم يحتملوا هذا المنظر المرعب. فلذلك عافاكم الله منه. فإنه أرسل إليكم يسوع ليكلمكم نيابة عنه ولم تروا حال نزول الإنجيل رعودا وبروقا.

وعمل مقارنة بين التوراة والإنجيل فقال: إن التوراة نزلت على جبل الطور، والإنجيل نزل على جبل صهيون.

وبدّل بولس فاران بأورشليم. في نبوءة موسى عن محمد رسول الله التي يقسّم فيها بركات الله على سيناء وفاران. وفي هذه النبوءة: آن نبي فاران سيرسل أصحابه الشبيهين بالملائكة إلى فلسطين وهم عشرة آلاف لنزع ملك اليهود فيها. فبدل بولس أصحاب النبي

الموصوفين بالملائكة إلى ملائكة حقيقين في السماء. وفي شريعة موسى: أن الله أخذ سبط لاوي للجهاد في سبيله وتعليم الدين عوضا عن أبكار بني إسرائيل جميعا. فبدل بولس أصحاب محمد بكلمة الأبكار، وقال: إنهم في السموات. وجعل يسوع وسيطا بين الله وبين اليهود، وذكر الدم الذي رشه موسى علامة على العهد.

وكل ذلك ليصد الناس عن محمد رسول الله ﷺ

وبيان هذا يطول شرحه.

٢ - ثم نصح المسيحيين بقوله: اقبلوا كلام يسوع وادخلوا في دينه لأن آبائكم لما طلبوا أن لا يروا السحاب والنار والدخان؛ أُجيبوا إلى طلبهم، ولم يرتفع عنهم العقاب إذ عصوا وبغوا. فكذلك أنتم.

٣ - وبيَّن بولس أن الله وعد بزلزلة الأرض والسماء في الأيام الأولى لظهور النبي المماثل لموسى. ومعنى أن يزلزل: هو أنه سيغير الشريعة. وسيغير الملكوت بالحرب في يوم الرب.

انتهى التمهيد

وهذا هو النص من الأصحاح ١٢ من الرسالة إلى العبرانيين:

«لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة. وهتاف بوق وصوت كلمات. استعفى الذين سمعوه من أن تزداد لهم كلمة. لأنهم لم يحتملوا ما أُمر به وإن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم. وكان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى: أنا مرتعب ومرتعد. بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحي أورشليم السماوية وإلى ربوات محفل ملائكة. وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكمَّلين. وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل

انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذا استعفوا من المتكلم على الأرض فبالأولى جدا لا ننج نحن المرتدين عن الذي من السماء. الذي صوته زعزع الأرض حينئذ. وأما الآن فقد وعد قائلا: إني مرة أيضا أزلزل. لا الأرض فقط بل السماء أيضا. فقوله مرة أيضا يدل على تغيير الاشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلين ملكوتا لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية

بخشوع وتقوى. لأن إلهنا نار آكلة» [عب ١٢:١٨ –]

البيان:

ستتكلم عن الزلزلة.

في سفر حجى: أن هيكل سليمان هدمه ملك بابل. وأن اليهود لما رجعوا إلى فلسطين من بابل؛ أعادوا بناءه. فيكون للهيكل مدتين مدة من قبل السبي إلى بابل، ومدة من بعده. ووضع كاتب السفر فيه أنه يقول: إن المدة الأخيرة أفضل من المدة الأولى «من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول، وكيف تنظرون الآن. أما هو في أعينكم كلا شئ»؟ بعدما قال: «فجاءوا وعملوا الشغل في بيت رب الجنود إلههم» ولئن قلنا: إنه قدم وأخر. أي إنه يقول: هو في أعينكم كلا شئ. فاعملوا الشغل. يكون عملهم الشغل لإعادته إلى حالته الأولى؛ مدة هي تبدأ من تأسيسه إلى حين هدمه.

فإذا جاء زمان هدمه ـ وهذا هو المطلوب الكلام فيه ـ فإنه يهدم على يد «مشتهى كل الأمم» فمن هو «مشتهى كل الأمم»؟ يقول أهل الكتاب جميعا: إنه هو «المسيَّا» أي النبي الأمي الآتي إلى العالم الذي هو بلسانهم محمد رسول الله. ويستدلون على ذلك بقول يعقوب لبنيه: «لا يزول قضيب من يهوذا.. إلخ» [تكوين ٤٩: ١٠]

وقد قال المسيح عليه السلام في رواية برنابا عنه: إنه هو محمد رسول الله. وقال بولس: إنه هو عيسى عليه السلام

وكلام المسيح هو الصحيح. وذلك لأنه يقول: «إني أزلزل السموات والأرض، وأقلب كرسي الممالك، وأبيد قوة ممالك الأمم، وأقلب المركبات والراكبين فيها، وينحط الخيل وراكبوها. كل منها بسيف أخيه» [حجى ٢: ٢١-٢٢] وقد حدث هذا في يوم الرب في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والنص على مشتهى كل الأمم هو:

«في الشهر السابع في الحادي والعشرين من الشهر كانت كلمة الرب عن يد حجى النبي قائلا: كلم زربابل بن شألتئيل والي يهوذا، ويهوشع بن يهوصادق الكاهن العظيم وبقية الشعب قائلا: من الباقي فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول. وكيف تنظرونه الآن. أما هو في أعينكم كلا شيء. فالآن تشدد يا زربابل. يقول الرب. وتشدد يا يهوشع بن يهوصاداق الكاهن العظيم، وتشددوا يا جميع شعب الأرض يقول الرب، واعملوا؛ فإني

معكم يقول رب الجنود، حسب الكلام الذي عاهدتكم به عند خروجكم من مصر، وروحي قائم في وسطكم. لا تخافوا. **لأنه هكذا قال رب الجنود. هي مرة بعد قليل فازلزل السموات والأرض والبحر واليابسة. وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم. فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود. لي الفضة ولي الذهب. يقول رب الجنود. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول. قال رب الجنود. وفي هذا المكان أعطي السلام. يقول رب الجنود.**

في الرابع والعشرين من الشهر التاسع في السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب عن يد حجى النبي قائلا: هكذا قال رب الجنود. اسأل الكهنة عن الشريعة قائلا: إن حمل إنسان لحما مقدسا في طرف ثوبه ومس بطرفه خبزا أو طبيخا أو خمرا أو زيتا أو طعاما ما فهل يتقدس؟ فأجاب الكهنة وقالوا لا. فقال حجي إن كان المنجس بميت يمس شيئا من هذه فهل يتنجس؟ فأجاب الكهنة وقالوا: يتنجس. فأجاب حجي وقال. هكذا هذا الشعب وهكذا هذه الأمة قدامي. يقول الرب وهكذا كل عمل أيديهم وما يقربونه هناك هو نجس. والآن فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فراجعا قبل وضع حجر على حجر في هيكل الرب. مذ تلك الأيام كان أحدكم يأتي إلى عرمة عشرين فكانت عشرة. أتى إلى حوض المعصرة ليغرف خمسين فورة فكانت عشرين. قد ضربتكم باللفح وباليرقان وبالبرد في كل عمل أيديكم وما رجعتم إليّ. يقول الرب. فاجعلوا قلبكم من هذا اليوم فصاعدا من اليوم الرابع والعشرين من الشهر التاسع من اليوم الذي فيه تأسس هيكل الرب اجعلوا قلبكم. هل البذر في الاهراء بعد. والكرم والتين والرمان والزيتون لم يحمل بعد. فمن هذا اليوم أبارك

وصارت كلمة الرب ثانية إلى حجي في الرابع والعشرين من الشهر قائلا: كلم زربابل والي يهوذا قائلا: إني أزلزل السموات والأرض. وأقلب كرسي الممالك وأبيد قوة ممالك الأمم وأقلب المركبات والراكبين فيها وينحط الخيل وراكبوها، كل منها بسيف أخيه. في ذلك اليوم يقول رب الجنود آخذك يا زربابل عبدي ابن شألتئيل. يقول الرب وأجعلك كخاتم لأني قد اخترتك. يقول الرب» [حجي ٢]

الوعد بإرث الأرض

كان من قبل ولادة إسحق

وفي التوراة أن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه وحيده. ولما همّ بذبحه؛ افتداه بذبح عظيم. وقال له: يا إبراهيم من أجل أنك سمعت لقولي. أنا سأورثك أراضي

الأمم والشعوب عامة، والأرض التي أنت مقيم فيها خاصة «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض».

وحيث إنه لم يكن لإبراهيم ولد غير إسماعيل في وقت الذبح والفدا. فإن الوعد يكون لنسل إسماعيل وحده. ومتى يبدأ الوعد بالإرث في إسماعيل؟ إنه إذا فتح نسله بلدا من البلاد. وملكوا على أهلها؛ فما هو الفرق بين الفاتحين من نسل إسماعيل. وبين الفاتحين من عباد الأصنام؟ لا يوجد فرق. ولكن إذا فتح بنو إسماعيل بلدا، ومعهم حالة الفتح شريعة إلهية؛ فإنه يوجد فرق بينهم وبين الفاتحين من عباد الأصنام. وهو أنهم فتحوا للتمكين لشريعة الله التي تتبارك الأمم بها.

وعلى هذا يكون الإرث في إبراهيم من محمد رسول الله ﷺ وهذا هو ما وضحه بولس. ولكنه وضع يسوع بن مريم مكان محمد رسول الله. ووضعه في غير موضعه؛ لأن المواعيد قد تمت من قبل ولادة إسحق عليه السلام فيكون محمد هو الآتي لتثبيت المواعيد في حينها.

فإذا جاء محمد رسول الله في وقته ونادى في الأمم بدعوته. فإن كلامه سيكون غريبا عند الأمم. إذ هم يعبدون آلهة شتى. فلكي يسهل الله له مهمته؛ جعل نسل إسحق ممهدا له. أي معرفا الأمم بالله، ومنبها على مجيء محمد رسول الله. وعن هذا في القرآن الكريم: ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة﴾ أي به يُعظّم الناس صاحب المواعيد إذا جاء، لا أنه هو الأصل. والأصل مثل الفرض. والنافلة هي السنة التي قبل الفرض. وتهيئ الأذهان لأداء الفرض ولما وُعد إبراهيم بولد من سارة قال له: «وأعطيك أيضا منها ابنا» فقوله «أيضا» يدل على عطية سابقة هي الأصل. وقال له: إنني سأبارك ولدها. وفسر له البركة بكثرة نسله وبالملك على الأمم والشعوب. وكيف يملك بغير شريعة؟ إذ لابد من شريعة يسوس بها الأمم والشعوب. فلما جاء زمان بركته. أظهر منه موسى رسول الله، وأعطاه التوراة ﴿موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ ليمهد بنو إسرائيل ـ القائمين ببركة إسحق ـ بها الطريق لمحمد ﷺ

نص التوراة على ذبح الابن الوحيد

«واحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم. فقال له: يا إبراهيم. فقال هانذا. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحق واذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد

الجبال الذي أقول لك. فبكر إبراهيم صباحا وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه وإسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله. وفي اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد. فقال إبراهيم لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار. وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك ونسجد ثم نرجع إليكما. فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ووضعه على إسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين. فذهبا كلاهما معا. وكلم إسحق إبراهيم أباه وقال يا أبي. فقال هأنذا يا بني. فقال هوذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة. فقال إبراهيم: الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني. فذهبا كلاهما معا. فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم. فقال هأنذا. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئا. لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه. فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه. فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يَهْوَه يِرْأه. حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى

ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. وقال بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي. ثم رجع إبراهيم إلى غلاميه»

[تكوين ٢٢]

البيان:

١ - كلمة إسحق. من وضع المحرف. لأنه ليس هو الوحيد. فالوحيد: هو إسماعيل؛ لأنه وحيد إبراهيم، ووحيد هاجر، ووحيد سارة ـ بحسب قولها: «ادخل على جاريتي؛ لعلي أُرزق منها بنين».

٢ - قوله: «فنذهب إلى هناك ونسجد» يدل على أن الهم بالذبح كان في مكة المكرمة عند الكعبة؛ لأن السجود معناه: مكان الحج. والكعبة مكان حج من زمان نوح عليه السلام.

٣ - «يَهْوَه يِرْأه» و «جبل الرب» يدلان على مكان حج في مكان يرى الله فيه الحجاج.

أي ينظر إليهم نظر رحمة. وليس من أرض في العالم فيها جبل منسوب إلى الله غير أرض مكة.

٤ – ووعد الله إبراهيم بإرث نسله لأراضي الأمم جُدد بعد افتدائه الذبيح بالكبش. وليس له وقت تجديد العهد إلا إسماعيل. فتكون المواعيد فيه.

«ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء. وقال بذاتي أقسمت يقول الرب. إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك. أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر. ويرث نسلك باب أعدائه. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. من أجل أنك سمعت لقولي»

النتيجة:

مما تقدم وغيره في معناه يُعلم علم اليقين: أن التوراة منبهة على نبي يأتي من بعد موسى عليه السلام ليكمل دينه. وهذا النبي الآتي هو محمد رسول الله ﷺ الذي فيه تتم المواعيد المبرمة بين الله وبين إبراهيم.

فإذا تكلمت التوراة عن نبي سيأتي النبي الملقب «غصن الرب» و غيره من الألقاب؛ فليعلم الناس أنه محمد رسول الله ﷺ لأن التوراة لم تُنبه إلا عن واحد، من نسل إسماعيل الموعود بإرث الأراضي من قبل ولادة إسحق.

* * *

وقد جاء في القرآن الكريم إشارات للعلماء من أهل الكتاب يسترشدون بها على أن محمدا هو النبي المكتوب عندهم. وأبين الآن من هذه الإشارات؛ نبوءة جاءت في سورة البقرة. وهي بتمامها في سفر النبي إشعياء.

نبوءة العطاش إلى البرّ

النص:

«أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة؛ تعالوا اشتروا وكلوا. هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن؛ خمرا ولبنا. لماذا تَزِنُون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع؟ استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم. اميلوا آذانكم وهلموا إليّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم، وأقطع لكم عهدا أبديا. مراحم داود الصادقة. **هو ذا قد جعلته**

شارعا للشعوب رئيسا وموصيا للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها، وأمة لم تعرفك تركض إليك، من أجل الرب إلهك وقدوس إسرائيل لأنه قد مَجّدَك.

اطلبوا الرب مادام يوجد. **ادعوه وهو قريب**. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب؛ فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران. لأن أفكاري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طرقي. يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم. لأنه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت. وتعطي زرعا للزراع وخبزا للآكل؛ **هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي**. لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررتُ به وتنجح في ما أرسلتها له. لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تُحضَرون. الجبال والآكام تُشيد أمامكم ترنما، وكل شجر الحقل تصفّق بالأيادي.

عوضا عن الشوك ينبت سرو، وعوضا عن القريس يطلع آس. ويكون للرب اسما علامة أبدية لا تنقطع

هكذا قال الرب. احفظوا الحق وأجروا العدل. **لأنه قريب مجئ خلاصي واستعلان برّي**. طوبى للإنسان الذي يعمل هذا ولابن الإنسان الذي يتمسك به الحافظ السبت لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر

فلا يتكلم ابن الغريب الذي اقترن بالرب قائلا: إفرازا أفرزني الرب من شعبه. ولا يقل الخصي: ها أنا شجرة يابسة. لأنه هكذا قال الرب للخصيان ـ الذين يحفظون سبوتي ويختارون ما يسرني ويتمسكون بعهدي ـ إني أعطيهم في بيتي وفي أسواري نُصُباً، واسما أفضل من البنين والبنات. أعطيهم اسما أبديا لا ينقطع. وأبناء الغريب الذين يقترنون بالرب ليخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا. كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدي. آتي بهم إلى جبل قدسي وأُفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يُدعى لكل الشعوب. يقول السيد الرب. جامع منفيي إسرائيل أجمع بعد إليه إلى مجموعيه.

يا جميع وحوش البَرّ تعالي. للأكل، يا جميع الوحوش التي في الوعر. مراقبوه عمي كلهم. لا يعرفون. كلهم كلاب بكم لا تقدر أن تنبح. حالمون مضطجعون محبو النوم. والكلاب شرهة لا تعرف الشبع. وهم رعاة لا يعرفون الفهم. التفتوا جميعا إلى طرقهم، كل

واحد إلى الربح عن أقصى. هلموا آخذ خمرا ولنشتفَّ مُسكرا، ويكون الغد كهذا اليوم عظيما، بل أزيد جدا

* * *

باد الصدِّيق وليس أحد يضع ذلك في قلبه ورجال الإحسان يضمون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يُضم الصديق. يدخل السلام. يستريحون في مضاجعهم. السالك بالاستقامة.

أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة نسل الفاسق والزانية. بمن تسخرون، وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان. أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب. المتوقّدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء، القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل. في حجارة الوادي الملس نصيبك. تلك هي قرعتك. لتلك سكبتِ سكيبا، وأصعدت تقدمة. أعن هذه أتعزى. على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحي ذبيحة. وراء الباب والقائمة وضعت تذكارك لأنك لغيري كشفت وصعدت أوسعت مضجعك وقطعت لنفسك عهدا معهم. أحببت مضجعهم. نظرت فرصة. وسررت إلى الملك بالدهن وأكثرت أطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد، ونزلت حتى إلى الهاوية. بطول أسفارك أعييت ولم تقولي: يئست. شهوتك وجدت لذلك لم تضعفي. وممن خشيت وخفتِ حتى خنت، وإياي لم تذكري ولا وضعت في قلبك. أما أنا ساكت وذلك منذ القديم؛ فإياي لم تخافي. أنا أخبر ببرك وبأعمالك فلا تفيدك. إذ تصرخين فلينقذك جموعك. ولكن الريح تحملهم كلهم. تأخذهم نفخة. **أما المتوكل عليَّ فيملك الأرض ويرث جبل قدسي**. ويقول: أعِدّوا عدوا. هيئوا الطريق. ارفعوا المعثرة من طريق شعبي. لأنه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه: في الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيي روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين. لأني لا أخاصم إلى الأبد، ولا أغضب إلى الدهر. لأن الروح يُغشي عليها أمامي والنسمات التي صنعتها. من أجل إثم مكسبه غضبت وضربتُهُ. استترت وغضبت فذهب عاصيا في طريق قلبه. رأيت طرقه وسأشفيه وأقوده وأردُّ تعزيات له ولنائحيه. خالقا ثمر الشفتين. سلام سلام للعبيد وللقريب. قال الرب. وسأشفيه. أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ وتقذف مياهه حمأة وطينا. ليس سلام. قال إلهي للأشرار.

ناد بصوت عال. لا تمسك. ارفع صوتك كبوق وأخبر شعبي بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم. وإياي يطلبون يوما فيوما ويسرون بمعرفة طرقي كأمة عملت برا ولم تترك قضاء إلهها. **يسألونني عن أحكام البر**. يُسرّون بالتقرب إلى الله. **يقولون: لماذا صمنا ولم تنظر. ذلّلنا أنفسنا ولم تلاحظ**. ها أنكم في يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون. ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر. لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم في العلاء. أمثل هذا يكون صوم أختاره؟ يوما يذلل الإنسان فيه نفسه، يحني كالأسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا. هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب. أليس هذا صوما أختاره؟ حلَّ قيود الشر. فكَّ عُقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك؟ إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك؟

حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك، وتنبت صحتك سريعا ويسير برّك أمامك، ومجد الرب يجمع ساقتك. **حينئذ تدعو فيجيب الرب**. تستغيث فيقول هأنذا. وإن نزعت من وسطك النير والإيماء بالإصبع وكلام الإثم. وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة؛ يشرق في الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر. ويقودك الرب على الدوام ويشبع في الجدوب نفسك، وينشط عظامك فتصير كجنة ريّا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه. ومنك تبنى الخرب القديمة. تقيم أساسات دور فدور، فيسمونك مرمم الثغرة، مرجع المسالك للسكنى.

إن رددت عن السبت رجلك، عن عمل مسرتك يوم قدسي، ودعوت السبت لذة، ومقدس الرب مكرّما وأكرمته عن عمل طرقك وعن إيجاد مسرتك والتكلم بكلامك. فإنك حينئذ تتلذذ بالرب وأركبك على مرتفعات الأرض وأطعمك ميراث يعقوب أبيك؛ لأن فم الرب تكلم» [إشعياء ٥٥-٥٨]

التعليق على نبوءة العطاش إلى البرِّ:

في سفر إشعياء تكلم عن النبي الآتي، ولقبه بلقب «العبد المتألم» وبدأ الكلام عنه فقال:

«هو ذا عبدي يعقل. يتعالى ويرتقي ويتسامى جدا» [إش ٥٢:١٣]

ثم قال عن موطنه: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد...» [إش٥٤:١]

وقال عن أمته: «وكل بنيك تلاميذ الرب» وقد استدل بها المسيح عيسى عليه السلام على نزع الملكوت من اليهود، وإبطال عمل الكهنة في [يوحنا ٦] ثم قال للأمم: «أيها العطاش

جميعا هلموا إلى المياه» وبين أن دعوته بلا أجر. وبأن زمان شريعته هو زمان رخاء وسلام.

وتكلم عن النبي فقال: «هو ذا قد جعلته شارعا للشعوب رئيسا، وموصيا للشعوب»

إلى هنا نقف ونقول:

«إن الله يقول في القرآن الكريم في آيات الصوم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] وههنا في هذه النبوءة يقول: «اطلبوا الرب مادام يوجد. ادعوه وهو قريب» يشير في القرآن إلى هذه النبوءة.

ثم بيّن أن اليهود لا يخلصون من ذل الأجانب وسيطرتهم عليهم إلا بالحرب على يد النبي الآتي «لأنه قريب مجئ خلاصي، واستعلان برّي» أي ظهور شريعتي.

ثم قال: إن الغرباء سيكونون متساوين مع العرب بني إسماعيل في الشريعة الآتية «وأبناء الغريب... آتي بهم إلى جبل قدسي...»

ثم تكلم عن هلاك الكافرين بالنبي من اليهود على يده في يوم الرب: «وأما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني الساحرة. نسل الفاسق والزانية...»

وقال في ذمهم: «القاتلون الأولاد في الأودية»

وقال إن الله سينصر نبيه: «ارفعوا المعثرة من طريق شعبي»

ووصف اليهود بالشر، وقال: إنه لا سلام لهم «ليس سلام. قال إلهي. للأشرار»

وعن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ والمراد بهم اليهود المسرفون على أنفسهم. يقول: «يسألونني عن أحكام البِرِّ. يُسَرُّون بالتقرب إلى الله»

وفي القرآن أن: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾ جاء بين الصيام في رمضان وبين حل الصيام في الليل. وفي هذه النبوءة كلام عن أن صيام اليهود باطل وغير مقبول: «أمثل هذا يكون صوم أختاره»؟ وتكلم عن حل الصيام ليلة الصيام. فقال: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ [البقرة:١٨٧]

والمعنى: أن الصيام عند اليهود «يوم واحد وليلة» ويبدأ من مساء اليوم التاسع إلى مساء اليوم العاشر. أما في شريعة الإسلام فإن الله خفف المدة وجعلها من الفجر إلى الغروب. وعلى ذلك تكون الليلة غير داخلة في التحريم. فيكون المعنى: أحلت لكم أيها اليهود ليلة الصيام وحرم عليكم يومه. إذا دخلتم في الإسلام. ويكون كل المسلمين داخلين معهم في

هذا الحكم.

النص:

في الأصحاح الثالث والعشرين من سفر الأحبار:

«وكلم الرب موسى قائلا: أما العاشر من هذا الشهر السابع فهو يوم الكفارة. محفلا مقدسا يكون لكم تذللون نفوسكم وتقربون وقودا للرب. عملا ما لا تعملوا في هذا اليوم عينه لأنه يوم كفارة للتكفير عنكم أمام الرب إلهكم. إن كل نفس لا تتذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها. وكل نفس تعمل عملا ما في هذا اليوم عينه أبيد تلك النفس من شعبها. عملا ما لا تعملوا. فريضة دهرية في أجيالكم في جميع مساكنكم. إنه سبت عطلة لكم فتذللون نفوسكم. في تاسع الشهر عند المساء من المساء. إلى المساء تسبتون سبتكم

وكلم الرب موسى قائلا: كلم بني إسرائيل قائلا. في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر السابع عيد المظال سبعة أيام للرب. في اليوم الأوّل محفل مقدس عملا ما من الشغل لا تعملوا. سبعة أيام تقربون وقودا للرب. وفي اليوم الثامن يكون لكم محفل مقدس. تقربون وقودا للرب. إنه اعتكاف. كل عمل شغل لا تعملوا» [أح ٢٣]

الاعتكاف في المساجد:

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾ [البقرة:١٨٧]

وقد جاء في التوراة عقب الأمر بالتذلل - وهو الصيام - قوله: «إنه اعتكاف» مفروض ومدته سبعة أيام. فيها عبادة وليس فيها عمل من أعمال المعاش «كل عمل شغل لا تعملوا» والاعتكاف في الإسلام ليس مفروضا.

* * *

والله ولي التوفيق. وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم وبارك على محمد نبي الرحمة، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الفصل التاسع

في

غُصْن الرَّب

في القرآن الكريم: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠]

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧]

﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ [الشمس: ١٣]

وفي القرآن الكريم: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] - ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾؟ [مريم: ٦٥]. أي مثلا وشبيها.

والمعنى المراد من هذا ومثله: أن الله تعالى يكلم بني آدم بلسانهم، وعلى قدر عقولهم. أما هو فليس إنسانا. وقد عبر العلماء عن مكر الله وغضبه واستهزائه باليهود الكافرين: بأنه يتكلم بأسلوب المشاكلة عن نفسه. أي أنه يُمثِّل نفسه بإنسان، ويكلم الناس عن نفسه. كإنسان يكلمهم؛ ليفهموا مراده. ثم قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] بعدما تكلم بأسلوب المشاكلة. مشاكلة فكره بفكرهم.

وفي كتاب التوراة: «العامل بيد رخوة؛ يفتقر» [أم ١٠: ٤] لأن العمل يكون باليد. بين أن الذي يعمل كثيرا يجد مالا كثيرا، وأن الذي لا يعمل؛ يفتقر. وهذا التعبير حقيقي في اليد. ووهو مجاز أيضا عن الجد والاجتهاد. وفي سفر الزبور: «من قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسَرّ. إذا سقط؛ لا ينطرح؛ لأن الرب مسند يده» [مز ٣٧: ٢٣-٢٤] فيها عن الله ذاته: «بيد شديدة وذراع ممدودة» أخرج بني إسرائيل من مصر. أي بقوته - جل شأنه - وفي سفر الزبور: «نجني من يد الشرير» [مز ٧١: ٤] لا يقصد يده، وإنما يقصد قوته.

ونسب النبي إشعياء إلى الله بيتا. مع أن الله على العرش في آيات كثيرة. ونسب للبيت جبلا. فقال: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال» [إش ٢: ٢] وفي سفر ميخا: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال...» [ميخا ٤: ١]

وفي سفر الرؤية: «الله الجالس على العرش» [رؤ ١٩: ٤] والعرش غير البيت. وعلى هذا

يكون الله متكلما عن نفسه بلسان بني آدم.

وقوله «غصن الرب» معناه:

أن الله عز وجل يدعو إلى مكارم الأخلاق. والخلق الكريم ينفع صاحبه المتحلي به، وينفع الناس. كما أن الشجرة فيها ثمار طيبة تنفع الناس. والشجرة يتفرع منها أغصانا. والأغصان تحمل ثمارا طيبة. فالشجرة وأغصانها هم واحد في إخراج الثمار التي ينتفع بها الناس. وكذلك - ولله المثل الأعلى - الله يُخرج من عنده رجالا صالحين. أنبياء وحكماء وعلماء. وجميعهم واحد في نفع الناس بكلام يُعلّم مكارم الأخلاق. الله هو الذي يخرج العلم من عنده، ويختار أنبياء وحكماء وعلماء ويلهمهم من علمه. وهم يعلّمون؛ فيكون الأصل والفرع واحد، كما أن الشجرة وفروعها وأغصانها واحد. كما في القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧]

والمجاز كما هو في القرآن الكريم موجود في الأحاديث النبوية.

ومن ذلك: قوله عليه السلام: «إن الشيطان ذئب الإنسان. كذئب الغنم. يأخذ القاصية والشاذة» وفي رواية أخرى: «فإياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة»

وهذه من أحسن الاستعارات. وذلك أنه جعل الشيطان للإنسان بمنزلة الذئب للشاة، يأخذ البعيدة المتفردة ويختلس الشاذة الشاردة، ويكون لجماعتها أهيب، ولفرادها أقرب. وكذلك الشيطان يقوي طمعه في الفذ الفريد والشارد الوحيد؛ فيستهويه بهواجسه، ويجعله غرضا رجيما لوساوسه. ويكون في جماعة الناس أضعف طمعا، وبهم أقل تولعا.

وفي هذا الكلام حث للناس على لزوم الجماعة في طاعة السلطان العادل، والإمام الفاضل. ويجوز أيضا: أن يكون فيه حث لهم على لزوم الدين القويم، والصراط المستقيم، وترك الانفراد بالمذاهب، وسلوك الولائج والعوادل.

ما في الحديث من البلاغة:

في الحديث تشبيهان. أولها بليغ وثانيهما مرسل. الأول: الشيطان ذئب الإنسان. أي كذئب الإنسان في الاغتيال. فحذف وجه الشبه والأداة. والثاني: كذئب الغنم. شبه

الشيطان بأنه كذئب الغنم. فذكر أداة التشبيه، ووجه الشبه: الاغتيال.

ونرجع إلى التوراة والإنجيل: يقول داود ـ عليه السلام ـ: «تشبع أشجار الرب. أرز لبنان الذي نصبه» [مز ١٠٤:١٦] فقد جعل الأشجار العالية جدا. أشجارا لله. مع أن كل شيء من خلقه. وقال إشعياء: إن البِرَّ ـ وهو العمل الصالح ـ هو أشجار. قد غرسها الله. وأن المختارين من الله من الأمة الآتية مع النبي الأمي الآتي. سيُدعون أشجار البر، التي غرسها الرب. أي سيهتدي بهم إلى الله خلق كثير فيُدعون أشجار البرّ. غرس الرب للتمجيد» [إش ٦١:٣] وقال قبلا: «وشعبك كلهم أبرار. إلى الأبد يرثون الأرض، غصن غرسي، عمل يديّ؛ لأتمجد» [إش ٦٠:٢١] يعني شعب مكة ـ شرفها الله تعالى ـ.

وقال المسيح: «كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا؛ تقطع وتلقي في النار» [متى ٣:١٠] يعني أن كل يهودي لا يدعو إلى اقتراب ملكوت الله؛ سوف يهلك. وقال المسيح: إنني والله وجميع الذين يدعون معي إلى اقتراب ملكوت الله ـ وهو ملكوت محمد ﷺ ـ والذين يدخلون فيه؛ هم جميعا واحد «ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم؛ ليكون الجميع واحدا، كما أنك أنت أيها الآب فيّ، وأنا فيك؛ ليكونوا هم أيضا واحدا فينا؛ ليؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ؛ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني، وأحببتهم كما أحببتني» [يوحنا ١٧:٢٠-٢٣]

فقد جعل المسيح في هذا النص ١ - الله ٢ - والمسيح ٣ - وجميع المؤمنين بدعوة المسيح التي هي أيضا مراد الله من عباده المؤمنين به؛ جعلهم واحدا.

وفي نصوص أخرى مأثورة عن المسيح في الأناجيل الأربعة نفس المعنى. وهو مقتبسها من التوراة، لا أنه أنشأها إنشاء.

وهذا هو البيان في «غصن الرب»:

١ - «يكون غصن الرب بهاء» [إش ٤:٢] أي أن محمدا ﷺ المنبثق من الله، لا من الشيطان الرجيم. يكون مع الله في هدف واحد. وتعظم دعوته وتثمر ثمرا جيدا.

٢ - وقال إشعياء: أن النبي الآتي. سوف يخرج من جذْع. شبهه بفرع يخرج من جذع. والجذع من الشجرة. وينبت غصن من أصول الجذع، ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب، ولذّته تكون في مخافة

الرب؛ فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض. . . . إلخ» [إش ١١:١+]

وشبه إشعياءُ اللهَ بفلاّح ـ ولله المثل الأعلى ـ يقضب الأغصان. كناية عن رفع أمة، وخفض أمة كانت عزيزة وقوية. ذلك قوله: «هو ذا السيد رب الجنود يقضب الأغصان برعب، والمرتفعو القامة يُقطعون، والمتشامخون ينخفضون، ويُقطع غاب الوعر. . . إلخ» [إش ١٠:٣٣+]

٣ - وفي سفر زكريا: «**لأنهم رجال آية. لأني هأنذا آتي بعبدي الغُصن**» [زك ٣:٨ إش ٤:٢ و١١:١ وإر ٢٣:٥ و٣٣:١٥ وزك ٦:١٢ ولو ١:٧٨]

سؤال آية من السماء:

ـ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد:٧]

ـ ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٥٣]

وفي كتاب التوراة: من النبوءات عن سيدنا محمد أن اليهود سيسألون آيات من النبي ـ أي معجزات ـ ليتأكدوا منها أنه نبي حقا وصدقا. وفي سورة الرعد يذكر أنهم يطلبون آية، ورد الله بقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد:٧] فقط ربط بين أمرين هما طلب الآية، وبين أنهم سوف يهلكون على يد النبي إذا لم يؤمنوا به؛ لأن الإنذار يعقبه هلاك. وقد وقع الهلاك في «يوم الرب»

وفي سفر النبي زكريا يربط بين الأمرين. بين أنهم يطلبون آية وبين أنه سيرسل إليهم غصن الرب. وأن من لا يؤمن به سوف يهلك على يديه في الأيام الأولى لظهوره في معركة «يوم الرب» التي هي معركة «هَرْمَجَدُّون» وهي نفسها معركة «اليارموك»

وفي سفر الزبور: أنهم يسألون النبي ـ وهو أمي لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ـ عما لم يعلم. فإذا جاء وأنبأهم بما سألوه عنه، وكانت إجابته موافقة لما في كتبهم؛ فإنهم يعلمون أنه هو النبي المنتظر. ففي المزمور الخامس والثلاثين. وهو يتحدث عن نفسه بظهر الغيب يقول: «شهود زور يقومون، وعما لم أعلم يسألونني» [مز ٣٥:١١]

ويقول النصارى: إن غصن البر ـ وهو غصن الرب ـ سيأتي من نسل داود ـ عليه السلام ـ وإنه هو المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ وقولهم باطل. لأن موسى يقول في أوصاف النبي الأمي الآتي إنه سيكون مثلي في الحروب والانتصار والملك والرئاسة والمعجزات، وقال: ولن يقوم نبي مثلي في بني إسرائيل. وحيث أن لإسماعيل بركة؛ يكون النبي الآتي منه.

الكرمة والكرَّام:

وشبه المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ رَبَّهُ بالكرَّام الذي يُهذِّب الأغصان، ويعتني بها. وقال: إنه هو «غصن» من كرمة. وقال: إنه يخرج منه ثمار. وقال: إن الله ينزع من غصني؛ الفرع الذي لا يأتي بثمر. وهذا هو نص كلامه:

«أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرَّام. كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه. وكل ما يأتي بثمر ينقيه ليأتي بثمر أكثر. أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به. اثبتوا فيَّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فيَّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا. إن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرَح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق. إن ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبي إن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي. كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي. إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته. كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم.

هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيدا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكني قد سميتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي. ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم. لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي. بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضا.

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذي قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني

فسيضطهدونكم. وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني. لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم. الذي يبغضني يبغض أبي أيضا. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي. لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: «إنهم أبغضوني بلا سبب»

ومتى جاء المعزِّي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق. فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معي من الابتداء» [يوحنا ١٥]

وجه الشاهد: أن المُعَزِّي ـ وهو أحمد ﷺ ينبثق من الشجرة. فيكون الجميع واحدا. ويختلف النصارى في انبثاق «المعزى» هل هو من الله والابن معا أم من الله وحده؟ ونسوا أن الله والمعزى هم واحد. في الهدف. وهم يعلمون علم اليقين أن الابن هو نفسه المعزى. وقد بينا هذا في كتابنا الموسوم بأقانيم النصارى.

سفر إشَعْيَاء

أما عن سفر إشعياء النبي:

فإن التوراة المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ مكونة من خمس أسفار هي ١ – التكوين ٢ – والخروج ٣ – واللاويين ٤ – والعدد ٥ – والتثنية.

وقد ألحق اليهود بتوراة موسى أسفارا تاريخية تحكي عن بدء مملكة لليهود، وعن دخولهم أرض فلسطين، ثم وقوعهم تحت الجزية لملك بابل سنة ٥٨٦ ق.م.

ومن الأسفار التاريخية:

١ – يشوع ٢ – القضاة ٣ – راعوث ٤ – صموئيل الأول ٥ – صموئيل الثاني ٦ – الملوك الأول ٧ – الملوك الثاني ٨ – أخبار الأيام الأول ٩ – أخبار الأيام الثاني ١٠ – عَزْرا ١١ – نَحَمْيا

وألحق اليهود بتوراة موسى ـ عليه السلام ـ أسفارا لأنبياء. محتوى كل سفر أ – التنبؤ من صاحبه بخراب أمة اليهود وزوال مملكتهم إلى الأبد بحرب شديدة في «يوم الرب» ب –

وظهور النبي الأمي الآتي على مثال موسى. ويلقبونه بلقب «المَسِيَّا» أو «المسيح الرئيس» أو «عبد الرب» أو «غُصن الرب».... إلخ

وسفر إشعياء من الأسفار الملحقة بالتوراة التي تتحدث عن زوال مملكة اليهود بحرب شديدة على يد النبي الأمي الآتي في يوم الرب.

ومن الأسفار التي تتحدث عن النبي الآتي:

١ - الزبور (المزامير) ٢ - إشعياء ٣ - إرمياء ٤ - حزقيال ٥ - دانيال ٦ - هوشع ٧ - يوئيل ٨ - عاموس ٩ - عوبديا ١٠ - ميخا ١١ - ناحوم ١٢ - حبقوق ١٣ - صفنيا ١٤ - حجى ١٥ - زكريا ١٦ - ملاخي.

يوم الرب:

هو اليوم الذي يظهر فيه محمد رسول الله ﷺ ويحارب اليهود الكافرين به في فلسطين ليقيم له فيها مملكة عظيمة. وتكون الحرب في منطقة «هَرْمَجَدُّون» وقد سماها مؤرخو المسلمين بمعركة اليارموك.

وأصل الكلام عن يوم الرب: من توراة موسى. فإنه قال عن محمد رسول الله إنه إذا جاء فإن كل نفس لا تسمع له، تُباد من الشعب. والإبادة تكون بحرب شديدة. وتكون بمعركة. والمعركة تكون في أيام. والله فيها ينصر عباده. فلذلك سميت بيوم الرب؛ لأن الحرب من أجل شريعته [1].

يقول موسى عليه السلام:

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت. قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أنا أطالبه. وأما النبي

(١) شرحنا النص وافيا في الكتابين التاليين:

١ - «يوم الرب في التوراة والإنجيل والقرآن» ٢ - «البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل» نشر دار الكتاب العربي بالقاهرة ودمشق ـ الأستاذ وليد ناصيف.

الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبي؛ فلا تخف منه» [تثنية:١٨:١٥-٢٢]

وقد تحدث سفر إشعياء عن معارك يوم الرب. وقال: إنها ستحدث في آخر أيام ملك بني إسرائيل. وبدء أيام ملك بني إسماعيل. وسماها المسيح عيسى عليه السلام بآخر الزمان أو انقضاء العالم. أو نهاية العالم عالم اليهود بملكهم وشريعتهم. وقال: إن معركة يوم الرب ستحدث في ساعة لا يعلمها إلا الله وحده.

ففي الأصحاح الثاني من سفر إشعياء:

«ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم. وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب. فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفا ولا يتعلمون الحرب في ما بعد. يا بيت يعقوب هلم فنسلك في نور الرب. فإنك رفضت شعبك بيت يعقوب لأنهم امتلأوا من المشرق وهم عائقون كالفلسطينيين ويصافحون أولاد الأجانب. وامتلأت أرضهم فضة وذهبا ولا نهاية لكنوزهم وامتلأت أرضهم خيلا ولا نهاية لمركباتهم. وامتلأت أرضهم أوثانا. يسجدون لعمل أيديهم لما صنعته أصابعهم. وينخفض الإنسان وينطرح الرجل؛ **فلا تغفر لهم** [1].

ادخل إلى الصخرة واختبئ في التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. توضع عينا تشامخ الإنسان وتُخفض رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. فإن لرب الجنود يوما على كل متعظم وعال وعلى كل مرتفع فيوضع وعلى كل أرز لبنان العالي المرتفع وعلى كل بلوط باشان. وعلى كل الجبال العالية وعلى كل التلال المرتفعة. وعلى كل برج عال وعلى كل سور منيع. وعلى كل سفن ترشيش وعلى كل الأعلام البهجة. فيخفض تشامخ الإنسان وتوضع رفعة الناس ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم. وتزول الأوثان

(١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾

بتمامها. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التراب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. في ذلك اليوم يطرح الإنسان أوثانه الفضية والذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش. ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض. كُفّوا عن الإنسان الذي في أنفه نسمة لأنه ماذا يحسب»؟ [إشعياء:٢]

وفي إنجيل متى :

من الأصحاح الثالث والعشرين وما بعده:

«يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا. لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب.

ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكي يُرُوه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع: أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم إنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين: قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجاب يسوع وقال لهم: انظروا لا يضلكم أحد. فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لأنه لابد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ويُكرَزُ ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى.

فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس. ليفهم القارئ. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلى الجبال. والذي على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا. والذي في الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه. وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام. وصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء ولا في سبت. لأنه يكون حينئذ

ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون. ولو لم تقصّر تلك الأيام **لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.** حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا. هأنا قد سبقت وأخبرتكم. فإن قالوا لكم: ها هو في البرية فلا تخرجوا. ها هو في المخادع فلا تصدقوا. لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب؛ هكذا يكون أيضا مجيء ابن الإنسان[1]. لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور.

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يُعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها. فمن شجرة التين تعلموا المثل: متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها؛ تعلمون أن الصيف قريب. هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله. فاعلموا: أنه قريب على الأبواب الحق أقول لكم: لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. **وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده.** وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان في الحقل. يؤخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى. اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم[2]. واعلموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع يأتي السارق؛ لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان. فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه

(١) ابن الإنسان: لقب لمحمد رسول الله في الأصحاح السابع من سفر دانيال

(٢) ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾

على جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الردي في قلبه: سيدي يبطئ قدومه. فيبتدئ يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى. يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها. فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.

حينئذ **يشبه ملكوت السموات** عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس. وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا. وأما الحكيمات فأخذن زيتا في آنيتهن مع مصابيحهن. وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن. ففي نصف الليل صار صراخ: هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه. فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن. فقالت الجاهلات للحكيمات: أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفئ. فأجابت الحكيمات قائلات: لعلّه لا يكفي لنا ولكن بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكن. وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأُغلق الباب. أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا قائلات: يا سيد افتح لنا. فأجاب وقال: الحق أقول لكن: إني ما أعرفكن. فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان.

وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلم أمواله. فأعطى واحدا خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة. كلّ واحد على قدر طاقته. وسافر للوقت. فمضى الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر فيها فربح خمس وزنات أُخر. وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين آخرين. وأما الذي أخذ الوزنة فمضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده. وبعد زمان طويل يأتي سيد أولئك العبيد وحاسبهم. فجاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أُخر قائلا: يا سيد خمس وزنات أعطيتني. هو ذا خمس وزنات أُخر ربحتها فوقها. فقال له سيده: نعما العبد الصالح والأمين كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك. ثم جاء الذي أخذ الوزنتين وقال: يا سيد وزنتين سلمتني. هوذا وزنتان أُخريان ربحتهما فوقهما. قال له سيده: نعما أيها العبد الصالح والأمين. كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك. ثم جاء أيضا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال:

(١) ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾
راجع في مجيء جهنم: إشعياء ٦٦: ١٥ _ ١٦

يا سيد عرفت أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض. هوذا الذي لك. فأجاب سيده وقال له: أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أني أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر. فكان ينبغي أن تضع فضتي عند الصيارفة. فعند مجيئي كنت آخذ الذي لي مع ربا. فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذي له العشر وزنات. لأن كل من له يُعطي فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه. والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان.

ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأني جُعْتُ فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني. كنت غريبا فآويتموني. عريانا فكسوتموني. مريضا فزرتموني. محبوسا فأتيتم إليّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك. أو عطشانا فسقيناك. ومتى رأيناك غريبا فآويناك. أو عريانا فكسوناك. ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا إليك. فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم: بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر؛ فبي فعلتم

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار: اذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. لأني جُعْتُ فلم تطعموني. عطشت فلم تسقوني. كنت غريبا فلم تأووني. عريانا فلم تكسوني. مريضا ومحبوسا فلم تزوروني. حينئذ يجيبونه أيضا قائلين: يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا ولم نخدمك؟ فيجيبهم قائلا: الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى حياة أبدية»

خاتمة الكتاب

ومن أجل ذلك

نقول لكل مسلم: لو قُدر لك أن تذهب إلى بلاد بعيدة، يدين أهلها بدين مًا، وعرفتهم بالإسلام، ودعوتهم إلى الدخول فيه. وطلبوا منك الشهادة على صحة قولك. فمن يشهد لك؟ من يشهد لصحة دينك، ونبوة نبيك؟ أنت فرد. ولو تقويت بجماعة من المسلمين. فأنت أيضاً فرد. إذ من المحتمل تواطؤكم على ما دعوتم إليه لمغنم أو لمغرم. وشهادة الفرد مردودة. بنص التوراة والإنجيل والقرآن.

س - فمن يشهد لك أيها المسلم وأنت فرد؟

جـ - لو قلت: يشهد لي القرآن الكريم. فأنا وأنت وكل المسلمين يعرفون أنه كتاب الله، ولكن من تدعوه لا يعرف. وربما قد سمع من اليهود والنصارى والكافرين: أنه أساطير الأولين. ولو قلت: تشهدلي أيضاً أحاديث رسول الله ﷺ فإنهم سيقولون: لم تثبت عندنا نبوة محمد، حتى نُسلِّم بكلامه. ولو طلبت شهادة اليهود فإنهم سيشهدون ضدك، ولو طلبت شهادة النصارى، فإنهم لن يشهدوا. مع أن المسيح أمرهم بأداء الشهادة، في قوله: «وتشهدون أنتم أيضاً؛ لأنكم معي من الابتداء».

س - قل لي أيها الداعي إلى الله. من يشهد لك؟

جـ إن آباءنا قد أخطأوا في عدم تدريسهم لنا نحن المسلمين، آيات مختارة من التوراة والإنجيل، يعرفوننا بها ما هي التوراة؟ وما هو الإنجيل؟ وما هو الدليل من التوراة والإنجيل على أن رب العالمين هو الله، الذي ليس كمثله شئ؟ وما هو الدليل على نبوة محمد ﷺ من التوراة والإنجيل؟

وإنّ هذا كان واجباً عليهم. ساعة على الأقل في الأسبوع، لمدة سنة من السنين الدراسية، ولكنهم لم يفعلوا. وقد فعل اليهود والنصارى. فإنهم مع طلابهم في معاهد الدرس والتحصيل. قد قرروا على الطلاب آيات من القرآن للحفظ، وأحاديث نبوية. وعرفوهم بالدين الإسلامي، وبفرق المسلمين ومللهم ونحلهم.

وظهرت منكرات من البعثات الإسلامية التي ذهبت لنشر الإسلام في بلاد اليهود والنصارى. فإن العالم المسلم كان يجد المبشرين من النصارى يتصدون لمجادلته. وهم يعلمون أنه غير دارس، ويجتهدون في أن يرجع إلى بلده بغير فائدة.

واليوم لا عذر للمسلمين. فإن ما عند اليهود والنصارى قد وضح، وما كان خافيا قد ظهر. ولم لا يجتهدون في تدريس آيات مختارة من الكتب المقدسة عندهم لطلاب العلم بالأزهر الشريف والمتقدمون من الأئمة كانوا على علم بها؟

لقد كان ابن جرير الطبري على علم بالتوراة والإنجيل، ومن قبله كان محمد بن إسحق المتوفي ١٥١ هـ مؤلف السيرة النبوية. فلماذا نتأخر عن نهج الآباء؟

ولو أن علماء المسلمين كانوا قد خفُّوا إلى «أمريكا» لشرح الإنجيل على وجهه الصحيح، لكان كثيرون منهم قد تحققوا من خداع القساوسة، وما كانوا قد جاءوا إلى مسلمي العراق ليقضوا عليهم في عقر دارهم. إننا نحن المسلمين قد أخطأنا في حق ديننا، وفي حق نبينا، وفي حق المسلمين إخوتنا. وذلك لأنا لم نذهب إلى أعدائنا لنفحمهم من كتابهم أنفسهم، وتركناهم على ضلالهم، حتى جاءوا إلينا بقلوب تقطر علينا سمًّا. وهم لا يعلمون أننا دُعاة وهداة.

يجب على كل مبعوث من الأزهر أن لا يخرج من مصر، إلا بعد أداء امتحان طويل في تاريخ بني إسرائيل، وتاريخ الكنيسة، وكتب اليهود وكتب النصارى، وعقائد اليهود وعقائد النصارى، وأن يكون حافظاً في صدره نصوص التوراة والإنجيل عن محمد ﷺ وأن يكون على علم بالمحكم والمتشابه. وذلك لأنه سيلقى مُبَشِّرين على علم تام بالإسلام واليهودية والنصرانية. ولا يليق به أن يكون دونهم في العلم.

علم الآباء بكتب التوراة والإنجيل

وسأذكر الآن نماذج من كتب علماء المسلمين القدامى، لا تدل فحسب على معرفتهم بالكتب المقدسة المعتمدة، وإنما تدل أيضاً على معرفتهم بالكتب الخفية المرفوضة من الكنائس في الأزمنة القديمة. وغرضي من ذكر هذه النماذج: أن أُبيِّن للمسلمين: أنهم قصَّروا في عصرنا هذا في الدعوة إلى الله عز وجل، وتسبَّب تقصيرهم في تجرؤ الأمم على المسلمين، ووصفهم بالضعف وسوء الحال.

أولاً: الترجمة:

١ - عن أبي هريرة أنه قال: «كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها

بالعربية لأهل الإسلام» (١).

٢ - ورقة بن نوفل كان امْرأً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب (٢).

٣ - قال عبد بن سلام عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً. وحرزاً للأميين. أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة. ولكن يعفو ويصفح. ولن أقبضه حتى أقيم به الملة المعوجة. بأن يقولوا: لا إله إلا الله. فيفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً» (٣).

وهو يقصد هذا النص من سفر إشعياء: «هو ذا عبدي، الذي أعضده، مختاري الذي سُرَّت به نفسي. وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع، ولا يُسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يُطفئ. إلى الأمان يُخرج الحق. لا يكلُّ ولا ينكسر، حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته. هكذا يقول الله الرب، خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها. مُعطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحاً. أنا الرب قد دعوتك بالبر، فأمسكُ بيدك وأحفظك، وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين في الظلمة» [إش ٤٢: ١-٧].

٤ - ألَّف ابن إسحق. المتوفي سنة ١٥١ هـ كتاباً في السيرة النبوية. وكتب فيه عن محمد عبارات هي موجودة بنصها إلى اليوم في إنجيل يوحنا. فقد قال ابن هشام: «قال ابن إسحق: وقد كان فيما بلغني، عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل، لأهل الإنجيل، من صفة رسول الله ﷺ مما أثبت يُحنّس الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل، عن عهد عيسى بن مريم - عليه السلام - في رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أني صنعتُ بحضرتهم صنائع، لم يصنعها أحد قبلي ما كانت لهم خطيئة. ولكن من الآن بطروا، وظنوا أنهم يُعزونني، وأيضاً: للرب. ولكن لابد من أن تتم**

(١) البخاري - كتاب الاعتصام.

(٢) البخاري - كتاب التفسير. ومسلم أيضاً.

(٣) البخاري - كتاب التفسير. ومسلم أيضاً.

الكلمة التي في الناموس (١).أنهم أبغضوني مجاناً.أي باطلاً.فلو قد جاء المُنْحَمَنَّا.هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب.روح.هذا الذي من عند الرب خرج؛ فهو شهيد عليَّ، وأنتم أيضاً؛ لأنكم قديماً كنتم معي.في هذا قلت لكم، لكي ما تشكّوا».

قال ابن هشام: والمنحمنا بالسريانية: محمد. وهو بالرومية: البرقليطس والنص من إنجيل يوحنا ترجمة نصارى البروتستانت هو: «١٨ إن كان العالم يُبغضكم، فاعلموا: أنه قد أبغضني قبلكم ١٩ لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم ٢٠ اذكروا الكلام الذي قلته لكم :ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم. وإن كانوا قد حفظوا كلامي، فسيحفظون كلامكم ٢١ لو لم أكن قد جئت وكلمتكم، لم تكن لهم خطية. ولكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي؛ لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني ٢٢ لو لم أكن قد جئت وكلمتهم، لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتم ٢٣ الذي يبغضني يُبغض أبي أيضاً ٢٤ لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً، لم يعملها أحد غيري، لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي ٢٥ لكن لكي تتم الكلمة المكتوبة في ناموسهم: إنهم أبغضوني بلا سبب.

٢٦ ومتى جاء المُعَزِّى (٢) الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، رُوحُ الحق، الذي من عند الآب ينبثق؛ فهو يشهد لي ٢٧ وتشهدون أنتم أيضاً؛ لأنكم معي من الابتداء ٢٨ قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا» [يوحنا ١٥:١٨] .

٥ – وأناجيل الأبوكريفا، المخفية والمرفوضة من الكنيسة، اطلع عليها المسلمون ونقلوا منها في كتبهم.

أ – ففي إنجيل الطفولية: «ولما صار له سبع سنين، كان واحد منهم يفتخر بصناعته ويستحسن عمله. قال يسوع: إن التماثيل التي صنعتها أنا، متى أمرتها بالمسير سارت. قال

(١) يقصد بالكلمة المكتوبة في الناموس: «أكثر من شعر رأسي، الذين يبغضونني بلا سبب» [مزمور ٦٩: ٤] «لايشمت بي الذين هم أعدائي باطلاً. ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني، بلا سبب» [مزمور ٣٥: ١٩].

(٢) المعزِّى = باراكليت = أحمد. وفي الرومية التي هي اليونانية: بيِرَاكْلِيتُوس. والمحمنا: هي تصحيف كلمة مناهيم ومعناها: المعزِّي «باراكليت»

الصبيان: فأنت إذاً من الخالقين. فأمرهم يسوع بالمشي، فإذا هم يركضون. وإن أمرهم بالمضي مضوا، وإن أمرهم بالعود عادوا. وكذلك كان يعمل عصافير، ويأمرها بالطيران، فتطير، ويأمرهم بالوقوف على يده وبالأكل فيكون ذلك كذلك (١) . إلخ».

قال محمد بن جرير الطبري: «إن عيسى – صلوات الله عليه – جلس يوماً مع غلمان من الكتّاب فأخذ طيناً، ثم قال: أأجعل لكم من هذا الطين طائراً؟ قالوا: أو تستطيع ذلك؟ قال: نعم بإذن ربي. ثم هيَّأه حتى إذا جعله في هيئة الطائر، نفخ فيه. ثم قال: كن طائراً بإذن الله، فخرج يطير بين كفيه» (٢) .

ب – وفي إنجيل يعقوب:

أولاً: أن أبا مريم اسمه «يهوياقيم» وأن أمها اسمها «حنَّة» وكانا عقيمين وذهب يهوياقيم إلى البرية ليصوم أربعين يوماً وليلة. كقربان إلى الله. لأن العقيم لا يقدم القربان في الهيكل .وكانت امرأته تتعبد في بيتها. وذات يوم ظهر لها ملاك الله وهي قائمة تصلي وبشرها بولد. فنذرته للهيكل. ولما وضعت ولدها. إذا هو أنثى. فسمتها «مريم» أي النذيرة العابدة، أو الخادمة للرب. وفي سن الثالثة انطلقت بها «حنة» إلى «أورشليم» القدس لتتربى في هيكل سليمان – عليه السلام –.

ثانياً: ذكر إنجيل يعقوب أن علماء بني إسرائيل حاكموا مريم على ولادتها «عيسى» لأن رجلها كان مُسناً ولم يقربها. وكان اسمه يوسف النجار. وذكر أن المحاكمة كانت بتجريعها ماء اللعنة هي وزوجها يوسف. ولم يُشر كُتَّاب الأناجيل المقدسة عندهم إلى هذه المحاكمة. والقرآن الكريم كذب هذه الرواية.

فقد ذكر القرآن: أن مريم من نسل هارون – عليه السلام – وعليه يثبت أن زوجها إذا كانت قد تزوجت يكون من نسل هارون – عليه السلام – كما وضح ابن حزم في الفصل في الملل والآراء والنحل. استناداً على الأصحاح الأول من إنجيل لوقا، والأصحاح الأخير من سفر العدد. فقول يعقوب: إنها اقترنت برجل من عشيرة داود، يدل على أنه كاذب فيما قال.

(١) ص ١١٠ – ١١٢ إنجيل طفولية المسيح.

(٢) ج ١٣ – ص ١٩٠ تفسير الطبري.

وقول يعقوب في إنجيله: إنها هي وزوجها تجرَّعا ماء اللعنة، يدل على أن عيسى لم يبرئ أمه بنطقه في المهد. ويدل على أنها بُرئت بماء اللعنة. والقرآن بيَّن أنها بُرئت بنطق المسيح في المهد. وعليه فإنها لا تكون قد حُوكمت بماء اللعنة.

المحاكمة بماء اللعنة

في

التوراة

في الأصحاح الخامس من سفر العدد. عن شريعة الغَيْرَة. ما نصه: «وكلم الرب موسى قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إذا زاغت امرأة رجل وخانته خيانة، واضطجع معها رجل، اضطجاع زرع، وأُخفي ذلك عن عيني رجلها؛ واستترت وهي نجسة، وليس شاهد عليها. وهي لم تُؤخذ. فاعتراه روحُ الغيرة، وغار على امرأته. وهي نجسة، أو اعتراه روح الغيرة، وغار على امرأته وهي ليست نجسة. يأتي الرجل امرأته إلى الكاهن، ويأتي بقربانها معها. عُشر الإيفة من طحين وشعير، لا يَصبُّ عليه زيتاً، ولا يجعل عليه لُبانا؛ لأنه تقدمة غيرة. نقدمة تذكار. تُذكّر ذنباً. فيقدمها الكاهن، من الغُبار، الذي في أرض المسكن، ويجعل في الماء، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب، ويكشف رأس المرأة، ويجعل في يديها تقدمة التذكار، التي هي تقدمة الغيرة. وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المُرّ.

ويستحلف الكاهن المرأة، ويقول لها: إن كان لم يضطجع معك رجل، وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة، من تحت رجلك؛ فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المر. ولكن إن كنت قد زُغت من تحت رجلك وتنجست، وجعل معك رجل غير رجلك مضجعه، يستحلف الكاهن المرأة بحلف اللعنة. ويقول الكاهن للمرأة: يجعلك الرب لعنة وحلفاً بين شعبك، بأن يجعل الرب فخذك ساقطة، وبطنك وارما، ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك؛ لورم البطن، ولإسقاط الفخذ. فتقول المرأة: آمين. آمين

ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب، ثم يمحوها في الماء المر، ويسقي المرأة ماء اللعنة المر، فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة. ويأخذ الكاهن من يد المرأة تَقْدمة الغيرة، ويُردد التقدمة أمام الرب، ويقدمها إلى المذبح. ويقبضُ الكاهن من التقدمة تذكارها، ويُوقده على المذبح. وبعد ذلك يسقي المرأة الماء. ومتى سقاها الماء، فإن كانت قد تنجّست وخانت

رجلها، يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة، فيرم بطنها، وتسقُطُ فخذُها. فتصيرُ المرأة لعنة في وسط شعبها. وإن لم تكن المرأة قد تنجست بل كانت طاهرة؛ تتبرأ، وتحبل بزرع» [عدد ٥: ١١-٢٨].

وهذا الحكم في التوراة. وقد نسخه القرآن الكريم. ففي سورة النور، جعل أربع شهادات بالله. وجعل شهادة خامسة، للذين يرمون أزواجهم بالزنا ولم يأتوا بأربعة شهداء من المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦].

رواية الإمام ابن جرير

عن إنجيل يعقوب

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران: ٣٥]: إنها حنَّة. ابنة فاقوذ بن قُتَيْل. وقيل ابنة فاقود ـ بالدال المهملة ـ فأما زوجها فإنه عمران بن يَاشهُم. وكان سبب نذرها: أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت أم يحيى عند زكريا، وكانت أم مريم عند عمران. فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم. وهي جنين في بطنها. وكانت أم مريم قد أمسك الله عنها الولد، حتى أسنَّت فبينما هي في ظل شجرة، إذ نظرت إلى طائر يطعم فرخاً له، فاشتاقت نفسها للولد. فدعت الله تعالى أن يهب لها ولداً. فحملت بمريم. ومات عمران. ونذرت ما في بطنها لله تعالى ليعبده في الهيكل طوال حياته. وليقوم بواجب الدرس والإفتاء.

انتهى كلامه. والنصارى يقولون: «يُواقيم» عن الأصل العبراني «يهُوياقيم» ويهوه هو اسم الله تعالى. ومحمد بن جرير ذكره «ياشُهم» مُصَحَّفاً عن «يُواشيم» وليس في كتبهم عمران. أب مباشر لمريم. وهذا موضح في كتاب «يوحنا المعمدان بين الإسلام والنصرانية».

والغرض من هذا الذي ذكرناه: أن آباءنا الأوائل نحن المسلمين كانوا على علم بكتب أهل الكتاب. وأنهم وضعوا ترجمات عربية كاملة للتوراة والزبور والأناجيل الأربعة أمام أعين كل

المسلمين، في بدء الدولة العباسية [1]. من قبل أن تظهر ترجمة يوحنا أسقف «إشبيلية» بالأندلس. سنة مائة وست من الهجرة.

ولكن المسلمين من بعد عصر «المأمون» ـ رضي الله عنه ـ انشغل بعضهم بتلقف الإسرائيليات من أفواه علمائهم وتركوا الأبحاث الجادة والهادفة لتتعب في التنقيب عنها، وفي إبرازها للناس. وسنموت نحن المسلمين المعاصرين ولما تكتمل كل الأبحاث المفيدة في نشر الدين. بل نحن نعلم أن تعبنا غير مُجْدٍ وغير مفيد، إلاَّ للذين نَوَّر لهم البصائر. وذلك لأن كتب التراث قد امتلأت بالأخطاء. والإصلاح عسير.

ثانياً: تأليف الكتب:

رأيتُ كتباً من اليهود ضد المسلمين، وضد النصارى. ورأيت كتباً كثيرة من النصارى ضد اليهود وضد المسلمين. ورأيت كتباً من المسلمين ضد اليهود والنصارى.

والمبحث الذي تدور حوله كل المناقشات هو مبحث «المسيح المنتظر» الذي أخبر عن مجيئه من بعده موسى ـ عليه السلام ـ في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. فاليهود يقولون: نحن ننتظر مسيحاً واحداً هو مسيح هدى لا مسيح ضلالة. ولا ننتظر من بعده مسيح ضلالة. والنصارى يقولون لهم: إنه جاء. وإنه لهو المسيح عيسى بن مريم، ولن يأتي بعده مسيح هدى، ويأتي من بعده مسيح ضلالة [2].

والراسخون في العلم من المسلمين يقولون لليهود وللنصارى: بلغتكم ولسانكم إن المسيح المنتظر هو محمد رسول الله ﷺ ولا مسيح سيأتي من بعده إلى يوم القيامة. لا مسيح هدي، ولا مسيح ضلالة. هذا هو المبحث الذي تدور حوله كل المناقشات. ولما ييأس المسلمون من اليهود، لأنهم لا يريدون الاعتراف بمحمد ﷺ يتركون المناقشة في مسألة «المسيح» ويطعنون في التوراة. واليهود يجارونهم ويطعنون في القرآن. ولما ييأس المسلمون من النصارى يطعنون في الإنجيل، والنصارى يجارونهم بالمثل. وكل الطعون مسائل فرعية. على المبحث الرئيسي وهو مبحث «المسيح» الذي هو المَسِيَّا. ومن الكتب المؤلفة: كتاب «الجواب

(١) يقال: إن المترجم هو حنين بن إسحق. المعاصر لهارون الرشيد والمأمون.

(٢) يقول النصارى في تفسير سفر الرؤية: إن محمداً هو المسيح الدجال [كتاب المسيخ الدجال للأستاذ سعيد أيوب ـ نشر دار الاعتصام بالقاهرة».

الصحيح لمن بدل دين المسيح» لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية. وفيه نقل حجج نصراني على صحة دينه من التوراة، ونقل حجج نصراني أسلم على صحة القرآن بأدلة من التوراة والإنجيل. وأيضاً: «الانتصارات الإسلامية في كشف شبهات النصرانية» للطوفي الحنبلي [1] وكتاب «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام» للإمام القرطبي أبي العباس صاحب المفهم في شرح صحيح مسلم. و«إظهار الحق» للشيخ رحمت الله الهندي.

ولكن هذه الكتب كانت تُقرأ في بيوت العلماء، لا في المدارس ولا في الجامعات. وإني أرغب في تدريس علم مقارنة الأديان لكل المسلمين في المدارس والجامعات. ولو من باب العلم بالشئ ولا الجهل به. ولكن لا يكون بالكتب الإسلامية القديمة.

تم الكتاب. ولله الحمد

وكان الفراغ من تأليفه في مدينة «القاهرة» في الخامس عشر من ربيع الثاني. سنة ألف وأربعمائة واثنتي عشرة من الهجرة. وصححه وراجعه:

علاء أحمد

وعلي أحمد

(١) نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

خاتمة الكتاب